

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

نيابة العمادة المكلفة لما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية



كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

فقه المقاصد وتطبيقاته على العمل الدعوي المعاصر

عبد السلام ياسين أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في العلوم الإسلامية

تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إشراف:

أ.د. مسعود فلوسي

إعداد الطالبة:

أسماء مبروكي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أحمد عيساوي	أستاذ	جامعة باتنة -1-	رئيسا
مسعود فلوسي	أستاذ	جامعة باتنة -1-	مقررا
منوبة برهاني	أستاذ	جامعة باتنة -1-	ممتحنا
بدر الدين زواقة	أستاذ	جامعة باتنة -1-	ممتحنا
عيسى بوعافية	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة	ممتحنا
محمد البشير بن طبة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025-2026

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

يوسف: 108

الإهداء

هذا العمل إهداء خاص لفرسان أمتنا وقادتها الأبطال

إلى أرواح الشهداء، الذين فدوا أنفسهم لحفظ وجود أمة، وحفظ ما تبقى من كرامتها.

إلى أهل غزة العزة، إلى جنوب لبنان، إلى أهل سوريا، إلى أهل اليمن، إلى قوافل الصمود وأساطيل

الحرية، إلى كل أحرار العالم الشرفاء..

أنتم أساطير البطولة التي يخلدها التاريخ.

لكم جميعا.. أقدم هذه الأطروحة المتواضعة.. وأسأل الله تعالى أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أحمدته سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى توفيقه في إتمام هذا العمل.

والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:
أتقدم بخالص الشكر وأسمى آيات العرفان والتقدير إلى مشرفي الكريم حفظه الله تعالى الأستاذ الدكتور **مسعود فلوسي**، على صبره وتوجيهاته ونصائحه القيمة، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل المشرفين والقائمين على "موقع عبد السلام ياسين" بالمغرب، ومن بينهم: الدكتور **زكرياء السرتي**، والدكتور **ربيع حمو**، والدكتور **محمد رفيع**.

كما أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على التوجيهات والملاحظات القيمة، وكل المسؤولين على الجهود المبذولة من أجل الارتقاء بمستوى البحث العلمي.

ولا يفوتني أن أخص عائلتي الكريمة بالشكر الجزيل كلا باسمه ووسمه، وخاصة **الديّ العزيزين**، و**ابني الغالي "محمد حبيب"**، وأختي الغالية "جمانة"، وأخوي **العزيزين**.

بارك الله جهودكم جميعاً، جزاكم خيراً في الدنيا والآخرة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم.

الباحثة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فمن الملاحظ كثرة اهتمام العلماء المعاصرين بدراسة مقاصد الشريعة والبحث فيها، وذلك لما يتضمنه هذا الموضوع من قيمة كبيرة. وهذا لا يعني أن هذا الاهتمام وليد هذا العصر، فلقد تناول العديد من العلماء الأوائل موضوع المقاصد مثل أبي بكر القفال الكبير، والحكيم الترمذي، وإمام الحرمين الجويني، وأبي حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي، والآمدي والقرافي وغيرهم. ثم إن هذا العلم قد تطور بعد ذلك على يد كبار علماء الأصول مثل: الإمام الشاطبي الملقب بأبي المقاصد، الذي أكد أهمية العلم بمقاصد الشريعة لفهم جوهر المعاني الشرعية. كما برز فيه في عصرنا الإمام محمد الطاهر بن عاشور، وأسهم فيه غيره من العلماء المعاصرين.

وقد أكد هؤلاء العلماء على ضرورة فقه المقاصد لكل مسلم، وبصفة خاصة لمن يشتغل بالدعوة إلى الله عز وجل ويسعى في هداية الناس إلى الحق والخير.

ومن أجل رصد أهمية فقه المقاصد في ممارسة الدعوة في الواقع، رأيت أن أتبع ذلك في المسار الدعوي لداعية من الدعاة المسلمين المعاصرين البارزين. ولذلك جاءت هذه الدراسة لتبحث في (فقه المقاصد وتطبيقاته على العمل الدعوي المعاصر عند عبد السلام ياسين) كنموذج لأبرز الدعاة المعاصرين والمصلحين والمجددين في العالم الإسلامي عامة، ومؤسس حركة "جماعة العدل والإحسان" في المغرب خاصة، والذي اجتهد في بناء رؤية وتصور (معرفي نظري، سلوكي وتربوي، علمي عملي) في مختلف جوانب العمل الدعوي، وهو تصور قائم على مركزية البعد المقاصدي في العمل الدعوي المعاصر.

أهمية الموضوع:

مما لا شك فيه أن قيمة البحث تزداد كلما زادت الحاجة إليه، ولا خلاف حول ما حظي به فقه المقاصد من اهتمام كبير في الدراسات المعاصرة، لكونه علماً يهتم بروح الشريعة، ويبصر الإنسان بحقيقة الدين وجوهره.

ويمكن حصر أهمية الدراسة في البعدين التاليين:

أولاً: البعد المعرفي:

الدعوة إلى الله تعالى من أنبل وأسمى الأعمال، وهي وظيفة وميراث الأنبياء والمرسلين، وهي خير

الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى، والدعوة من مقتضياتها العلم والدراية، والداعية ملزم بالبصيرة والحكمة والموعظة الحسنة، حتى يأمن اللبس والخطأ، ويصل إلى غاياته المنشودة، ولعل من بين ما يرشده إلى سبيل ذلك: فقه المقاصد.

إن فقه المقاصد من الضروريات، لأنه يمكن الداعية من فهم حقيقة الدين بشكل عام، وفهم كليات الشريعة الإسلامية ومقاصد الدعوة بشكل خاص.

كما يساعده على إدراك مضامين الدعوة وترتيب أولوياتها، وفقه المصالح والمفاسد وحسن الترجيح إذا تعارضت فيما بينها، ومعرفة الأصول الثابتة والفروع المتغيرة، والقدرة على التمييز بين الهدف المشروع والهدف المحرم أو الوهمي.

كما أنه يوثق عرى الإيمان في قلوب الدعاة، ويمكنهم من مواجهة الشبهات والحملات المعلنة والمخفية ضد الإسلام، وذلك من خلال اطلاعهم على حكمة التشريع.

كما يعزز العقلية المقاصدية في أذهانهم، ويضبط اجتهاداتهم، ويوجههم الوجهة الصحيحة، ويجنبهم الوقوع في الجمود والسطحية، مما يسهل القيام بالعملية الدعوية دون انحراف عن إرادة الشارع الحكيم.

ثانيا: البعد الواقعي:

يشهد عصرنا اليوم تحولات عميقة للغاية، تشكل تحديًا واضحًا للدعوة الإسلامية في الداخل والخارج، لذلك من الأهمية بمكان البحث في موضوع الفقه المقاصدي في مجال العمل الدعوي المعاصر، باعتباره أحد المرجعيات الرئيسة المعتمدة.

ذلك أن التحديات الراهنة تتطلب عدة قوية من الفهم العميق، ومهارات فكرية ومعرفية وعملية متنوعة، فالداعية المعاصر كلما امتلك العلم وعمق المعرفة وبعد النظر، حقق أهداف الدعوة وغاياتها المنشودة.

وكلما أشبع بروح المقاصد وفهم واقع الدعوة، كلما أحسن توظيفها وتنزيلها، وأجاد إبراز فضائل الشريعة، وكشف عن الجانب المشرق للإسلام، الذي تعرض للتشويه بطريقتين: أولهما ما نسبه إليه أتباعه، والثاني مما افتراه عليه أعداؤه.

ولقد جاءت هذه الدراسة لتربط بين الأفكار النظرية والواقع العملي للدعوة، لأن وضوح مقاصد العمل الدعوي المعاصر وحسن التنزيل والتطبيق العملي على الواقع، يعد من أهم العوامل المؤثرة في نجاح العمل الدعوي المعاصر.

ونظرا لضخامة التطبيقات والممارسات ارتأيت إيجاد نموذج لأحد أبرز دعاة الإصلاح والتجديد المعاصرين، وهو الإمام المجدد "عبد السلام ياسين" رحمه الله، الذي اجتهد في بناء الوعي الإسلامي، وسعى إلى تحقيق الإصلاح الشامل، وفق رؤية وفقه مقاصدي.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع دوافع كثيرة يمكن حصرها في الآتي:

أولاً: أسباب ذاتية:

لطالما شدتني بعض المصطلحات الأصولية في مرحلتي الليسانس والماستر، وأثارت تفكيري ورغبتني في فهمها بتعمق ووعي.

ولطالما كانت بداخلي العديد من التساؤلات: هل المشكلة الحقيقية تتمثل في كيفية فهمنا وتفسيرنا للنصوص الدينية؟ وهل فهمنا للنص الديني فهم قطعي أم نسبي؟ وهل فهمنا يتوافق حقاً مع مراد الله عز وجل؟ ماهي الأدوات التي تمكننا من فهم الدين كما شرع؟ وكيف نستفيد من هذه الأدوات لمعالجة القضايا الجديدة التي لم ترد في الكتاب والسنة.

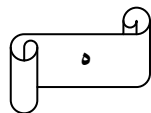
وأيضاً دراسة المقاصد في المجال الدعوي لم تكن بالنسبة لي مجرد تفكير عابر، بل تولدت الفكرة عندما كنت طالبة في السنة الأولى ماستر، ولهذا الموضوع قصة وهي أنني توجهت لزيارة زميلاتي دفعة السنة الأولى ماستر تخصص "دعوة وثقافة إسلامية" في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وحضرت حصة للدكتور "نور الدين سكال"، وكان حديثه عن التكامل المعرفي وفقه الدعوة وفقه الأولويات وفقه الواقع وفقه المقاصد وغير ذلك، فشد انتباهي موضوع المقاصد الذي رأيت حينها أنه يلامس تلك الأسئلة المتعلقة التي كانت تراودني، وودت أن أجعله موضوعاً لرسالة الماستر إن أمكنني ذلك، ونظراً لعمق الموضوع حسب نظري وضيق الوقت، قررت تأجيل طرحه، وجعله خاصاً بمرحلة الدكتوراه إن قدر لي الله ذلك.

ثانيا: أسباب موضوعية:

لفت انتباهي موضوع "التكامل المعرفي في العلوم الشرعية" ومدى خدمة العلوم لبعضها البعض، وتشكل لدي إحساس متزايد بأهمية الربط بين أصول الفقه وبين الدعوة الإسلامية، ومن هنا ارتأيت اختيار "فقه المقاصد" نظرا لتزايد الحديث عن " المقاصد" عند العلماء والمفكرين، ولأهميته وضرورته ودوره في خدمة الدعوة، وضرورة تزود الدعاة بهذا النوع من أنواع الفقه، الذي يجعل الداعية بصيرا ومتعمقا في فهم حقائق الدين ومقاصده من جهة، وفهم مقاصد وأهداف ومراحل الدعوة الإسلامية من جهة أخرى.

ويمكن تحديد الأسباب الموضوعية التي دفعتني إلى بحث هذا الموضوع فيما يلي:

- 1- أغلب الدراسات التي ركزت على فقه المقاصد عاجلته من منظور فقهي أصولي، بينما نجد قلة الدراسات المتخصصة التي تتناول فقه المقاصد في بعده الدعوي، في حدود اطلاع الباحثة على الأقل.
- 2- ندرة الدراسات التي تتناول التطبيقات المقاصدية في العمل الدعوي المعاصر، مما أدى لغياب النماذج العملية التي يستلهم منها الدعاة ممارساتهم.
- 3- اعتقاد بعض الدعاة أن فقه المقاصد خاص بالدراسات الأصولية البحتة، وقد أدت هذه النظرة إلى إغفاله في العديد من القضايا الدعوية الراهنة.
- 4- الخلط في مجال الدعوة بين المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية، والمقاصد الثابتة والمتغيرة، والمقاصد العامة والخاصة، والتعامل مع كل ذلك وفق نسق ودرجة واحدة، يعد خطأ جسيما وخللا بالغا، يضرب روح الدين وكيالاته ومبادئه العامة.
- 5- ما نجده من التداخل بين ضوابط وآليات المقاصد في المجال الدعوي، فبعض الباحثين ذكروا آليات المقاصد الدعوية باعتبارها ضوابطا للمقاصد.
- 6- التحديات الناتجة عن الحملات التي تستهدف تشويه صورة الإسلام، وتشكيل ما يسمى بالإسلاموفوبيا، والتطورات المتسارعة والظروف المستجدة، تقتضي الاجتهاد الدعوي المدعم بالفقه المقاصدي، وذلك لإنجاح عرض الإسلام وتوضيح محاسنه.
- 7- فقه المقاصد في المجال الدعوي ليس مقصورا فقط على فهم أهداف الدعوة، بل يتعداه إلى فهم



أبعادها ومتعلقاتها ومتطلباتها وأولوياتها ومستجداتها، وامتلاك أدوات الفقه ومفاتيحه (فقه الأولويات، فقه الواقع، فقه الموازنات، فقه الأساليب والمناهج والوسائل، فقه الاختلاف والائتلاف، فقه المصالح والمفاسد، سد وفتح الذرائع، علم النفس، علم الاجتماع، والوعي بمآلات التنزيل وحسن التفاعل مع المتغيرات، وفهم سنن وبراهين الله عز وجل...)، وهذه النظرة الشمولية والكلية لا ينبغي أن تغيب عن أذهان العاملين في الميدان الدعوي.

إشكالية الدراسة:

لقد أخذ فقه المقاصد حيزا كبيرا من الاهتمام في الدراسات الإسلامية المعاصرة، وقد دعا العديد من الباحثين إلى ضرورة تفعيله مع بيان خطورة تغييره في الدراسات الشرعية، خاصة في ظل التعقيدات والتغيرات المتسارعة التي تشهدها الساحة الإسلامية على المستوى الفكري والتنظيري أو على مستوى الممارسة في الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والقيمي والحضاري في عمومه.

لذلك يلمح الدارس حضورا متزايدا لمحاولات إعمال فقه المقاصد في مسعى تجاوز تعقيدات العديد من مجالات الحياة المعاصرة التقنية والسياسية والطبية والأمنية والإدارية والأخلاقية... وحتى ما يتعلق بأزمة وتحديات الخطاب الإسلامي المعاصر، بعدما كان حديث المقاصد لا يتجاوز حضوره مجال الفقه والأصول. من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة لتبحث في حدود - إمكان و/أو عدم - استصحاب فقه المقاصد باعتباره منهجا أصوليا في تجاوز إشكالات وتحديات العمل الدعوي المعاصر.

ونظرا لتعدد جهود بعض المعاصرين من العلماء والدعاة والمصلحين في إعمال فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر، فقد وجدت أن من أبرز التجارب في هذا المجال، تجربة الشيخ المجدد عبد السلام ياسين رحمه الله، حيث رأيت أهمية تسليط الضوء على هذه الشخصية الدعوية والاصلاحية نظرا لجهودها الضخمة في ميدان العمل الدعوي، وأيضا ما لمستته من خلال اطلاعي على أعمال عبد السلام ياسين، والتي أظهرت في مجملها اهتمامه بالرؤية الشمولية المقاصدية، ومساعيه الاجتهادية في ربط الجانب المقاصدي بمتغيرات الواقع الزمانية والمكانية، وقد عبر عن مقاصده الدعوية بتسمية حركته بـ "جماعة العدل والإحسان"، معتبرا أن مقصدي "العدل والإحسان" من أولى وكبرى الأهداف التي يسعى لتحقيقها في ميدان عمله الدعوي.

ومن هنا يمكن صياغة إشكالية هذه الدراسة في هذا السؤال الرئيس: كيف يمكن تطبيق فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر؟ وما مدى نجاح نموذج عبد السلام ياسين في ذلك؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة عدة أسئلة فرعية في الجانبين النظري والتطبيقي:

أولاً: تساؤلات الدراسة في المجال النظري:

- ما دلالة فقه المقاصد؟ وما علاقته بالعمل الدعوي؟
- ما هي أنواع وضوابط فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر؟
- ما أهمية إعمال فقه المقاصد؟ وما إشكاليات غيابه في العمل الدعوي المعاصر؟

ثانياً: تساؤلات الدراسة في المجال التطبيقي:

- ما هي المقاصد الرئيسة التي بنى عليها عبد السلام ياسين تجربته الدعوية؟
 - كيف طبق عبد السلام ياسين فقه المقاصد في مسيرته الدعوية؟
- هذه وغيرها من التساؤلات حاولت الإجابة عنها في هذه الأطروحة التي أتقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه، والموسومة بعنوان: (فقه المقاصد وتطبيقاته على العمل الدعوي المعاصر - عبد السلام ياسين أمودجا).

أهداف الدراسة:

- سعت من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:
- 1- إثبات فكرة أن العلوم الشرعية خادمة لبعضها البعض، وكلما انتهل الداعية من علومها المختلفة، أصبح أعمق وأكثر إقناعاً.
 - 2- التعرف على موضوع فقه المقاصد وإبراز أهميته وضوابطه في مجال العمل الدعوي المعاصر.
 - 3- تنبيه الدعاة إلى ضرورة تبني العقلية المقاصدية عند التعامل مع مختلف القضايا الطارئة والمستجدة.
 - 4- بيان ضرورة الاستفادة من الجوانب الأصولية في الدراسات الدعوية.

5- التعرف على مدى تفعيل الدعوة المعاصرين للجانب المقاصدي في الميدان العملي الحركي، وذلك من خلال عرض تجربة عبد السلام ياسين الدعوية كنموذج.

خطة الدراسة:

بناءً على موضوع الأطروحة، والإشكالات التي حاولت الإجابة عنها، قسمت البحث إلى باين، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة:

أما الباب الأول، فقد خصصته لمعرفة (الفقه المقاصدي والعمل الدعوي "مقاربة تأصيلية")، وقسمته إلى فصلين:

أبرزت في الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجته - أقسامه - ضوابطه)، حيث تعرضت في المبحث الأول إلى تعريف فقه المقاصد، وبينت في المبحث الثاني حجته من الكتاب والسنة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم، أما في المبحث الثالث فتعرضت إلى بيان أقسام وضوابط فقه المقاصد حسب منظور الدراسة.

وعالجت في الفصل الثاني: (علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر)، فحددت في المبحث الأول مفهوم العمل الدعوي المعاصر، وأبرزت في المبحث الثاني أهمية فقه المقاصد في المجال الدعوي، وحرصت في المبحث الثالث على بيان مقاصد العمل الدعوي المعاصر وأبعاده العالمية.

أما الباب الثاني، فقد خصصته لمعرفة (فقه المقاصد وتطبيقاته في تجربة عبد السلام ياسين الدعوية)، ويمثل الجانب التطبيقي من الدراسة، وقسمته إلى ثلاثة فصول:

تناولت في الفصل الأول: (عبد السلام ياسين "حياته، آثاره، عمله الحركي")، فتتبع في المبحث الأول مسيرة حياة عبد السلام ياسين رحمه الله، وعالجت في المبحث الثاني العمل الحركي عند عبد السلام ياسين وركزت فيه على مشروع جماعة العدل والإحسان، أما في المبحث الثالث فتحدثت عن آثاره العلمية وأهم ما جاء في وصيته.

وبينت في الفصل الثاني: (النظر التأصيلي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين)، حيث تعرضت في المبحث الأول إلى إبراز مفهوم المقاصد عند الشيخ عبد السلام والتصنيفات التي اعتمدها في

ذلك، وكشفت في المبحث الثاني المصادر الأساسية للمقاصد التي اعتمدها عبد السلام ياسين، وتناولت فيه أصل تحكيم الوحي والسنة والتاريخ والواقع في النظر المقاصدي، أما في المبحث الثالث فتطرت لتناول عبد السلام ياسين لمصطلح مقاصد الدعوة وتبينه لدور الدعوة في تحقيق هذه المقاصد.

أما الفصل الثالث: (النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين)، فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث خصصت كل واحد منها لمقصد من مقاصد الدعوة عند عبد السلام ياسين، حيث تناولت في المبحث الأول مطلب الإحسان في دعوة عبد السلام ياسين، وأبرزت في المبحث الثاني مطلب العدل في دعوة عبد السلام ياسين، وخصصت المبحث الثالث لمطلب وحدة الأمة في دعوة عبد السلام ياسين.

وأنهت الأطروحة بخاتمة لخصت فيها النتائج العامة للبحث.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على:

المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يعتمد على وصف موضوع محل الدراسة وجمع كافة البيانات اللازمة المتعلقة به من مصادر مختلفة، لا سيما ما يتصل بتجربة الشيخ عبد السلام ياسين، من خلال دراسة نصوصه وتصوراتهِ وتوجهاته ومواقفه واجتهاداته، وتحليل كيفية الربط بين المقاصد الدعوية النظرية والتطبيقية في مشروعه الدعوي، وذلك لاستخراج الحقائق بكل موضوعية، والاستفادة منها في الدراسات الدعوية المعاصرة.

الدراسات السابقة:

يمكن تصنيف الدراسات السابقة المقارنة لموضوع البحث إلى الأقسام التالية:

أولاً- الرسائل الجامعية:

1- رسالة دكتوراه (الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا)، للباحثة: منوبة برهاني، إشراف: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي، تخصص: فقه وأصول، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية - جامعة باتنة، 2006م - 2007م.

وقد تمت الاستفادة الكبيرة من هذه الأطروحة العلمية في إطارها المعرفي والمنهجي.

2- رسالة ماجستير (فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية)، للباحث: سعد بن عبد الله بن سعد القعود، إشراف: الدكتور محمد عبد المولى جمعة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الدعوة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 1432هـ.

وقد اهتمت الدراسة بذكر أبرز مقاصد الدعوة إلى الله، وإعداد الدعاة لتحقيق هذه المقاصد، وبيان آثار ذلك على شخص الداعية وفكره وعمله الدعوي. ورغم التقارب الموضوعي في شطر من الرسالة العلمية، غير أن هذا لم يمنع من وجود الاختلاف، فدراستي أخذت حيزاً آخر من الاهتمام، كما ركزت على الجانب العملي من فقه مقاصد الدعوة من خلال تقديم نموذج الداعية المصلح والمحدد "عبد السلام ياسين".

3- رسالة ماجستير في الفقه والتشريع تحت عنوان: (عبد السلام ياسين وأثره على علم المقاصد في العصر الحديث)، للباحث: وسيم عوني صلاح أبو حسن، إشراف: الدكتور عبد الله أبو وهدان، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، تم تقديم هذه الرسالة سنة 2015م، والتي توجه فيها الباحث إلى بيان أثر اجتهادات عبد السلام ياسين في علم المقاصد في العصر الحديث، ولكنها لم تستوعب التطبيقات المقاصدية الدعوية عند عبد السلام ياسين.

ثانياً: كتب ودراسات حول الشيخ عبد السلام ياسين، ومن أهمها:

1- عبد السلام ياسين الإمام المجدد، للأستاذ محمد العربي أبو حزم: وهو كتاب ذو أهميته البالغة لكونه من المصادر الأولية التي جمعت المعلومات التاريخية والعديد من التفاصيل المرتبطة بحياة عبد السلام ياسين، ويتكون الكتاب من جزئين، وقد نشر في لبنان سنة 2018.

2- نظرات في الفقه والتاريخ، للأستاذ عبد السلام ياسين: ويعتبر الكتاب مصدراً من المصادر المهمة، لأنه ركز على جوهر موضوع الدراسة، فعرض المؤلف أزمة الانحراف التاريخي، وألح على ضرورة إعادة فهم مجريات التاريخ بمزيد من النقد الفاحص، وفهم الواقع وتحليله ونقده، واستشراف المستقبل والنظر إليه بعيون الشغف والنصر، والتطلع الدائم لموعد رسول الله ﷺ، والجهاد لبناء أمة قادرة على تحقيق مستقبل عودة الخلافة على منهاج النبوة، وقاعدة الانطلاق تستند على أساس تحكيم القرآن، ومعرفة أسباب التنزيل والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، وفهم الأهداف والغايات الدنيوية والأخروية فهما دقيقاً

وشاملاً، ومحاولة غرسها في حياتنا اليومية.

3- مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي عند الاستاذ عبد السلام ياسين: وهو كتاب أعمال المؤتمر الدولي الأول والمنعقد في اسطنبول/ تركيا سنة 2012م، ويعتبر من أهم الكتب التي اعتمدت عليها، لكنه لا يتعلق بالجزئية المحددة التي عالجتها في هذه الأطروحة.

4- التغيير في نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين مفهومه وإشكالاته وقضاياها: وهو كتاب أعمال المؤتمر الدولي الثاني في نظرية المنهاج، ط1، إسطنبول، سنة 1437هـ /2016م، ويعتبر من أهم الكتب التي استفدت منها كثيراً، لكنه كذلك لا يتعلق بالموضوع المحدد الذي يتناوله هذا البحث.

5- مراجعات في التراث المقاصدي والأصولي والفقهية عند الإمام عبد السلام ياسين: وهو كتاب للدكتور محماد رفيع، صدر هذا الكتاب سنة 2021م، وقد تناول فيه المؤلف التراث العلمي الإسلامي للشيخ عبد السلام ياسين، وراجع من جانب فقهي وأصولي ومقاصدي. وموضوع أطروحتي يشترك معه في كون كليهما يتطرق لدراسة كتابات وأعمال الشيخ عبد السلام ياسين من جانب مقاصدي، ولكن الاختلاف يكمن في أن دراستي تتناول تحديداً مقاصد الشيخ عبد السلام ياسين في مجال العمل الدعوي المعاصر.

6- اجتهادات الإمام عبد السلام ياسين في تجديد وتفعيل مقاصد الإسلام - نحو بناء الإنسان وتحقيق العمران، وهو كتاب من تأليف الأستاذ وسيم عوني صلاح أبوحسن، وقد نشرته مؤسسة الإمام عبد السلام ياسين سنة 2021. ولم أتمكن من الوصول إليه والاطلاع على مضمونه. لكنني وقفت على تعريف موجز به، جاء فيه: "يتناول هذا الكتاب الاجتهادات العميقة التي قدّمها الإمام عبد السلام ياسين في موضوع المقاصد، حيث نظر في اجتهادات العلماء السابقين فأثنى وأثّل كثيراً منها، كما انتقد وأعاد النظر في بعض إنتاجاتهم وخاصة صيغة الحفظ حين نقول (حفظ الدين، حفظ النفس...) فيرى أنها صيغة مظلوفة بظروف نشأتها في زمن كان عند المسلمين شيء يستحق أن يحفظ، أما في زماننا فاقترح النظر للمقاصد من خلال صيغة الطلب. ومن مواضيع البحث أيضاً، التنظير للمقاصد وتحويلها من صيغة فردية إلى صيغة جماعية تهتم بشأن الأمة العام في مواضيع السياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها من المسائل.

ثالثا: كتب حول المقاصد في المجال الدعوي:

من أهمها: كتاب بعنوان: "إعمال المقاصد في المجال الدعوي"، وهو عبارة عن مجموعة بحوث، أشرف على جمعها وتحريرها الدكتور عصام أحمد البشير، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، سنة 1437هـ/2016م، وتضمن هذا الكتاب العديد من البحوث المتعلقة بمقاصد الدعوة وحاجة الدعوة المعاصرة لفقهاء مقاصد الشريعة وفوائد إعمال المقاصد في المجال الدعوي، وهو كتاب له أهمية بالغة وقريبة جدا من مجال بحثي، ولقد اعتمدت على ما جاء فيه بشكل كبير لمامسته العديد من المسائل والأفكار التي جاءت في ثنايا البحث، ولكن يكمن الفارق في كون الكتاب يطرح موضوع المقاصد الدعوية بشكل عام، لكن بحثي يتناوله من جانب خاص، حيث قمت بالتركيز على فكر وأعمال عبد السلام ياسين المقاصدية في جانبها الدعوي.

رابعا: مقالات على المواقع الإلكترونية:

من أهمها: مقال بعنوان (الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين) لمحمد رفيع، <https://aljamaa.com>، ومضمونه حول: القواعد والكتليات المقاصدية التي هي أساس نظرية المنهاج النبوي المعتمدة لدى الشيخ عبد السلام ياسين تأصيلا وتنزيلا، وقد اعتمدت بشكل كبير على ما جاء في هذا المقال لوجود علاقة وطيدة بينه وبين موضوع دراستي في شقها التطبيقي، فكلاهما يهتم بالجانب المقاصدي عند عبد السلام ياسين، لكن الفارق أن بحثي يعتمد كلياً على دراسة المقاصد الدعوية عند الشيخ عبد السلام ياسين دراسة دعوية محضة بعيداً عن الجانب الفقهي الأصولي، وقد قام الدكتور محمد رفيع فيما بعد بتأليف كتاب يدور حول موضوع هذا المقال، المدرج تحت عنوان: "مراجعات في التراث المقاصدي والأصولي والفقهي عند الإمام عبد السلام ياسين"، وهو ما أشرت إليه فيما سبق.

خامسا: بحوث المجالات العلمية:

أهمها: بحث بعنوان: "المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية" للدكتور: أحمد بن علي الخليلي، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الثالث، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، سنة 1431هـ، ومضمون البحث حول: ضرورة تحكيم المصلحة الدعوية الملائمة لقواعد الشريعة في النوازل والمستجدات والقضايا المعاصرة، ومعرفة

أقسامها وضوابطها.

وتكمن العلاقة بين هذا البحث ودراستي في الهدف العام، والمتمثل في كون المقصد العام للمقاصد الدعوية هو العمل على تحقيق المصالح الدعوية ومراعاة مصالح الناس بما يتناسب مع الظروف والمتغيرات.

صعوبات الدراسة:

لعل الصعوبات التي واجهتها خلال البحث ذاتية أكثر منها موضوعية، بسبب الظروف الصحية والعائلية، إلى جانب الظروف المهنية المرتبطة بالتدريس في قطاع التعليم الثانوي، وهذا كله دفعني للانقطاع عن البحث مرات عديدة، ومع ذلك يمكن ذكر بعض الصعوبات الموضوعية المتمثلة فيما يلي:

- حقيقة أن المقاصد علم ولد من رحم الفقه وأصوله، اقتضى مني دراسة الكثير من الكتب الأصولية التي تناولت موضوع المقاصد الشرعية.
- حقيقة أن المقاصد علم قائم بذاته جعل من الصعب عليّ الإحاطة بكافة تفرعاته أثناء القراءة والصيغة.
- صعوبة توضيح المقاصد الدعوية من وجهة نظر عملية تطبيقية، الأمر الذي شكل نوعاً من التردد لدى الباحثة.

الباب الأول:
الفقه المقاصدي والعمل الدعوي
"مقاربة تأصيلية"

ويتضمن فصلين:

الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجيته - أنواعه -
ضوابطه)

الفصل الثاني: علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر

الباب الأول: الفقه المقاصدي والعمل الدعوي "مقاربة تأصيلية"

من مقتضيات الدعوة والتبليغ، الدراية والحكمة والفقه المتبصر بكل جانب من جوانب الدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹، وقد ورد في تفسير الإمام الرازي قوله: "الحكمة إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها"²، وذكر المراغي أن الحكمة هي أسرار الشريعة ومقاصدها³، وقال ابن عاشور: "هي العلم بالله ودقائق شرائعه، وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده"⁴.

وإنه لمن أهم الأولويات الدعوية التبصر بفقه المقاصد الذي يعتبر كالبوصلة تماما لما يقوم به من حسن توجيه وتوضيح لمعالم الرؤية دون ضبابية وانحراف، كما أنه يرفع مستوى أداء العمل الدعوي بما يتناسب مع احتياجات ومستجدات الواقع المعاصر الذي أصبحت فيه الدعوة عملية متشابكة وصعبة.

والداعية اليوم مطالب بامتلاك مفاتيح الوعي لإتقان رباعيات النجاح الدعوي (نجاح على مستوى الداعية، نجاح على مستوى الأسلوب، نجاح على مستوى المنهج، نجاح على مستوى الوسيلة)، مراعيًا في كل ذلك مقاصد الدعوة الإسلامية.

وبناء على هذا قسمنا هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجته - أقسامه - ضوابطه).

الفصل الثاني: علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر.

1 - النحل: 125.

2 - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ، ج9، ص419.

3 - يُنظر: أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ-1946م، ج1، ص217.

4 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، دط، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ، ج1، ص723.

الفصل الأول: فقه المقاصد

تعريفه – حجيته – أقسامه – ضوابطه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف فقه المقاصد

المبحث الثاني: حجية فقه المقاصد

المبحث الثالث: أنواع فقه المقاصد وضوابطه

الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجته - أقسامه - ضوابطه)

توطئة:

يقرر علماء الأصول أن "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"، لذلك لا يمكن معالجة المقاربة التأصيلية إلا بعد تحديد المفاهيم الأساسية لفقه المقاصد وبيان حجته وأقسامه وضوابطه، وهو ما سنتناوله في هذا الفصل بالدراسة والتحليل وفق الآتي.

المبحث الأول: تعريف فقه المقاصد.

المبحث الثاني: وفيه بيان حجية فقه المقاصد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وعمل الصحابة رضوان

الله عليهم.

المبحث الثالث: وفيه عرض أنواع فقه المقاصد باعتباراتها المختلفة، وذكر ضوابط فقه المقاصد

حسب منظور الدراسة.

المبحث الأول: تعريف فقه المقاصد

يهدف هذا المبحث إلى التعريف بفقه المقاصد وبلورة مفاهيمه اللغوية والاصطلاحية وتحديد المفهوم الإجرائي لفقه المقاصد، وفق رؤية الدراسة؛ ذلك أن الشروع في توضيح دقائق وتفاصيل علم من العلوم، وتمييز مسأله من اللبس والغموض، يستحيل دون ضبط المفاهيم.

وبناء على ذلك، فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الفقه

المطلب الثاني: تعريف المقاصد

المطلب الثالث: التعريف الإجرائي لفقه المقاصد

المطلب الأول: تعريف الفقه

الفرع الأول: تعريف الفقه لغة:

الفقه في اللغة له معان عديدة، وكلها تجتمع في معنى واحد مشترك يدور حول "الفهم العميق والدقيق"، نذكر منها:

• الفقه: بمعنى: الإدراك العميق، قال ابن فارس: "فَقَّهَ: أَلْفَأَ وَأَلْفَأُ وَأَلْفَأُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْعِلْمِ بِهِ"¹.

• الفقه: بمعنى الفهم، قال ابن الأثير: "الفَقْهُ فِي الْأَصْلِ: الْفَهْمُ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الشَّقِّ وَالْفَتْحِ، يُقَالُ: فَقَّهَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ - يَفْقَهُهُ فَفَقَهَا إِذَا فَهِمَ وَعَلِمَ"². وقال الأزهري: "قال لي رجل من كلاب وهو يصف لي

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج4، ص442.

² - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م، ج3، ص465.

شيئا فلما فرغ من كلامه قال أفقّهت؟ يريد أفهّمت¹ .

● الفقه: بمعنى العلم، قال ابن منظور: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له"² ، وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)³ ، أي علمه تأويله ومعناه... وفقهه العرب: علمهم، وكل عالم بشيء فهو فقيه⁴ .

● الفقه: بمعنى الفطنة، "فقه الأمر فقها: أحسن إدراكه، فقه بضم القاف فقاها: صار فقيها، الفقه: الفهم والفطنة والعلم، الفقيه: العالم الفطن، العالم بأصول الشريعة وأحكامها، واستعمل فيمن يقرأ القرآن ويعلمه"⁵ .

ومما سبق نستخلص أن معنى الفقه في التعريف اللغوي يدور حول عدة معان، وهي: (الفهم، والعلم، والفطنة، وحسن الإدراك).

الفرع الثاني: تعريف الفقه اصطلاحا:

ورد لفظ الفقه في القرآن الكريم، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾⁶ ، وقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِعَلَّهُمْ يُفْقَهُونَ﴾⁷ ، وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج13، ص522.

² - ابن منظور، لسان العرب، دط، دار صادر، لبنان، بيروت، دس، المجلد13، ص522.

³ - أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب ابن عباس، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1990م، ج3، ص615.

وأخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من وضع الماء عند الخلاء، ت: حقيق مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، 1407هـ - 1987م، ج1، ص66.

⁴ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1428هـ - 2007م، ج35، ص228.

⁵ - إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، دس، ج1، ص698.

⁶ - الأنعام: 98.

⁷ - الأنعام: 65.

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا¹ ، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)² . ويراد بالفقه في القرآن الكريم "معرفة بواطن الأمور والوصول إلى أعماقها، فمن لم يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يسمى فقيها، واستعمال القرآن الكريم له يدل على أنه أدق من العلم"³ .

وقد ذكر ابن القيم أن لفظ الفقه عند السلف يطلق على العلم الذي يَصْحَبُهُ الْعَمَلُ⁴ . كما أريد به أيضا: "علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة"⁵ ، كما روي عن أبي حنيفة أنه قال: "الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها"⁶ ، كما عرفه الجرجاني بقوله: "فهم غرض المتكلم من كلامه"⁷ .

ولفظ الفقه في القديم مرادف "للشريعة والشرعة والشرع والدين، وقد غلب استعمال هذه الألفاظ في الدين وجميع أحكامه"⁸ . أما في العصر الحديث فإنه يطلق على علم مخصوص من علوم الشريعة الإسلامية، وقد اشتهر تعريفه عند الفقهاء والأصوليين بقولهم:

1/ "الفقه علم يبحث فيه عن أحكام أفعال المكلفين وما أشبهها، خطابا أو وضعاً، ويشمل ذلك الوجوب، والندب والكرهية، والحظر، والإباحة، والصحة، والفساد، ونحوها"⁹ .

¹ -النساء:78.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دس، ج2، ص 718.

³ - عبد الحكيم الرميلي، تغير الفتوى في الفقه الإسلامي (سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية)، دار الكتب العلمية، ص36.

⁴ - يُنظر: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص89.

⁵ - أبي الفيض محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، إتخاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، ج1، ص366.

⁶ - أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتي، 1414هـ - 1994م، ج1، ص36.

⁷ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص168.

⁸ - أبو الحسن البغدادي المالكي، الاجتهاد والتقليد، ت: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العمية، ص427.

⁹ - نجم الدين الحنبلي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ص17.

2/ "الفقه علم مستنبط يعرف منه أحكام الدين"¹.

3/ "مجموعة الأحكام العملية المشروعة في الإسلام"².

4/ "معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية"³.

ونظرا للتعريفات الكثيرة لهذا المصطلح، ارتأيت توضيح هذا التعريف الأخير لكونه شائعا ومتداولاً عند علماء الفقه، فقد أوضح محمد بن صالح بن محمد العثيمين المراد بكلمة «معرفة»: العلم والظن؛ لأن إدراك الأحكام الفقهية قد يكون يقينياً، وقد يكون ظنيّاً، كما في كثير من مسائل الفقه.

والمراد بـ«الأحكام الشرعية»: الأحكام المتلقاة من الشرع؛ كالوجوب والتحريم، فخرج به الأحكام العقلية؛ كمعرفة أن الكل أكبر من الجزء، والأحكام العادية؛ كمعرفة نزول الطل في الليلة الشاتية إذا كان الجو صحواً.

والمراد بـ«العملية»: ما لا يتعلق بالاعتقاد؛ كالصلاة والزكاة، فخرج به ما يتعلق بالاعتقاد؛ كتوحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته، فلا يسمّى ذلك فقهاً في الاصطلاح.

والمراد بـ«أدلتها التفصيلية»: أدلة الفقه المقرونة بمسائل الفقه التفصيلية؛ فخرج به أصول الفقه؛ لأن البحث فيه إنما يكون في أدلة الفقه الإجمالية⁴، والدليل التفصيلي تُعتبر السنة جزءاً منه، فهو المصدر الثاني للأحكام بعد القرآن الكريم، يليه الإجماع ثم القياس ثم بقية الأدلة⁵.

والتعريف الذي يخدم الدراسة في أبعادها المعرفية والمنهجية، يقوم على اعتبار الفقه مرتباً بالفهم والبصيرة وبعد النظر، مشتقاً من النصوص ودلالاتها وأهدافها، كما عبر عن ذلك نورالدين بن مختار

¹ - قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ت: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، 2004م-1424هـ، ص116.

² - مصطفى أحمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، ط2، دار القلم، دمشق، 1425هـ، 2004م، ج1، ص66.

³ - عبد الله بن محمد الطيّار، عبد الله بن محمد المطلق، محمد بن إبراهيم الموسى، الفقه الميسر، ط1، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1432/2011، ج13، ص5.

⁴ - يُنظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الأصول من علم الأصول، ط4، دار ابن الجوزي، 1430 هـ - 2009 م، ص7.

⁵ - يُنظر: محمد رشاد خليفة، مدرسة الحديث في مصر، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة، دس، ص143.

الخادمي بمدلول "الفقه الشامل"، ذلك الفقه الحضاري الذي يشمل جميع شعب المعرفة وجوانب الحياة¹.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد

الفرع الأول: تعريف المقاصد لغة:

تشير المدلولات والاصطلاحات اللغوية لكلمة قصد، إلى معان متعددة:

1- القصد بمعنى: إتيان الشيء، قال ابن فارس: (قصد) القاف والصاد والذال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء².

2- القصد بمعنى الوجهة، جاء في المعجم الوسيط (المقصد: بكسر الصاد موضع القصد، وفتح الصاد يقال: إليه مقصدي: وجهي³، ومنه سمي (الحج: القصد وكل حج قصد)⁴.

3- القصد بمعنى الاستقامة، جاء في لسان العرب: قصد يقصد قصداً، فهو قاصد، والقصد يدل على استقامة الطريق⁵، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾⁶، جاء في تاج العروس: "أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة"⁷، وقال القرطبي: "استقامة الطريق، يقال: قاصد، أي: يؤدي إلى المطلوب، ومنها جائر، أي: ومن السبيل جائر، أي: عادل عن الحق فلا يهتدى به"⁸.

4- القصد بمعنى: الاعتدال والتوسط، "وقصد في الأمر لم يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط..

1 - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة - الاجتهاد المقاصدي _حجته..ضوابطه..مجالاته، ج1، ص18-19.

2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، دس، ج5، ص95.

3 - إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دط، دار الدعوة، استانبول، تركية، دس، ج1، ص738.

4 - ابن فارس، مجمل اللغة لابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1406 هـ - 1986م، ص221.

5 - يُنظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، دط، دار الجيل، بيروت، 1408هـ-1988م، مج5، ص96.

6 - النحل:9

7 - السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1428هـ-2007م، المجلد5، ج9، ص20،21،25.

8 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1427هـ-2006م، ج12، ص290.

والقاصد: القريب، يقال: سفر قاصد، أي سهل قريب"¹، قال الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾²، قال ابن كثير: "أي: امش مقتصدا مشيا، ليس بالبطيء المتشط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطا"³.

إذن القصد يطلق ويراد به معان عدة، لخصها ابن جني، فقال: "أصل (قصد)، ومواقعها في كلام العرب الاعتزام، والتوجه، والنهوض والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة، كما تقصد العدل أخرى فالاعتزام والتوجه شامل لهما"⁴.

الفرع الثاني: تعريف المقاصد اصطلاحا:

قدم علماء المقاصد المعاصرون العديد من التعريفات الاصطلاحية لمقاصد الشريعة، ومن بين أهم تلك التعريفات ما يلي:

تعريف الطاهر بن عاشور: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة. ومقاصد التشريع الخاصة هي: الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة"⁵، ولكن يؤخذ على هذا التعريف أن لفظ المعنى لا يدل على المقصد، بل على التفسير، بينما المقصد معناه الغاية، وكذلك الحكم، فهي أوسع وأشمل من المقاصد"⁶.

تعريف علال الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل

1 - تاج العروس من جواهر القاموس، ص20، 21، 25.

2 - لقمان: 19

3 - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419هـ، ج6، ص303.

4 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج3، ص353.

5 - محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: الطاهر البيسوي، دط، دار النفائس، الأردن، 1421هـ-2001م، ص251.

6 - يُنظر: www.alukah.net، حمزة بن عبد العزيز المحاطي، مقدمة في التعريف بعلم مقاصد التشريع، التاريخ: 2020/5/17، التوقيت: 7:00.

حكم من أحكامها". فالغاية والأسرار منتظمان في مصلحة الإنسان¹.

ويؤخذ على هذا التعريف أنه لم يحدد القصد من كلمة "الأسرار"²، وكذلك كون المقاصد ليست دائما من باب الأسرار في الشريعة.³

تعريف الريسوني: "مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد".⁴

تعريف يوسف القرضاوي: "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والاباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفرادا وأسرا وجماعات وأمة".⁵

تعريف يوسف حامد العالم: "المصالح التي تعود على العباد في دنياهم وأخراهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو عن طريق دفع المضار"⁶

تعريف عبد الله بن بيه: "مقاصد الشريعة هي المعاني الجزئية أو الكلية المفهومة من خطاب الشارع ابتداء، أصلية أو تابعة، وكذلك المرامي والمرازم والحكم والغايات المستنبطة من الخطاب، وما في معناه من سكوت بمختلف دلالاته مدركة للعقول البشرية متضمنة لمصالح العباد معلومة بالتفصيل أو في الجملة".⁷

تعريف إسماعيل الحسني: "إنها كما تتجسد في المعاني المقصودة من الخطاب الشرعي التي يتوصل إليها باستحضار المقام الذي سيق فيه الخطاب، هي أيضا الغايات المصلحية المقصودة من تشريع الأحكام، والتي تنتظم في تحقيق مهام الاستخلاف التي جعل الله تعالى الإنسان مسؤولا عن القيام بها، ومكلفا

¹ - علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي، 1993، ص7.

² - يُنظر: محمد بكر إسماعيل حبيب، مقاصد الشريعة تأصيلا وتفصيلا، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد213، 1427هـ، ص17.

³ - يُنظر: www.alukah.net، حمزة بن عبد العزيز الجاطي، مقدمة في التعريف بعلم مقاصد التشريع، التاريخ: 2020/5/17، التوقيت: 7:00.

⁴ - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ت: طه جابر العلواني، ط4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ-1995م، ص19.

⁵ - يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والجزئية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1427هـ-2006م، ص21.

⁶ - يوسف حامد العالم، مقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط2، دار العالمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص79.

⁷ - عبد الله بن بيه، مشاهد من المقاصد، ط2، دار وجوه، السعودية، الرياض، 133هـ-2012م، ص32، 33.

بإنجازها في حياته، وفي حياة المجتمع والأمة. ويتعلق الأمر هنا بالإصلاح الشامل للاعتقاد وللعقول وللأعمال بما يمكن من عمارة الأرض، والانتفاع بما خلقه الله في دائرة الأخوة البشرية".¹

المطلب الثالث: التعريف الإجرائي لفقه المقاصد

سعى البعض إلى توضيح مفهوم الفقه المقاصدي، فذكر الريسوني أن الغرض منه: "فهم أحكام الشريعة فهما مقاصديا مصلحيا تعليليا اجتهاديا، بعيدا عن التعامل الحرفي الظاهري السطحي مع النصوص من جهة، وعن التقليد والجمود على موروثات الأوائل من جهة، والتشبع بهذا الفهم، والتمكن من قواعده، والتوسل بمنهجه، واعتماد أدواته واستصحابها في كل ما يمكن تقديره أو تقريره أو تفسيره، ليس في مجال الشريعة وحدها، بل في كل المجالات العلمية والعملية".²

واستنادا على التعريفات اللغوية والاصطلاحية سألفة الذكر، يمكن اعتبار فقه المقاصد بأنه الفهم العميق للغايات والأهداف والمعاني المقصودة من خطاب الشارع ابتداء، وكذلك الأهداف والحكم والأسرار المستنبطة منه، بما في ذلك مصالح الناس المعلومة بالتفصيل أو في الجملة، والتي جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيقها، والتمكين من ممارستها الواعية في الواقع المعاصر.

ولتمكين التعريف من الانسجام والتوافق مع دلالات العمل الدعوي المقصودة في الدراسة، تم اعتبار المحددات الآتية:

العلم: فإدراك فقه المقاصد لا يمكن أن يكون صدفة أو منة يلتقطها الداعية من خلال ممارستها للعمل الدعوي، بل السبيل إليها محكم ودقيق ومنظم، خاضع لضوابط منهجي دقيق وصحيح قائم على أصول نظرية وعملية مؤسسة ومبرهن على صحتها، خاصة في زمننا اليوم الذي تنوعت فيه الوسائل والأدوات والمناهج البحثية المتعلقة بالدعوة كمسلك علمي، وكعملية اتصالية تتم بين مرسل ومستقبل.

الفهم: لا يكفي العلم وحده للتمكن من استيعاب المقاصد الدعوية بل ينبغي الفهم العميق للسياق الذي تتداول فيه العملية الدعوية بكل أبعادها السياسية والثقافية والقيمية والحضارية.

¹ - إسماعيل الحسني، مقاصد الشريعة وأسئلة الفكر المقاصدي، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 1434هـ_2013م، ص15.

² - أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص35.

الأهداف: حتى يصل الداعية في مسلكه الدعوي إلى أعلى مستوى من الفهم والتحكم والضبط ينبغي أن يرسم ابتداء أهدافه المرحلية والبعيدة في ضوء وسياق الوعي بمقاصد الشريعة.

الغايات: والغايات أسمى وأبعد من الأهداف وهي متعلقة أساسا بمراد الشارع من الأحكام، إذ إن إخضاع العمل الدعوي للتنظيم والتأطير المؤسساتي كالجمعيات والأحزاب... ليس غاية في ذاتها بقدر ماهي أحد الأهداف المرحلية في طريق تحقيق غاية خلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

الأسرار: إن الوصول إلى أسرار وروح الأحكام الشرعية من خلال العمل الدعوي لا يتأتى إلا من خلال التزام معاني العبودية لله تعالى، فالعملية الدعوية ليست أنموذجا نظريا خالصا كما أنها ليست عملية ديناميكية قائمة على أسباب منطقية ونتائج متوقعة، بل تتخللها أسرار عظيمة جدا كالإخلاص والتوكل والاحتساب والإنابة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹

الوعي: فالدعوة لا تتم في عزلة عن الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والحضاري بل هي جزء من المنظومة التي يعيش فيها الإنسان بكل تعقيداتها فلا يمكن استيعاب مقاصد الدعوة ما لم يمتلك الداعية ملكة أو منظومة متكاملة من الفهم والإدراك والالتزام... وبالتالي الوعي بسياقات العملية الدعوية.

المبحث الثاني: حجية فقه المقاصد

توطئة:

ثبت من خلال استقراء نصوص الشريعة أن فقه المقاصد من العلوم الأصيلة التي دلت عليها العديد من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث تبين أن الشريعة الإسلامية لها مقاصد عليا، وبناء على ذلك جاءت أغلب أحكام الشريعة معللة، ومبينة وجه الحكمة، يقول العز بن عبد السلام: "ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح"¹.

وقد ذكر الإمام ابن القيم أن القرآن الكريم والسنة النبوية في ثناياهما الكثير من العلل سواء كانت ظاهرة أو مستنبطة، فقال: "القرآن وسنة رسول الله ﷺ مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكن يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة"².
ومن خلال هذا المطلب سنوضح حجية ومشروعية فقه المقاصد، وذلك من خلال: (القرآن الكريم، السنة النبوية، اجتهادات الصحابة)، ولذلك تم تقسيم المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: حجية المقاصد من القرآن الكريم

المطلب الثاني: حجية المقاصد من السنة النبوية

المطلب الثالث: حجية المقاصد من عمل الصحابة.

¹ - العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ت: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ط1، دار المعارف، بيروت، د.ت، ج2، ص160.

² - ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية دار العلم والإرادة، د.ط، دار المتبني، القاهرة، د.ت، ج2، ص22.

المطلب الأول: حجة المقاصد من القرآن الكريم

يحتوي القرآن الكريم على العديد من الأسرار التي ينبغي فهمها، فهو عمدة الملة، وينبوع الحكمة، ولا طريق إلا الله سواه، ولمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، جعله جليسه وأنيسه نظراً وتدبراً وعملاً¹، قال توماس كارليل: "إني لا أحفل كثيراً بما جاء في القرآن من الصلوات والتحميد والتمجيد لأنني أرى لها في الإنجيل شبيهاً ولكنها شديدة الإعجاب بالنظر الذي ينفذ إلى أسرار الأمور فهذا أعظم ما يلذني ويعجبني وهو ما أجده في القرآن وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"².

والقرآن الكريم فيه العديد من الشواهد التي تتضمن الإشارة إلى المقاصد، والتي يدرك مكانها من تدبره ولم يكتف بمجرد النظر الحرفي للنصوص، قال ابن بيه: "إن البحث عن المقاصد مطلب شرعي، فهم من القرآن الكريم في سياقين: أولهما صريح، وثانيهما بالتلميح من خلال تضافر نصوص التعليل في مقامات الإيجاب والتحريم والتحليل؛ فالسياق الأول: دعوة إلى التدبر والتفكير في آيات الكون وآيات الوحي، وهي دعوة إلى اكتناه أسرار الخلق وحكم الأمر "ألا له الخلق والأمر". أما السياق الثاني: فهو تعليل الأحكام، وإبراز الحكمة والمصلحة في نصوص القرآن الكريم، وهو تنبيه على المقاصد، وتربية للأمة على البحث عنها كما أبرزه الأصوليون في كتاب القياس"³.

ومن بين المقاصد الواردة في القرآن؛ مقصد الخلق والبعث، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁴، فقد وضع الله عز وجل في كتابه أن كل شيء خلقه لا يخلو من حكمة، جاء في تفسير الخازن: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا أَي لعباً وباطلاً لا لحكمة... وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل"⁵.

¹ - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/1997م، ج4، ص144.

² - ar.wikisource.org، مجلة البيان للدرقوي، الأبطال وعبادة البطولة، العدد2، تاريخ:1911/9/23.

³ - ابن بيه، مشاهد من المقاصد، ص6.

⁴ - المؤمنون: 115

⁵ - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة: الأولى، 1415 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ج3، ص278.

وفي موضع آخر بين الله عز وجل المقصد من إرسال الرسل، وذلك في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾¹ ، وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾² ، كما ذكر الغاية من إرسال خاتم النبيين والمرسلين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾³ ، قال ﷺ: (يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة)⁴ ، وقد ورد في تفسير ابن جزري قوله: "أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة"⁵ .

كما كشف الغرض من إنزال الكتاب، وذلك للتدبر بغرض الاعتبار والتبصر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁶ ، وقوله أيضا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁷ ، قال الزمخشري: "وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة"⁸ ، فالتأمل والتفكر وسائل مساعدة لفهم كنه الدين وحكمته، ومعرفة أسرار توجيهاته.

¹ - الأنبياء: 25

² - النساء: 165

³ - الأنبياء: 107

⁴ - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بجرم بن عبد الصمد الدارمي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت: حسين سليم أسد الداراني، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ - 2000 م، ج1، ص166.

⁵ - ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416 هـ، ج2، ص31.

⁶ - سورة ص: 29

⁷ - النحل: 44

⁸ - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، ج4، ص90.

أما المقصد من وضع التكاليف الشرعية فهو من باب التيسير ورفع الحرج، وهذا ما ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾¹، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾²، قال الراغب الأصفهاني: "وذكر الفقهاء أن إرادة اليسر هي مما رخص للمسافر والمريض، وذهب غيرهم إلى أن إرادة الله عز وجل اليسر لمن أوجب عليه الصوم عليهم كما هي للمفطر والصائم جميعاً، ففي الصوم أعظم اليسرين"³.

ولو نزلنا إلى الأحكام الجزئية لوجدناها أيضاً مليئة بالمقاصد، فمثلاً في مقصد الصلاة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁴، يقول الطاهر بن عاشور: "فَمَوْقِعٌ (إِنَّ) هُنَا مَوْقِعٌ فَأَيْ التَّعْلِيلِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ مُوجَّهٌ إِلَى الْأُمَّةِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَعْصُومٌ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"⁵، قال الرسول ﷺ: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله تعالى إلا بعداً)⁶، فيظهر أن الصلاة ليست مجرد أداء ظاهري بل هي أداة تطهير داخلي، تمنع الوقوع في المحظورات وتبعد مؤديها عن اقتراف المنكرات.

كما جاء توضيح القصد من تشريع الزكاة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁷، فبين غرض التزكية الذي يناهز التباهي والامتنان أثناء العطاء، قال ابن عاشور:

¹ - البقرة: 185

² - المائدة: 6

³ - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، كلية الآداب - جامعة طنطا، 1420 هـ - 1999 م، ج1، ص 394.

⁴ - العنكبوت: 45

⁵ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج20، ص258.

⁶ - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، ت: محمد بن لطفي الصباغ، د.ط، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض، باب حرف الميم، ج1، ص191.

⁷ - التوبة: 103

"فَقَوْلُهُ: (تُطَهَّرُهُمْ) إِشَارَةٌ إِلَى مَقَامِ التَّحْلِيَةِ عَنِ السَّيِّئَاتِ. وَقَوْلُهُ: (تُرَكِّبُهُمْ) إِشَارَةٌ إِلَى مَقَامِ التَّحْلِيَةِ بِالْفَضَائِلِ وَالْحَسَنَاتِ. وَلَا جَرَمَ أَنَّ التَّحْلِيَةَ مُقَدِّمَةٌ عَلَى التَّحْلِيَةِ. فَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةَ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِهِمْ وَمُجْلِبَةٌ لِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ"¹. وكذلك بين مقصد الصوم، وذلك في قوله: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²، فالمقصد هنا ليس غرضه حبس النفس عن الطعام والشراب، بل تتجلى أبعاده في تحقيق هدف التقوى، يقول ابن عاشور: "حُكْمُ الصِّيَامِ حُكْمٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلأُمَّةِ، وَهُوَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الرَّامِيَةِ إِلَى تَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَرِيَاضَتِهَا، وَفِي ذَلِكَ صَلَاحٌ حَالِ الْأَفْرَادِ"³.

كما بين المقصد من تشريع الحج، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾⁴، قال ابن عباس: "مَنَافِعُ الْآخِرَةِ بِالذُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَنَافِعُ الدُّنْيَا بِالرِّيحِ وَالتَّجَارَةِ"⁵. ومن هنا يظهر أن للحج منافع عظيمة، ومن تلك المنافع ما يراه المسلم من استحابة لله وتلبية لنداء الخليل عليه السلام، وما يراه من التحام صفوف المسلمين في هذه المشاعر المقدسة رغم اختلاف اللون واللغة والجنس، ولكن وحدتهم رابطة الإيمان وجمعتهم أخوة الإسلام.⁶

وهكذا، فإن كل ما خرج عن مقصود الشارع فحكمه البطلان، قال الغزالي: "مَقَاصِدُ الشَّرْعِ تُعْرَفُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ. فَكُلُّ مَصْلَحَةٍ لَا تَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ مَقْصُودِ فَهْمٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَكَانَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي لَا تُلَايِمُ تَصَرُّفَاتِ الشَّرْعِ فَهِيَ بَاطِلَةٌ مُطَرَّحَةٌ"⁷.

1 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج11، ص23.
2 - البقرة: 183
3 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج2، ص154.
4 - الحج: 28
5 - عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 279.
6 - يُنظَر: عبد العزيز آل الشيخ، جامع خطب عرفة، د.ط، د. دار النشر، د.س، ص: 172.
7 - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1993 م، ص179.

المطلب الثاني: حجة المقاصد من السنة النبوية

تعتبر السنة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فقد ورد عن حسان بن عطية قوله: "كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ، فيعلمه السنة كما يعلمه القرآن"¹، وقد جاءت السنة مفسرة لبعض ما ورد في كتاب الله من معان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ) ^{2 3}، قال الطبري في تفسيره: "فَظَهْرُهُ الظَّاهِرُ فِي التَّلَاوَةِ، وَبَطْنُهُ مَا بَطَّنَ مِنْ تَأْوِيلِهِ"⁴.

ولمعرفة باطن النص نحتاج لمعرفة تفسير النبي ﷺ للمعاني القرآنية، وذلك لأن استعمال المعاني - بحسب ما ذكره ابن المبارك - يتغير حسب الزمن، فَيَطَّلِعُ الْقَوْمُ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي، ثُمَّ يَذْهَبُ ذَلِكَ الْقَرْنُ، فَيَجِيءُ قَرْنٌ آخَرٌ يَطَّلِعُونَ مِنْهَا عَلَى مَعْنَى آخَرَ، فَيَذْهَبُ عَلَيْهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلَهُمْ، فَلَا يَزَالُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُفَسِّرُهُ السُّنَّةُ⁵.

كما أن بعضا مما أخبر عنه النبي ﷺ لم يرد ذكره في القرآن، وكان اجتهاده رضي الله عنه حاضرا في المسائل التي لم يرد فيها نص، مهتديا في ذلك بالمنهج القرآني، وروح ومقاصد التشريع، وسندكر في ذلك عدة أمثلة ووقائع تؤكد أن المقاصد كانت متجلية في اجتهاداته رضي الله عنه، منها:

¹ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الزهد والرفائق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، د.ط، دار الكتب العلمية - بيروت، د.س، ج2، ص23.

² - فسر الزركشي قوله: "ظَهْرٌ وَبَطْنٌ" فذكر أن في تأويله أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا- وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ -: إِنَّكَ إِذَا بَحَثْتَ عَنْ بَاطِنِهَا وَقَسْتَهُ عَلَى ظَاهِرِهَا وَقَفْتَ عَلَى مَعْنَاهَا، الثَّانِي- قول أبي عبيدة-: إِنَّ الْقَصَصَ ظَاهِرُهَا الْإِخْبَارُ بِمَلَكَ الْأَوَّلِينَ وَبَاطِنُهَا عِظَةٌ لِلْآخِرِينَ، الثَّالِثُ - قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: -: إِنَّهُ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا عَمِلَ بِهَا قَوْمٌ وَلَهَا قَوْمٌ سَيَعْمَلُونَ بِهَا، الرَّابِعُ - قَالَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ -: إِنَّ ظَاهِرَهَا لَفُطْهَا وَبَاطِنُهَا تَأْوِيلُهَا). أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ب، 1376 هـ - 1957 م، ج 2، ص 169.

³ - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414 - 1993، ج1، ص276.

⁴ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ب، 1422 هـ - 2001 م، ج1، ص 67.

⁵ - يُنظَر: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الزهد والرفائق لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س، ج2، ص23.

1 - قصة ما وقع في بني قريظة: حيث ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك (وفي رواية: إنما أراد الإسراع). فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم"¹.

فهذه الواقعة حدث فيها اختلاف وتباين في الفهم، فالتزم بعض الصحابة بالنص الحرفي وهو أمر الرسول بأداء صلاة العصر في بني قريظة، واعتد البعض الآخر بمراد النص وفهم فحواه، بعدم تفويت وقت الصلاة، مستندين على قصده ﷺ حين أمرهم بذلك وهو الإسراع للوصول إلى بني قريظة، ولم يكن قصده تأجيل صلاة العصر حتى انتهاء وقتها.

هذه الحادثة لما عرضت على النبي ﷺ لم يؤنب أو يخطئ فئة دون أخرى، وسكوته ﷺ عن كلا الفريقين دليل على إجازته كلا الفهمين كما هو معروف عند الفقهاء، إلا أن ابن حزم الظاهري كان يميل إلى الاعتماد على المعنى الظاهر للنص، ولم يوافق الصحابة الذين صلوا في الطريق ولم يصبروا حتى الوصول إلى بني قريظة²، وعبر عن رأيه قائلا: "ولو أننا حاضرون يوم بني قريظة لما صلينا العصر إلا فيها ولو بعد نصف الليل"³.

2 - حديث هدم البيت: جاء في حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: (يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت، فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين بابًا شرفيًا وبابًا غريبًا، فإنهم قد عجزوا عن بنائه، فبلغتُ به أساس إبراهيم عليه السلام).⁴

¹ - محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير واليامة، بيروت، 1407هـ، باب صلاة الطالب والمطلوب، ج1، ص321.

² - يُنظر: جاسر عودة، مقاصد الشريعة الإسلامية المبادئ والمفاهيم، مجموعة بحوث، ص9-10.

³ - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1404هـ، ج3، ص291.

⁴ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ، باب فضل مكة وبنائها، حديث 1586، ج2، ص147.

فالنبي ﷺ رغب في هدم الكعبة الشريفة وإعادة بناء البيت على الهيئة الكاملة التي بناها إبراهيم عليه السلام، لكنه أبقى البيت على ما هو عليه من الهيئة الناقصة، حقنا للدماء واتقاء لشر الفتنة، فكان يدرك جيدا العرف السائد في ذلك الوقت، ويدرك شدة تعلق الناس بالكعبة، ومدى خطورة هدمها، فترك تغيير المنكر حتى يتمكن الإيمان من القلوب.

وبهذا التصرف تجنب الرسول ﷺ إثارة الخلاف، وحقق هدف توحيد صفوف الأمة وتأليف القلوب، وأخذ بمبدأ الرفق وقاعدة التدرُّج وسد أبواب الفتنة ¹.

كما أن عمله هذا من باب مراعاة المآل، وهو من التطبيقات النبوية التي يُستدل بها على قاعدة التعارض بين المصالح والمفاسد، وارتكاب المفسدة الأقل دفعًا للمفسدة الأرحح ²، فيجوز للإنسان - كما قال ابن تيمية - أن يترك الأفضل والأصلح إذا ترتب على ذلك فساد، وهذا ما رآه النبي ﷺ فقدم مصلحة الائتلاف على مصلحة بناء الكعبة ³.

وقد أشار الرافعي إلى ذلك، بقوله: "واحتج بالحديث على أنه يجوز أن يترك ما هو المختار والأفضل خشية إنكار الناس ووقوعهم في الفتنة" ⁴، ومن هنا فإنه لا يسوغ إنكار المنكر إذا استلزم إنكاره ما هو أنكر منه، وهذا ما فعله الرسول ﷺ، فقد كان يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها خشية وقوع ما هو أعظم منه ⁵.

¹ - يُنظر: islamicsham.org، موقع: هيئة الشام الإسلامية، حكم هدم الأضرحة والقباب المبنية على القبور، المكتب العلمي، هيئة الشام الإسلامية، التاريخ: 29 ماي 2020، الساعة: 23:00.

² - يُنظر: alabasirah.com، موقع: على بصيرة، فهد بن صالح العجلان، (كَوْلًا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ) دراسة فقهية في مراعاة النفور من الدين، التاريخ: 27 ماي 2020م، الساعة: 12:00.

³ - يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط1، دار الكتب العلمية، د.ب، 1408هـ - 1987م، ج 2، ص 181.

⁴ - أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، شرح مسند الشافعي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ، ج2، ص348.

⁵ - يُنظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1991م، ج3، ص12.

وفي نفس السياق قال النووي: "وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها: إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبا وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيما"¹.

ولما كانت قيمة الكعبة المشرفة في معناها الرمزي، وليس في طبيعة حجارها، أبقى النبي ﷺ فعل الجاهلية على ما كان عليه، حفاظا على ثبات القلوب مادام ذلك لا يمس بالعقيدة²، فمتى استقر قوم على عادات لا تتعارض مع الشريعة، فلا حرج في إبقائها إذا علم يقينا بفتنة تركها³.

وهذا المعنى هو من المصالح الشرعية والدعوية المعترية التي لا بد أن تكون حاضرة في ذهن الفقيه في الترجيح، والسياسي في وضع السياسات والقوانين، والداعية في دعوته ونصحه، والمحتسب في إنكاره، والمربي في تربيته، فهي أصل مهم يراعي ما تؤول إليه الأمور فيكون فطنًا بما مدرّكًا لآثارها، حتى لا ينقلب الفعل المشروع بسبب ذلك فسادًا يزيد عن مصلحته⁴.

3 - الامتناع عن قتل المنافقين:

ورد عن النبي ﷺ منعه قتل المنافقين بالرغم مما يشكلونه من خطر بالغ، وما يشيرونه من الشبهات والفتن، من جراء ما يقومون به من كذب وخداع وخيانة وتلبيس للحقائق وتلفيق للتهم، ونياتهم الدنيئة في تشويه صورة المؤمنين المتقين، وقد فضحهم القرآن الكريم في سورة سميت "المنافقون"، وعرض صفاتهم

¹ - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، ج9، ص89.

² - يُنظر: al-qaradawi.net، موقع يوسف القرضاوي، مقام إبراهيم عليه السلام، التاريخ: 27 ماي 2020م، الساعة: 12:00

³ - يُنظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، ج1، ص108.

⁴ - ينظر، alabasirah.com، موقع: على بصيرة، فهد بن صالح العجلان، (كَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدِ بِكُفْرٍ) دراسة فقهية في مراعاة النفور من الدين، التاريخ: 27 ماي 2020م، الساعة: 12:00

الشكلية البراقة التي تخفي ما يبطنون، وما يرسمونه عن أنفسهم من صور خادعة، وبذلك تجدهم محط إعجاب الناس، وحيلهم تنظلي على من لا يعرف حقيقتهم.

وسيرة النبي ﷺ حافلة بالمواقف التي تكشف نواياهم الخبيثة ومكائدهم الخفية، ولكن العجيب إذا كشفت أدلة خداعهم، تجدهم لا يدعون أي وسيلة حتى يثبتوا خلاف ذلك حتى لا يفقدوا صورتهم التي عملوا على تلميعها، ولكن الله عز وجل كشف نفاقهم ونذالتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَاتْلُوهُمْ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾¹.

ومن بين قصص المنافقين التي ذكرت في القرآن الكريم، قصة عبد الله بن أبي الذي توعد بإلحاق الأذى بالرسول ﷺ والمسلمين، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾².

والقصة جاءت في غزوة بني المصطلق إثر تلفظ رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين بدعوى الجاهلية، فقد ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ)، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)"³، وفي هذا الحديث إشارة للسياسة العظيمة التي انتهجها النبي ﷺ.

1 - المنافقون: 4

2 - المنافقون: 8

3 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: 6]، حديث 4905، ج6، ص154.

قال القرطبي في تفسيره: "إِنَّمَا لَمْ يَقْتُلْهُمْ مَصْلَحَةٌ لِتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ لِيَلَّا تَنْفِرَ عَنْهُ، وَقَدْ أَشَارَ ﷺ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ لِعُمَرَ: (مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَيُّ أَقْتُلُ أَصْحَابِي) ¹، وَقَدْ كَانَ يُعْطِي لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مَعَ عِلْمِهِ بِسُوءِ اعْتِقَادِهِمْ تَأْلُفًا، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ عُلَمَائِنَا وَعَيْبِهِمْ" ².

وهكذا فإنه رغم تعدد الأسباب في قتل عبد الله بن أبي ابن سلول، فعن زيد بن أرقم، قال: " كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" ³، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَغَاضَى عَنْ ذَلِكَ، مُقَدِّرًا الْمَصْلَحَةَ الدَّعْوِيَّةَ نَصْرَةَ لِلدِّينِ وَالدَّعْوَةَ.

ولقد تولى القوم فيما بعد أمر عبد الله بن أبي، فعن عاصم بن عمر بن قتادة أنه قال: "...وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُتِلَ لِي أُفْتَلَهُ، لِأُرْعِدَتْ لَهُ أَنْفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِمَقْتَلِهِ لَقَتَلْتُهُ. قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي" ⁴.

- 1 - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث 1063، ج2، ص740.
- 2- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ - 1964م، ج1، ص199.
- 3 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ﴾ [المنافقون: 1] إِلَى ﴿لَكَادِ بُونُ﴾ [الأنعام: 28]، حديث 4900، ج6، ص152.
- 4- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1375هـ - 1955م، ج2، ص293/ يُنظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1420هـ - 2000م، ج23، ص407/ يُنظر: إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، د.ط، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.س، ص191.

ولم تكن قصة عبد الله بن أبي الوحيدة من نوعها، فقد تعددت مواقف المنافقين في زمن النبي عليه السلام، فمنها على سبيل المثال ما أخبر به جابر بن عبد الله أنه: "أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس. فقال: يا محمد، اعدل! قال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي" ¹. ذكر النووي أن الرسول ﷺ لم يقتلهم لإظهارهم الإسلام، ولأنهم كانوا يجاهدون معه إما حمية وإما طلبا لدنيا أو عصبية لمن معه من شرائعهم، ولما يترتب على ذلك من مفسدة أعظم، فكان يصبر على جفاء المنافقين لتقوى شوكة الإسلام، ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفعة، ويرغب غيرهم في الإسلام. ²

³ وقد اختلف العلماء في حكم الإغضاء عنهم أو مجاهدتهم أو العفو عنهم ما لم يظهروا نفاقهم؛ فحيث ما كان للمنافق ظهور، وكانت فتنة إقامة الحد عليه أكبر، عملنا بآية ﴿وَدَعُ أَدَاهُمْ﴾ ⁴، وحيث عجزنا عن جهاد الكفار عملنا بآية الصفح عنهم، وحيث ما حصل القوة والعز خوطبنا بقوله عز وجل: ⁵ ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ⁶.

ومن هنا نستنتج أن على الداعية النظر في الغايات ومآلاتها، وعليه أن يكتسب مهارة فقه التوقع، لأن النتيجة السلبية الحاصلة أو المتوقعة؛ تنافي مقصد الشرع في إقامة الدين ونشره، وتجعل الاحتساب بهذا

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث 1063، ج2، ص740.

² - يُنظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392، ج16، ص139.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - الأحزاب: 48

⁵ - يُنظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، د.س، ص360.

⁶ - التوبة: 73

الطريق ممنوعاً وواجب الكتمان¹.

4 - تعطيل النبي ﷺ الحدود في الغزوات:

ذكرت الحدود في كثير من الآيات القرآنية، وشرعت لما تحققه من مقاصد ومصالح جليلة، وقد وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به²، قال الإمام علي عليه السلام: "لا يسعد أحد إلا بإقامة حدود الله، ولا يشقى أحد إلا بإضاعته"³. ورغم صرامة الشرع في تطبيق الحدود لما فيها من مقاصد كما أوضح ذلك الطاهر ابن عاشور في قوله: "فمقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص والتعزير وأروش الجنایات ثلاثة أمور: تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة... وأعلى التأديب الحدود، لأنها مجعولة لجنایات عظيمة. وقد قصدت الشريعة من التشديد فيها انزجار الناس وإزالة خبث الجاني"⁴. وقوله أيضاً: "وذلك أن من أكبر مقاصد الشريعة هو حفظ نظام الأمة، وليس يُحفظ نظامها إلا بسدّ ثلمات الهرج والفتن والاعتداء"⁵.

وعلى الرغم من ذلك إلا أن النبي ﷺ أخرها في حالات وظروف خاصة، قال ابن الهمام: "وَتَأْخِيرُ

¹ - يُنظر: موقع البيان، albayan.co.uk. عندما يحسب العامي، هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، التاريخ: 29 ماي 2020، الساعة: 23:00.

² - يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الأحكام السلطانية، د.ط، دار الحديث، القاهرة، د.س، ص 325.

³ - hadith.net، ميزان الحكمة، المجلد 4، ص 222.

⁴ - الأرش: المقصود به في اللغة كما قال الليث: الأرش: دية الجراحة، والأرش أيضاً قد يكون في السلع: فالعيب في السلعة له قيمة تعويضية تدفع، أنظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ - 1987م، ج 3، ص 995. / محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ج 11، ص 279 - 280.

الأروش أنواع: فقد يكون مقابل الجراحة فيكون أرش الجراحة أو أرش الجناية، وقد يكون في مقابل عيب في السلعة فيكون أرش البيع. / majles.alukah.net، الألوكة المجلس العلمي، أروش الجنایات، التاريخ: 2 أوت 2021، الساعة: 16:00.

⁵ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، ج 3، ص 550.

⁶ - المرجع نفسه: ص 549.

الْحُدُّ لِعُدْرِ جَائِزٌ¹ ، كما منع تطبيق الحدود في الغزوات لما فيه من درء للمفسدة، جاء في الحديث عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: "لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ ابْنَ أَرْطَاةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا تُقَطَّعُ الْأَيْدِي فِي الْعَزْوِ) لَقَطَعْتُهَا"² ، وقد اقتفى الصحابة بأثر النبي عليه السلام، فقد روي أن عمر كتب إلى الناس: "أن لا يجلدنَّ أميرُ جيش ولا سرية ولا رجلاً من المسلمين حدًّا وهو غازٍ حتى يقطع الدرب قافلًا لتلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار"³ .

"وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ تُقَامَ الْحُدُودُ عَلَى الرَّجُلِ، وَهُوَ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَقْتُلَ، مَخَافَةَ أَنْ تَحْمِلَهُ الْحَمِيَّةُ فَيُلْحَقَ بِالْكَفَّارِ، فَإِنْ تَابُوا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ عَادُوا فَإِنَّ عُقُوبَةَ اللَّهِ مِنْ وَرَائِهِمْ"⁴ .

كما أن حذيفة بن اليمان آخر تطبيق حد شرب الخمر أثناء الغزو في حق الوليد بن عقبة، حيث ورد عن علقمة بن قيس أنه قال: "كنا في جيش في أرض الروم، ومعنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وعلينا الوليد بن عقبة، فشرب الخمر، فأردنا أن نحده، فقال حذيفة: أتحدون أميركم؟! وقد دنوتم من عدوكم فيطمعون فيكم"⁵ .

يقول ابن القيم: "فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهي عن إقامته في الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضباً كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم"⁶ ، وهو ما نص عليه الترمذي في قوله: "وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ الْأَوْزَاعِيُّ، لَا يَرَوْنَ أَنْ يُقَامَ الْحُدُّ فِي الْعَزْوِ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُلْحَقَ مَنْ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُّ بِالْعَدُوِّ،

¹ - كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، فتح القدير، د.ط، دار الفكر، د.س، ج5، ص310.

² - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الإمام الدارمي، ت: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط1، دون دار النشر، 1436 هـ - 2015 م، باب لا تُقَطَّعُ الْأَيْدِي فِي الْعَزْوِ، حديث رقم 2512، ج2، ص817.

³ - أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، سنن سعيد بن منصور، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، الدار السلفية، الهند، 1403 هـ - 1982 م، باب كراهية إقامة الحدود في أرض العدو، حديث 2500، ج2، ص235.

⁴ - المرجع نفسه: حديث 2499، ج2، ص234.

⁵ - المرجع نفسه: حديث 2501، ج2، ص235.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ، ج4، ص340.

فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ مِنْ أَرْضِ الْحَرْبِ وَرَجَعَ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ أَقَامَ الْحَدَّ عَلَى مَنْ أَصَابَهُ¹.

ويروى أيضا أن سعد بن أبي وقاص لم يقم حد شرب الخمر على أبي محجن وذلك يوم القادسية وقد شرب الخمر، إذ أمر به إلى القيد، فطلب أبي محجن من زوجة سعد فك قيده، فحلت وثاقه، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء وسعد يومئذ جريح، فأخذ أبو محجن رمحاً وانطلق ناحية العدو، فجعل الناس يقولون: هذا ملك! لما يرون من صنيعه، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة: الصبر صبر البلقاء والطعن طعن أبي محجن وأبو محجن في القيد!! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجله في القيد، فلما قصت امرأة سعد عليه ما كان من الأمر، قال سعد: والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء للمسلمين، فحلى سيبله! فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ يقام علي الحد فأطهر منها، فأما إذ أبطلته عني فوالله لا أشربها أبداً².

قال ابن القيم: "والظاهر أن سعداً اتبع في ذلك سنة الله تعالى، فإنه لما رأى من تأثير أبي محجن في الدين، وجهاده وبذله نفسه لله ما رأى درأ عنه الحد، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمرت هذه السيئة الواحدة وجعلتها كقطرة نجاسة وقعت في بحر، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال، إذ لا يظن بمسلم إصراره في ذلك الوقت الذي هو مظنة القيد على الله وهو يرى الموت، وأيضاً فهو بتسليمه نفسه، ووضع رجله في القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده"³، وأشار ابن القيم إلى حديث الرسول ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدا فأقمه علي، قال: ولم يسأله عنه، قال: وحضرت الصلاة، فصلي مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة، قام إليه الرجل فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدا، فأقم في كتاب الله، قال: (أليس قد صليت

¹ - محمد بن عيسى بن سؤدة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، الجامع الكبير سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو، حديث 1450، ج3، ص105.

² - يُنظر: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، سنن سعيد بن منصور، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، الدار السلفية، الهند، 1403هـ - 1982م، باب كراهية إقامة الحدود في أرض العدو، حديث 2502، ج2، ص235.

³ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ، ج4، ص346.

معنا؟) قال: نعم، قال: (فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك)¹.

وإن كان الأصل في مسألة الحدود تطبيقها وعدم تأجيلها، إلا أننا من خلال ما سبق نلاحظ أن النبي استنكر تطبيق الحدود أو تعجيلها في ظروف معينة سدا للذرائع ونظرا في المآلات والمصالح، قال ابن القيم: "تأخيرُ الحدِّ لعارضٍ أمرٌ وردت به الشريعة، كما يؤخَّر عن الحامل والمرضع وعن وقت الحرِّ والبرد والمرض؛ فهذا تأخير لمصلحة الحدود؛ فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى"².

ومن هنا فإن فهم خطاب ومواقف النبي ﷺ لا يمكن إخراجه من سياق المقاصد، ولهذا كانت معرفة حدود ما أنزل الله كما قال ابن قيم الجوزية أصل العلم وقاعدته التي يرجع إليها، فلا يخرج شيئا من معاني ألفاظه عنها، ولا يدخل فيها ما ليس منها، بل يُعطيها حَقَّها، ويفهم المراد منها³.

المطلب الثالث: حجية المقاصد من عمل الصحابة

بين النبي ﷺ أهمية اتباع هدي الصحابة رضوان الله عنهم، وذلك في الحديث الشريف: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ)، وعنه ﷺ أنه قال: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)⁴، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَبْتَعْتَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى

¹ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستر عليه، رقم الحديث 6823، ج8، ص166.

² - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4، ص345.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص389.

⁴ - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، باب في لزوم السنة، حديث 4607، ج4، ص200.

⁵ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1421 هـ - 2001 م، باب حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ، حديث 23245، ج38، ص280.

المُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ" ¹.

والصحابه هم أفقه الناس بدين الله وأعلم العلماء بمقاصده ²، وهذا راجع لاحتكاكهم وقرهم من النبي ﷺ، ولأنهم شهدوا أغلب أسباب ودواعي التنزيل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيهَا، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ" ³.

وقد كان الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيها وأتبع له، والمتتبع لهدْيهم يجد روح المقاصد جلية في اجتهاداتهم، ولم يكن أحد منهم يظهر له مراد رسول الله ﷺ ثم يعدل عنه إلى غيره البتة ⁴.

يقول ابن تيمية: "وانظر في عموم كلام الله عز وجل، ورسوله ﷺ لفظاً ومعنى حتى يعطي حقه، وأحسن ما استدل على معناه بآثار الصحابة الذين كانوا أعلم بمقاصده فإن ضبط ذلك يوجب توافق أصول الشريعة وجريها على الأصول الثابتة" ⁵.

ومن بين المواقف الدالة على أن النبي ﷺ وافق الصحابة الذين مارسوا الاجتهاد والأخذ بالرأي، أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟)، قال: أقضي بكتاب الله، قال: (فإن لم تجد في كتاب الله؟)، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: (فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟) قال: أجتهد رأيي، ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله) ⁶.

فقد فهم السلف تلك الدعوة القرآنية التي رامت لكشف مقاصد الشريعة واستشفاف حكمها،

¹ - أحمد بن حنبل: باب مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حديث 3600، ج 6، ص 84.

² - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط 1، دار ابن عفان، دار ابن الجوزي، د.ب، 1417هـ - 1997م، ج 4، ص 261.

³ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ج 6، ص 187.

⁴ - يُنظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط 1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ، ج 2، ص 387.

⁵ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط 1، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1987م، ج 4، ص 53.

⁶ - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم 3592، ج 3، ص 303.

فتجلى ذلك الفهم في فقه الراسخين في العلم من أصحاب رسول الله وبخاصة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فاجتهد أبو بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة¹، وذلك لما رآه من قصد المحافظة على أمن واستقرار الدولة، قال: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليها"²، كما قام بجمع القرآن في مصحف واحد، فبعد استشهاد الكثير من حفظة القرآن الكريم في معركة اليمامة، أشار عمر رضي الله عنه على أبي بكر الصديق بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يضيع شيء منه، وبعدهما استبان للصديق وجه المصلحة في حفظ كتاب الله، وبعدهما تبين له أن هذا العمل من صميم منهج الاتباع³، أمر بجمعه بعد أن كان مبثوثاً، وذلك مراعاة لمقصد حفظ الدين.

فعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: "أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرْآنِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلَ بِالْقُرْآنِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ"، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟، قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ"⁴.

وكذلك اجتهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في توريث الجد دون الإخوة، ولما حضرته الوفاة رشح الخليفة من بعده⁵، وذلك تحقيقاً لمصلحة الأمة، ولما علمه من سياسته الحكيمة وأهليته وقدرته على حمل أعباء الخلافة. وقد تميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعديد من الفضائل، حتى أن الوحي أحياناً كان يوافق حديثه⁶، ومما

¹ - عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، مشاهد من المقاصد، ط2، دار وجوه، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1433هـ، ص 35.

² - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1421 هـ - 2001 م، باب مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث 239، ج1، ص358.

³ - يُنظر: السيد رزق الطويل، مدخل في علوم القراءات، ط1، المكتبة الفيصلية، د.ب، 1405هـ - 1985م، ص19.

⁴ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ، باب جمع القرآن، حديث 4986، ج6، ص183.

⁵ - يُنظر: بن بيه، مشاهد من المقاصد، ص35.

⁶ - يُنظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة السفارينية - الدرّة المضيئة في عقد أهل الفرقة المرضية، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ، ج1، ص586.

يؤكد مكانة عمر بن الخطاب وعظمته، ما ذكره عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ¹.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فقهاء الرأي، وله العديد من الاجتهادات الدالة على فقهه ومراعاته للمقاصد، منها:

ما فعله حين أسقط سهم المؤلفة قلوبهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمنح المؤلفة قلوبهم هذا النوع من الزكاة، وذلك لما رآه من زوال سبب الاستحقاق، فعَنْ عَيْدَةَ السَّلْمَانِي قَالَ: "جَاءَ عَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ عِنْدَنَا أَرْضًا سَبِيحَةً لَيْسَ فِيهَا كَأَلٌ وَلَا مَنَفَعَةٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقْطَعَهَا لَعَنَّا نَزْرَعَهَا وَنَحْرَثُهَا، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الْإِقْطَاعِ، وَإِشْهَادِ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَيْهِ وَنَحْوِهِ إِيَّاهُ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَأَلَّفُكُمْ وَالْإِسْلَامَ يَوْمَئِذٍ ذَلِيلٌ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَأَذْهَبَا، فَأَجْهَدَا جَهْدُكُمْ لَا أَرْعَى اللَّهُ عَلَيْكُمَا إِنْ رَعَيْتُمَا" ².

قال ابن قدامة: "وَمَنْ يُنْقَلْ عَنْ عُمَرَ وَلَا عُثْمَانَ وَلَا عَلِيٍّ أَنَّهُمْ أَعْطَوْا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَقَمَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى التَّأْلِيفِ" ³. وفي نفس السياق ذكر الريبوني أنه: "قد ذهب عدد من العلماء الآخرين إلى أن هذا السهم باق لم يسقط ولم ينقطع، وأن توقيفه من قبل عمر والصحابة، إنما كان اجتهادًا ظرفيًا في تصريف أموال الزكاة. وقد أجمع المسلمون أن لا نسخ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما فعله عمر رضي الله عنه إنما كان تحقيقًا لمناط الحكم في ظرفه. وهذا النظر يسمح بتجدد العمل بهذا السهم

¹ - أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411 - 1990، باب ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، حديث 4495، ج3، ص92.

² - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م، باب سُطُوطِ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَتَرْكِ إِعْطَائِهِمْ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ، وَالِاسْتِعْنَاءِ عَنِ التَّأْلِيفِ عَلَيْهِ، حديث 13189، ج7، ص32.

³ - أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة، المغني لابن قدامة، د.ط، مكتبة القاهرة، د.ب، 1388هـ - 1968م، ج6، ص475.

كلما اقتضى الأمر ذلك"¹.

وبناء على هذا الفهم فإن عمر رضي الله عنه نظر في مدى تحقق علة الحكم، فلم يطبق الحكم نظراً لانعدام محل الحكم، وبالتالي زوال العلة بزوال المعلول، وزوال الحكم بزوال دافع الحكم²، فلا يعطون من الزكاة نظراً لارتفاع الوصف الذي يناط به الحكم، ولو أن ظرفاً من الظروف قضى بحاجة الأمة إلى تأليف القلوب لأصبح الصنف موجوداً، وقامت الضرورة على قيامه³.

وفي سياق آخر، اجتهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في منع حد السرقة عام الرمادة، فعلق الحكم بوجود عارض يقتضي ذلك، وشبهة تدرأ القطع عن المحتاج، وهذا ما دل عليه حديثه: "ما كنت قاطع الناس حتى أشبعهم"، ولأن شروط الحد الشرعية لم تتحقق، فالجوع يدفع بالجائع لفعل السرقة ليس لكونه سارقاً في أصله، إنما اضطراراً وحاجة في سد رمقه، وهذا ما دل عليه قوله: "كيف أقطع يدا امتدت لرغيف خبز يمنع صاحبه من الهلاك"، وبالتالي فلو أقام الحد في هذا الظرف لعمل بخلاف الشريعة، قال حسان بن أزهري: "أن ابن حدير حدثه، عن عمر قال: لا تقطع اليد في عذق ولا عام سنة. قال: فسألت أحمد عنه، فقال: العذق: النخلة، وعام سنة: عام الجماعة. فقلت لأحمد: تقول به؟ قال: إي لعمري"⁴.

ولهذا السبب لم يطبق حد السرقة عام الجماعة، ففيها اضطر الناس للسرقة للحفاظ على حياتهم، وأدرك عمر علة إقامة الحد، وعرف أن الاعتداء على مال الغير فيه القطع إذا تحققت الشروط الموجبة للقطع⁵، قال

¹ - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412هـ - 1992م، ص340.

² - قال العلماء (فحيث وجدت العلة وجد الحكم، وإذا زالت العلة زال الحكم) / أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي»، أحكام القرآن، ت: صلاح الدين بو عفيف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1427 هـ - 2006 م، ج3، ص384.

³ - يُنظر: www.dar-alifta.org، موقع دار الإفتاء المصرية، زوال الوصف المعتبر في أخذ الزكاة وما يترتب عليه، فتاوى بحثية، التاريخ: 2020-5-5، الساعة: 9:00.

⁴ - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، التمييز في تلخيص تحريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير، ت: الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى، ط1، دار أضواء السلف، 1428 هـ - 2007 م، حديث 2444، ج6، ص2788.

⁵ - يُنظر: <https://ketabonline.com/>، موقع جامع الكتب الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى 19 - 24، المجلد8، ص314.

ابن قيم الجوزية: "فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له، إما بالثمن أو مجاناً، على الخلاف في ذلك؛ والصحيح وجوب بذله مجاناً؛ لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج... وعام المجاعة يكثر فيه المحاويع والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه، فدرئ. نعم إذا بان أن السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع"¹.

وقد سلك الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا المسلك، فاجتهد في الكثير من المسائل، نذكر

منها:

اجتهاده في جمع الناس على مصحف واحد، جاء في صحيح البخاري أن: "حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: "أن أرسلي إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك"، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق"²، وما فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه بإجماع الصحابة فيه مراعاة لمقصد حفظ الدين، وحماية كتاب الله من الاختلاف والتحريف.

وأيضاً اجتهاده في بيع الإبل الضالة، ووضع ثمنها في بيت المال لما رأى من خراب الذمم وتغيير

¹ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1991م، ج3، ص18.

² - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، باب جمع القرآن، حديث 4987هـ، ج6، ص183.

الأخلاق مع ثبوت النهي عن التقاطها¹ ، فقد سئل النبي ﷺ عن ضالة الإبل فقال ﷺ: (ما لك ولها، معها
حذاؤها وسقاؤها ترد الماء، وتأكل الشجر)² .

غير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه نظر إلى علة الحديث، فرأى في عهده تغير حال الناس مما أورث خوفا
على أموال الرعية من أن تمتد إليها يد الخيانة، فأمر بالتقاط الإبل الضالة، فأفتى بجواز جمعها وبيعها وحفظ
ثمنها في بيت مال المسلمين، من باب مصلحة المحافظة على أموال المسلمين، فإن جاء صاحبها وذكر
علاماتها أخذ قيمتها³ ، قال الباجي في شرح الموطأ: "فلما كان زمان عثمان أمر بتعريفها ثم تباع لصاحبها
ويعطى ثمنها إذا جاء، وذلك والله أعلم لما أكثر في الناس من لم يصحب النبي ﷺ من كان لا يعف عن
أخذها إذا تكررت رؤيته لها حتى يعلم أنها ضالة فرأى أن الاحتياط عليها أن ينظر فيها الإمام فيبيعها
ويبقى التعريف فيها فإذا جاء صاحبها أعطي ثمنها وحمل حديث النبي ﷺ في المنع من أخذها على وقت
إمساك الناس عن أخذها، ويحتمل أيضا أنه كان يبيعها إذا يئس من مجيء صاحبها بأن تطول المدد على
ذلك وتنتاج ويخاف عليها الموت، فكان في بيعها على هذا الوجه حفظ لها على صاحبها؛ لأنه كان
ينقلها إلى الأثمان التي لا يخاف عليها"⁴ .

أما عن اجتهادات الصحابي الجليل علي رضي الله عنه، فنذكر منها:

اجتهاده في جلد شارب الخمر ثمانين جلدة، فإلى النبي ﷺ لم يقدر مقدار حد شاربها حدا صريحا، قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة"⁵ ، فللإمام

1 - بن بيه، مشاهد من المقاصد، ص 35-36.

2 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح
البخاري، باب ضالة الإبل، حديث 2427، ج 3، ص 124.

3 - يُنظر: عبد الكريم عمر عبد الكريم الشقاقي العاني، الضوابط الأصولية للاجتهاد في السياسة الشرعية، د.ط، دار الكتب العلمية،
د.ب، د.س، ص 157.

4 - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، المنتقى شرح الموطأ، ط 1، مطبعة
السعادة، مصر، 1332 هـ، ج 6، ص 143.

5 - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد
فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، باب حد الخمر، حديث 1707، ج 3، ص 1331.

الحق في الزيادة إلى الثمانين من باب الردع والزجر، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه معتدا برأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال عبيد بن عمير: "كان الذي يشرب الخمر يضربونه بأيديهم ونعالهم ويصكونه، فكان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وبعض إمارة عمر، ثم خشى أن يغتال الرجل فجعله أربعين سوطاً، فلما رأهم لا يتناهون جعله ستين، فلما رأهم لا يتناهون جعله ثمانين"، ثم قال: "هذا أدنى الحدود"¹.

فبعدم تناهيهم عن شرب الخمر قدرت الزيادة، وقد علل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ترجيحه للجلد ثمانين بعد المشورة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قائلاً: "إنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذي وإذا هذي افتري وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر عمر فجلد ثمانين"².

ومن بين المسائل الأخرى نذكر ما وقع في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واجتهاده في مسألة تضمين الصناع، فعن علي رضي الله عنه أنه كان يضمن الصباغ والصائغ³ وقال: "لا يصلح للناس إلا ذاك"⁴، فالأصل في الصناع الائتمان، والأمين لا يضمن، ولكن علي بن أبي طالب رأى تغير الحال وسوء أخلاق بعض الصناع، فأمر بتضمينهم حتى لا تتلف أغراض الناس وأموالهم بتعد مقصود، فكان هذا التضمين عقوبة لهم، وقد وافقه العديد من الصحابة، قال الشاطبي: "واتفاق السلف على تضمين الصناع مع أن الأصل فيهم الأمانة... وذلك يقضي بتقديم مصلحة العموم على مصلحة الخصوص، لكن بحيث لا يلحق الخصوص مضرة"⁵، فإذا تقابلت المصلحة والمضرة فشأن العقلاء النظر إلى التفاوت، ووقوع التلف من غير

¹ - أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ، باب حد الخمر، حديث 13541، ج7، ص377.

² - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ - 2001 م، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر قتادة عن أنس، حديث 5269، ج5، ص137.

³ - يُنظر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ - 2003 م، باب ما جاء في تضمين الأجراء، حديث 11666، ج6، ص202.

⁴ - المرجع نفسه، ص202.

⁵ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/1997م، ج3، ص58.

إهمال واستهتار، ولا تسبب وتفريط على وجه المباشرة والعمد.¹

ومن هنا يظهر وجه المصلحة في التضمين، فالناس لهم حاجة إلى الصناعات، وهم يغيبون عن الأمتعة في غالب الأحوال، والأغلب عليهم التفريط، وترك الحفظ، فلو لم يثبت تضمينهم مع ميسر الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين: إما ترك الاستصناع بالكلية، وذلك شاق على الخلق، وإما أن يعملوا ولا يضمنوا عند دعواهم الهلاك والضياع، فتضيع الأموال، ويقل الاحتراز، وتتطرق الخيانة.²

ومن المسائل التي اجتهد فيها أيضا علي بن أبي طالب عليه السلام، مسألة عدة الحامل من الوفاة، حيث أن جمهور الصحابة اتفقوا على أن عدة الحامل تنقضي بوضع حملها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾³.

أما علي بن أبي طالب عليه السلام فرأى أن عدتها تنقضي بآخر الأجلين، وقد وافقه في ذلك ابن مسعود رضي الله عنه، فذكر أن قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾⁶، نزل بعد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾⁷، وقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: إنما هذه في المطلقات، وأما في الوفاة فعدة الحامل أقصى الأجلين إن

¹ - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاعتصام، ت: د هشام بن إسماعيل الصيني، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ - 2008 م، ج3، ص19.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص18.

³ - الطلاق: 4

⁴ - يُنظر: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ - 2003 م، باب عدة الحامل من الوفاة، حديث 15474، ج7، ص706.

⁵ - يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج2، ص444.

⁶ - الطلاق: 4

⁷ - البقرة: 234

وضعت قبل أربعة أشهر وعشر تمادت إلى آخرها، والقول الأول أشهر، وعليه الفقهاء¹.

وقد اختار سحنون من المالكية رأي علي رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه، وقال بعض المفسرين: إن في هذا القول جمعا بين مقتضى الآيتين، وقال بعضهم: في هذا القول احتياط، ومن عبر بالاحتياط ذكر أن الآيتين تعارضتا بعموم وخصوص وجهي، فأعمل بمرجح الاحتياط لأحد المقتضيين، مرة بمقتضى الآية الأولى، ومرة بمقتضى الأخرى².

وهكذا أيضا تجلت اجتهادات بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، كابن عباس وابن مسعود وابن عمر ومعاذ وأبي موسى الأشعري وأمّهات المؤمنين وغيرهم، فكانوا يفتون في النوازل الجديدة اعتمادا على ما حفظوه من الوحيين، وتارة اعتمادا على ما فهموه من دلالة المقاصد وبصرهم بالتعليل الذي ورد فيه الدليل، وظلت مراعاة المقاصد ماثلة في عصر بعض السلف الصالح، وتباينت الاتجاهات في فقه الأئمة، فمنهم من يقتصر على ظواهر النصوص، ومنهم من يهتم بالمعاني ويتمسك بباطن النص، وبين من قال باعتبار الأمرين، وهو الذي أقره أكثر العلماء الراسخين³.

قال ابن قيم الجوزية: "المقتضي لضبط المعنى أقوى من المقتضي لحفظ اللفظ لأنه هو المقصود واللفظ وسيلة إليه وإن كانا مقصودين فالمعنى أعظم المقصودين"⁴.

¹ - يُنظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، ج5، ص325.
² - يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ص444.
³ - يُنظر: بن بيه، مشاهد من المقاصد، ص36-39-40.
⁴ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلة، ت: علي بن محمد الدخيل الله، ط1، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1408هـ، ج2، ص637.

المبحث الثالث: أقسام وضوابط فقه المقاصد

يهدف هذا المبحث إلى معرفة ما يتعلق بأقسام وضوابط فقه المقاصد. وعليه قسم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: أقسام فقه المقاصد

المطلب الثاني: ضوابط فقه المقاصد

المطلب الأول: أقسام فقه المقاصد

من خلال الدراسات والتحليلات المعمقة لموضوع مقاصد الشريعة، نجد أن العلماء والأصوليين اجتهدوا في إيجاد تقسيمات وتفريعات للمقاصد باعتبارها المتعددة، ولعل تشعب هذه التقسيمات وتداخلها، جعلني أذكر التقسيم الذي اعتمده الإمام الشاطبي، إضافة للتقسيمات التي اعتمدها الشيخ عبد المجيد النجار في كتابه "مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة"، وتبعاً لذلك تم تقسيم هذا المطلب إلى الفروع التالية:

الفرع الأول: المقاصد بحسب محل الصدور

الفرع الثاني: المقاصد بحسب قوة الثبوت

الفرع الثالث: المقاصد بحسب المناط

الفرع الرابع: المقاصد بحسب الشمول

الفرع الخامس: المقاصد بحسب قوة المصلحة

الفرع الأول: المقاصد بحسب محل الصدور

يعتبر أبو إسحاق الشاطبي من أبرز العلماء الذين قسموا مقاصد الشريعة بحسب محل صدورها، حيث ذكر أن المقاصد باعتبار هذا القسم تصنف إلى صنفين، هما: مقاصد الشارع، مقاصد المكلف.

أولاً: مقاصد الشارع:

وهي المقاصد التي أرادها الله عز وجل من وضعه للشريعة، والمتمثلة إجمالاً في جلب المصالح ودرء

المفاسد في الدارين¹ ، وقد قسمها الشاطبي إلى أربعة أصناف:

1- مقاصد الشارع من وضع الشريعة ابتداء:

وضع الله الشريعة لتحقيق مصالح العباد في الدارين، وهذه المقاصد كما قال الشاطبي لا تعدو ثلاثة أقسام: ضرورة، حاجية، تحسينية، وهذه المصالح الدنيوية والأخروية وضعها الشارع على الإطلاق، فجاءت على وجه أبدي وكلي وعم في جميع أنواع التكليف وفي جميع أحوال المكلفين² ، فالشريعة وضعت نظاما كاملا للسعادة في الدارين، وهذا النوع كما قال عبد الله دراز: "معناه وضع نظام كافل للسعادة في الدنيا والآخرة لمن تمسك به"³ ، فالقصد الابتدائي يعني بتحقيق المصالح ورعايتها في الدارين.

2- مقاصد وضع الشريعة للإفهام:

إن الله عز وجل وضع هذه الشريعة، وجعل البلوغ والعقل من مقتضيات التكليف حتى يحصل الفهم والإدراك، وألزم نفسه بإفهام الناس ليدركوا معنى الإسلام ومقاصد أحكامه، وفقه تلك المعاني والمقاصد والأسرار القرآنية، يقتضي فهم اللسان العربي، فالقرآن كما ذكر الشاطبي: "أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر... وتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد"⁴ . ومن هنا كان مطلب فقه اللغة العربية من أهم الوسائل والطرق الموصلة لفهم معاني خطاب الله ومقاصده.

¹ - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، د.ب، 1417هـ/ 1997م، ص5.

² - يُنظر: المرجع نفسه: ج2، ص17، ص62.

³ - المرجع نفسه: حاشية الموافقات، ص168.

⁴ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ص103.

3- مقاصد وضع الشريعة للتكليف:

إن الله وضع هذه الشريعة بحسب قدرة المكلف، فلا يصح التكليف بما لا يطاق شرعا وإن جاز عقلا، أما ما يدخل تحت مقدوره لكنه شاق عليه، فهذا الوجه على ضربين كما ذكر الشاطبي: "أحدهما: أن تكون المشقة مختصة بأعيان الأفعال المكلف بها، بحيث لو وقعت مرة واحدة لوجدت فيها، وهذا هو الموضوع الذي وضعت له الرخص المشهورة في اصطلاح الفقهاء، كالصوم في المرض والسفر، والإتمام في السفر، وما أشبه ذلك.

والثاني: أن لا تكون مختصة، ولكن إذا نظر إلى كليات الأعمال والدوام عليها، صارت شاقة، ولحقت المشقة العامل بها ويوجد هذا في النوافل وحدها إذا تحمل الإنسان منها فوق ما يحتمله على وجه ما، إلا أنه في الدوام يتعبه، حتى يحصل للنفس بسببه ما يحصل لها بالعمل مرة واحدة في الضرب الأول، وهذا هو الموضوع الذي شرع له الرفق والأخذ من العمل بما لا يحصل مللا، حسبما نبه عليه نهييه عليه الصلاة والسلام عن الوصال، وعن التنطع والتكلف...¹.

إن الشارع لم يقصد من التكليف بالمشاق الإعانات، وإنما وضع الشريعة على قصد الرفق والتيسير²، كما أن أحوال الإنسان "كلها كلفة في هذه الدار، في أكله وشربه وسائر تصرفاته، ولكن جعل له قدرة عليها بحيث تكون تلك التصرفات تحت قهره، لا أن يكون هو تحت قهر التصرفات، فكذلك التكليف؛ فعلى هذا ينبغي أن يفهم التكليف وما تضمن من المشقة إذا تقرر هذا، فما تضمن التكليف الثابت على العباد من المشقة المعتادة أيضا ليس بمقصود الطلب للشارع من جهة نفس المشقة، بل من جهة ما في ذلك من المصالح العائدة على المكلف"³، والمكلف عليه الاجتهاد في الطاعات والسعي في مواجهة العقبات رغبة في مرضاة الله عز وجل.

¹ - المرجع السابق، ص 207-208.

² - يُنظر: المرجع نفسه: ص 210-213.

³ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ص 214-215.

4- مقاصد وضع الشريعة للامتثال:

إن الشريعة وضعت لمصالح العباد، فهي عائدة عليهم بحسب أمر الشارع، لا على مقتضى أهوائهم وشهواتهم، ولذا كانت التكاليف الشرعية ثقيلة على النفوس¹، وكان الخضوع والامتثال لله والخروج عن اتباع الهوى والدخول تحت التعبد للمولى² مطلباً ومقصداً شرعياً، فيخرج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً³، قال عبد الله دراز: "الشارع يطلب من العبد الدخول تحت هذا النظام والانقياد له لا لهواه"⁴، ومن هنا فإن هذا النوع مداره على العمل بالشريعة وتطبيقها والالتزام بتكاليفها، والتجرد من حظوظ النفس وأهوائها.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن مقاصد الشارع جعلت لتحقيق مصالح الخلق في الدارين، ومن جهة أخرى، جاءت لتعرفنا بمضامين التشريع ومقتضياته وأسراره، وتدعونا للإمتثال لأوامر الله ونواهيه.

ثانياً: مقاصد المكلف:

المراد بمقاصد المكلف: "المقاصد التي يقصدها المكلف في سائر تصرفاته اعتقاداً وقولاً وعملاً، والتي تفرق بين صحة الفعل وفساده، وبين ما هو تعبد وما هو معاملة، وبين ما هو ديانةً وما هو قضاءً، وبين ما هو موافق للمقاصد وما هو مخالف لها"⁵.

فالأعمال بالنيات، والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات⁶، والمسلم مكلف بتطبيق الشريعة ومطالب بصحة الاعتقاد، وملزم بصدق النوايا وصلاحها في الأقوال والأعمال، وملازمة الظاهر لنوايا الباطن.

¹ - المرجع السابق، ج2، ص294.

² - يُنظر: المرجع نفسه: ص291.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص289.

⁴ - المرجع نفسه: حاشية الموافقات، ج2، ص168.

⁵ - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ-2001م، ص71.

⁶ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج3، ص7.

وعلى هذا الأساس يجب أن يقصد المكلف وجه الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾¹ ، وقال ﷺ: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)² .

فالإخلاص والتجرد لله تعالى وحده دون سواه مطلب ومقصد شرعي، قال ابن القيم رحمه الله: "إذا حدثتكَ نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص"³ .

كما أن عمل المكلف يجب أن يقع وفق قصد الشارع، فإذا تم ذلك تحققت المصلحة، أما إن خرجت عن ذلك فقد خالفت وضادت الشريعة⁴ .

ومن هنا كان الجمع بين مطلب الإخلاص، ومطلب موافقة قصد المكلف قصد الشارع، أساساً في صحة العبادة وقبولها، قال ابن القيم: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهمهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم"⁵ .

¹ - الزمر: 2

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. س، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث 2985، ج 4، ص 2289.

³ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1393 هـ - 1973 م، ص 149.

⁴ - يُنظر، الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 29.

⁵ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ - 1991 م، ج 1، ص 69.

الفرع الثاني: المقاصد بحسب قوة الثبوت

قسمت المقاصد الشرعية بحسب قوة أدلتها إلى ثلاثة أصناف وهي: (المقاصد القطعية، المقاصد الظنية، المقاصد الوهمية).

1- المقاصد القطعية:

أي المقاصد اليقينية، وهي: "التي تواترت على إثباتها طائفة عظمى من الأدلة والنصوص"¹، بحيث يحصل في الذهن يقين بأن ما دلت عليه تلك النصوص هو المقصد الشرعي الذي أراده الشارع²، ومثالها: التيسير، والأمن، وحفظ الأعراض، وصيانة الأموال³.

2- المقاصد الظنية:

ويراد بها المقاصد التي تقع دون مرتبة القطع، والتي اختلفت حيالها الأنظار والآراء⁴، فهي مقاصد غير منصوص عليها بما يفيد القطع، وحصل العلم بها عن طريق الاستقراء لتصرفات الشارع في تشريعه للأحكام، وهذه المقاصد الظنية لم تأت على درجة واحدة، بل هي متفاوتة فيما بينها، منها ما هو قريب من درجة القطع، ومنها ما هو ضعيف لدرجة تقترب به من درجة الوهم والإلغاء⁵، وفي ذلك قال ابن عاشور: "واعلم أن مراتب الظنون في فهم مقاصد الشريعة متفاوتة بحسب تفاوت الاستقراء المستند إلى مقدار ما بين يدي الناظر من الأدلة، وبحسب خفاء الدلالة وقوتها"⁶.

¹ - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ - 2001م، ص74. / أنظر أيضا: <https://archive.org>، عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006م، ص38.

² - المرجع نفسه: عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص38.

³ - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص73.

⁴ - المرجع نفسه، ص73.

⁵ - يُنظر: عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص38-39.

⁶ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، ج3، ص146.

وما يحدد قوة المقصد الظني هو توارده أحكام كثيرة من أجل تحقيق نفس المقصد، فيورث للناظر ظنا بأن ذلك المقصد هو المقصد الشرعي المبتغى من تلك الأحكام، فمثلا منع الشارع للاحتكار وخاصة في الأطعمة، ونهيه عن كنز الأموال، وتشريعه للتجارة وحثه عليها، وحثه على النفقات، كل ذلك يحصل منه ظن قوي بأن رواج الأموال على أوسع نطاق في المجتمع هو مقصد شرعي فيما يتعلق بأحكام الأموال¹.

3- المقاصد الوهمية:

وهي التي يُتخيل أنها صلاح وخير، إلا أنها على غير ذلك، وقد اصطلح العلماء على تسميتها بالمصالح الملقاة²، وهذه المقاصد غير معتبرة شرعا، وذلك أنه يتوهم في البداية أن هذه المصالح تحقق الصلاح والخير في ذاتها، ولكن في الحقيقة لا تخلف سوى الفساد والضرر وإن ظن خلاف ذلك، ومن أمثلتها: مصلحة القمار، وقتل المريض والميؤوس من شفائه، وما يتوهم الواهون من مصلحة في الخمر ربحا ماليا أو لذة جسمية، فيشرعون لها بالإباحة بناء على هذا المقصد الموهوم³.

الفرع الثالث: المقاصد بحسب المناط

قسمت المقاصد بحسب المناط إلى ثلاثة أقسام: مقاصد كلية، مقاصد نوعية، مقاصد جزئية.

1- المقاصد الكلية:

المراد بها: تلك المقاصد التي تعود إلى عموم الأمة كافة أو أغلبها⁴.

وتلتقي عندها كل الأحكام الجزئية بحيث لا يكون حكم منها إلا وهو منته في غايته البعيدة إلى تحقيقها⁵، ومثالها: حفظ النظام، وحماية القرآن والسنة من التحريف والتغيير، وتنظيم المعاملات، وبث روح

1 - يُنظر: عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص39.

2 - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ - 2001م، ج1، ص73.

3 - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص73. عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص40.

4 - المرجع نفسه، ص74.

5 - عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص40.

التعاون والتسامح، وتقرير القيم والأخلاق¹، ومقصد المساواة، مقصد وحدة الأمة، مقصد الحرية، مقصد تحقيق الخلافة في الأرض، ومقصد التيسير ورفع الحرج، فما من حكم من أحكام الشريعة عقيدة أو عبادة أو معاملة إلا يتبين عند التأمل أنه ينتهي إلى تحقيق هذه المقاصد بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة، بحيث تصبح الشريعة بمحمل أحكامها مفضية إلى هذه المقاصد الكلية، منتهية إليها في غايتها²، وهذه المقاصد الكلية تتناول قسم المقاصد العامة والخاصة³.

2- المقاصد النوعية:

وهي تلك المقاصد التي تلتقي مجموع أحكامها بنوع واحد من أنواع مجالات الحياة، فتكون تلك الأحكام على تعددها محققة لذات المقصد باعتبار اشتراكها في النوع، وذلك مثل مجموع الأحكام الشرعية المتعلقة بأحوال الأسرة فإنها هادفة في عمومها إلى تحقيق مقصد تمتين أسرة القرابة والحفاظ عليها، ومجموع الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات المالية فإنها هادفة إلى مقصد حفظ مال الأمة وتوفيره لها، ومجموع الأحكام المتعلقة بالقضاء والشهادة فإنها هادفة إلى تحقيق مقصد إظهار الحقوق وقمع الباطل الظاهر والخفي، وهكذا الأمر في كل جملة من الأحكام يجمعها نوع واحد فإنها تكون هادفة إلى تحقيق مقصد واحد باعتبار اشتراكها في النوع⁴.

3- المقاصد الجزئية:

والمراد بها: الأسرار التي وضعها وراعها الشارع عند كل حكم من أحكامها⁵، وهي عبارة عن الفروع الفقهية وما استدل به عليها كما هو واضح من كتب الفقه، وكتب القواعد، وما وضعه العلماء من

¹ - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص 74.

² - ينظر: www.alukah.net، موقع الألوكة، الشيخ عبد العزيز رجب، أنواع المقاصد باعتبار تعلقها بعموم الأمة وخصوص أفرادها، اليوم: 2019/5/22، الساعة: 13:16 / عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص 41.

³ - يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، ج 2، ص 142.

⁴ - يُنظر: عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة، ص 41-42.

⁵ - يُنظر: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، د. ط، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت، ص 3.

تصانيف في محاسن الشريعة الإسلامية¹، وذلك يعني أن أكثر من يعتني بهذا القسم من المقاصد، هم الفقهاء. لأنهم أهل التخصص في جزئيات الشريعة ودقائقها. فكثيراً ما يحددون، أو يشيرون إلى هذه المقاصد الجزئية في استنباطاتهم واجتهاداتهم. إلا أنهم قد يعبرون عنها بعبارات أخرى كالحكمة، أو العلة، أو المعنى، أو غيرها² فالجزئيات مقصودة معتبرة في إقامة الكلي³.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على أنواع عديدة من أساليب التشريع: منها التشريع العام الكلي، ومنها التشريعات الجزئية النازلة في صور أحكام لنوازل حلت، وهي أيضاً بمنزلة الأمثلة والنظائر لفهم الكليات⁴، ومن بين أمثلة المقاصد الجزئية في القرآن الكريم، مقصد تحقيق الطهارة من تشريع حكم الوضوء، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁵، ومقصد نزع أسباب الفتنة والعداوة الذي لأجله حرم الميسر والخمر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾⁶، وحكم النهي عن خطبة المسلم على خطبة أخيه والذي غرضه دوام الأخوة وحسم الأسباب التي تناقضها، وهكذا الأمر في كل حكم شرعي بالنظر إليه حكماً جزئياً⁷.

ومن هنا، فإن الكليات تستخلص من خلال تتبع الجزئيات، وتفهم الجزئيات في ضوء تلك الكليات، فيعلم ما ينضوي منها تحت تلك الكليات، وما هو مستثنى منها استثناءً يعتد به، وما هو معارض لها⁸.

1 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج2، ص143.

2 - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412 هـ - 1992م، ص8.

3 - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج2، ص96.

4 - يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص544، ص278.

5 - المائة:6.

6 - المائة:91.

7 - يُنظر: عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص42.

8 - نعمان جعيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1435 هـ - 2014 م، ص335.

الفرع الرابع: المقاصد بحسب الشمول

قسم بعض الباحثين مقاصد الشريعة من حيث دائرة ما تشمله المصلحة إلى قسمين: مقاصد عامة ومقاصد خاصة.

1- المقاصد العامة:

عرفها ابن عاشور بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة. فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"¹.

أي أنها كما ذكر الشاطبي تلك المصالح التي اتجهت جملة التكاليف إلى تحقيقها اعتبارا للجزئي بالكلي²، ومن أمثلتها، قصد الشارع إلى: السماحة والمساواة والحرية والتي تفضي جميعها لتحقيق حفظ نظام الأمة³، والتيسير ورفع الحرج⁴. وباعتبار هذه المقاصد العامة في التشريع الإسلامي كانت الشريعة الإسلامية نظامًا اجتماعيًا كاملاً كافيًا لمصالح الجمهور ضابطًا لها، صالحًا لكل زمان ولكل مكان ولكل جنس⁵. وهذه المقاصد اعتنت بها الشريعة اعتناء بالغًا، وتم الالتزام بها على مستوى الشريعة كلها، لأنها تشمل مصالح الناس جميعًا أو الأغلبية العظمى منهم.

2- المقاصد الخاصة:

والمراد بها كما قال الريسوني: "المقاصد التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين، أو في أبواب قليلة

1 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج3، ص165.

2 - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج3، ص24. ذكرت في الحاشية

3 - يُنظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج2، ص122.

4 - يُنظر: نعمان جعيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، 293.

5 - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، أنار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 1997، ج4، ص364.

متجانسة، من أبواب التشريع¹، أي أنها تلك التي تتعلق بباب معين، أو أبواب معينة²، وقال جمال الدين محمد عطية: "نعني بها المقاصد الخاصة بباب معين أو بأبواب متجانسة من الشريعة أو مجموعة متجانسة من أحكامها، وكذلك الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والكونية لضبطها بموازين الشريعة"³.

وهذه المقاصد الخاصة كما ذكر ابن عاشور، تشمل: "أحكام الأسرة، والتصرفات المالية، والأموال، والمعاملات المنعقدة على عمل الأبدان، وأحكام التبرعات، وأحكام القضاء والشهادة وما يتصل بذلك من تصرف القاضي في تعيين المؤمن من بين أفراد المستحقين أو من غيرهم، والتعجيل بإيصال الحقوق إلى أصحابها، والمقصد الشرعي من العقوبات"⁴.

الفرع الخامس: المقاصد بحسب قوة المصلحة

ثبت من خلال الاستقراء أن المقصد العام للشريعة الإسلامية إنما هو تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل معا⁵، والمراد بالمصالح كما قال أبو حامد الغزالي: "المحافظة على مقصود الشرع"⁶، وهذه المصالح جاءت لحفظ الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، ووفقا لذلك تم تقسيم المقاصد بحسب مدى الحاجة إليها وقوة المصلحة فيها وتأثيرها إلى: المقاصد الضرورية، المقاصد الحاجية، المقاصد التحسينية.

1- المقاصد الضرورية:

وهي: "المقاصد الضرورية التي جاءت بها وبجفظها كل ملة، وجمعتها الشريعة الإسلامية، واستوعبتّها

1 - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412 هـ - 1992م، ص8.

2 - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ - 2001م، ص72.

3 - جمال الدين محمد عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، هرنندن - فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، 1432هـ/2011م، ص128.

4 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص122.

5 - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ص41. ذكر في حاشية مقدمة المحقق.

6 - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1993م، ص174.

الملة المحمدية التي ختم الله بها النبوة والرسالة¹ ، وقد عبر عنها ابن عاشور بالمصالح الضرورية، قال: "المصالح الضرورية، هي التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها، بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، بحيث إذا انخرمت تؤول حالة الأمة إلى فساد وتلاش"² ، فهذه المقاصد لا بد منها في قيام مصالح الدارين³ ، وضياعها كما يقول ابن عاشور: "معناه أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام، بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها، وقد يفضي بعض ذلك الاختلال إلى الاضمحلال الآجل بتفاني بعضها ببعض، أو بتسلط العدو عليها إذا كانت بمرصد من الأمم المعادية لها أو الطامعة في استيلائها عليها"⁴ .

والمقاصد الضرورية في أصلها هي أعلى المراتب⁵ ، وهذه المقاصد عند بعض العلماء خمسة مقاصد كبرى ومنهم من اجتهد وزاد عليها، وسنركز على المقاصد الضرورية الخمسة المعروفة، ذكر أبو حامد الغزالي أن: "مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"⁶ .

وحفظ هذه المقاصد الضرورية يكون من جانبين: جانب الوجود وهو ما يقيم دعائمها ويحقق

1 - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري، ترتيب الفروق واختصارها، ت: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1414 هـ - 1994 م، ج2، ص519. ذكرت في الحاشية

2 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ - 2004 م، ج3، ص232.

3 - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421 هـ - 2001 م، ص72.

4 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص232.

5 - محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ت: محمد مظهر بقا، ط1، دار المدني، السعودية، 1406 هـ / 1986 م، ج3، ص117.

6 - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1993 م، ص174.

1 وجودها وتثبيتها، ومن جانب عدم وهو ما يحفظها مما يؤدي إلى إزالتها .

ومن أمثلة الضروريات الخمس:

أ- حفظ الدين: ويتحقق من جانبين:

جانب الوجود: ويحفظ عن طريق الإيمان بالعميقة، وأداء العبادات الرئيسية كالصلاة والزكاة.

2 جانب عدم: ويحفظ عن طريق الجهاد، وقتل المرتدين، ومنع الابتداء .

ب- حفظ النفس: وحفظ النفس يتحقق من جانبين:

3 جانب الوجود: كتناول المأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، وما أشبه ذلك.

4 وجانب عدم: كتشريع القصاص والعقوبات الرادعة .

ج- حفظ العقل: وحفظه يكون من جانبين:

5 جانب الوجود: وذلك عن طريق تنميته بالقراءة والعلم وتغذيته بالمعارف، وعن طريق التبصر والنظر في الكون .

6 جانب عدم: وذلك بتحريم كل ما يتلفه؛ كتحريم المسكرات والمخدرات .

د- حفظ النسل: وحفظ النسل يكون من جانبين:

7 جانب الوجود: حفظت الشريعة النسل عن طريق الزواج والحث على التناسل والتوالد بقصد إعمار الكون .

1 - يُنظر: أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412 هـ - 1992م، ص126.

2 - يُنظر: المرجع نفسه، ص126.

3 - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ص7-8.

4 - يُنظر: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، ج3، ص274.

5 - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ - 2001م، ص79.

6 - يُنظر: المرجع نفسه، ص79.

7 - يُنظر: المرجع نفسه، ص79.

1
جانب العدم: حرمت الشريعة اللواط والسحاق، ووأد البنات والإجهاض، وحرمت الزنا والتبني .

هـ- حفظ المال: وحفظ المال يكون من جانبين:

جانب الوجود: شرعت البيوع بكل أشكالها وانتقالات الأموال واستثمارها، وتداول المنافع المالية، وكذا العقود بشتى صنوفها لأجل استقرار الحياة المالية بين الناس²، وأيضا الحث على العمل والإنتاج والسعي، لأجل تحصيل القوت، وسد الحاجات والضرورات والمطالب اللازمة في استقرار الحياة وتواصلها ونمائها³.

جانب العدم: ويكون بتحريم أكل أموال الناس بالباطل، واجتناب كثر الأموال، واجتناب السفه والتزرف، وتشريع حد السرقة والتعزير⁴.

وهكذا، فإن هذه المقاصد يجب حفظها وصيانتها ومراعاتها، وذلك بفعل ما يوجد لها وترك ما يعطلها ويغييها⁵، "فأبما مقصد من هذه المقاصد تعطل في حياة الأمة أذن وضعها العام بالعطالة عن أداء مهمتها المطلوبة منها، ولنا أن نتصور على سبيل المثال أن النفوس لو لم تكن محفوظة بأن كان إزهاقها مباحا، والتعدي عليها مرخصا فيه كيف أن ذلك يؤدي إلى التفاني بين الأفراد والجماعات، وقد يؤدي إلى الانقراض والتلاشي، وكذلك الأمر بالنسبة لكل مقصد من هذه المقاصد الضرورية"⁶.

2/ المقاصد الحاجية:

هي أقل درجة من المقاصد الضرورية، وهي ما يقع محل الحاجة، ولم يصل إلى الضرورة، وهي ما شرع لغرض التوسعة، ورفع الضيق والمشقة والخرج عن حياة المكلفين⁷، فهي من المصالح التي يحتاج إليها الإنسان،

1 - يُنظر: جمال الدين محمد عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص143-144

2 - <https://www.arrabita.ma/>، د. الحسان شهيد، نظرية حفظ الكليات من جانبي الوجود والعدم في الواقع المعاصر - دراسة مقاصدية، التاريخ: 24 نوفمبر 2017م، الوقت: 22:00.

3 - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ - 2001م، ص79.

4 - جمال الدين محمد عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص140-141.

5 - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص85.

6 - عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص47.

7 - يُنظر: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ط5، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، 1423 هـ - 2003 م، ج1، ص45/ ويُنظر: أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412 هـ - 1992م، ص126.

وإذا فقدت لا يحتل نظام حياته، ولا يؤدي ذلك إلى الفوضى، ولكن يناله الحرج والمشقة، وذلك كالرخص المخففة مثل: المرض، والسفر، وإباحة الصيد، والمضاربة¹، والتوسع في المعاملات المشروعة، على نحو السلم والمساقاة²، والإجازات، والمشاركات، وسائر المعاملات، والتمتع بالطيبات³.

3/ المقاصد التحسينية:

وهذه المقاصد كما ذكر أبو حامد الغزالي هي من باب التحسين والتزيين والتيسير للمزايا ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات⁴، وعرفها ابن عاشور بقوله: "المصالح التحسينية هي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبا في الاندماج فيها أو في التقرب منها. فإن لمحاسن العادات مدخلا في ذلك سواء كانت عادات عامة كستر العورة، أم خاصة ببعض الأمم كخصال الفطرة وإعفاء اللحية. والحاصل أنها مما تراعى فيها المدارك الراقية⁵. "وهي التي تليق بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق، والتي لا يؤدي تركها غالبا إلى الضيق والمشقة، ومثالها: الطهارة وستر العورة وآداب الأكل وسننه وغير ذلك"⁶، ومثالها أيضا: "سلب العبد أهلية الشهادة مع قبول فتواه وروايته من حيث إن العبد نازل القدر والرتبة ضعيف الحال والمنزلة باستسحار المالك إياه فلا يليق بمنصبه التصدي للشهادة"⁷.

¹ - يُنظر: عبد الله بن محمد بن سعد آل خنين، توصيف الأقضية في الشريعة الإسلامية «دراسة شرعية لأصول وفروع تنزيل الأحكام الكلية على الوقائع القضائية والفتوية مع تطبيقات قضائية من أفضية السلف ومحاكم المملكة العربية السعودية»، ط1، د. دار، د.ب، 1423 هـ - 2003 م، ج1، ص551.

² - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص72.

³ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، توضيح الأحكام من بلوغ المرآة، ص45.

⁴ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1993 م، ص175.

⁵ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ج3، ص243.

⁶ - نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص72.

⁷ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ص175.

ومثالها أيضا: التقرب بنوافل الخيرات من الصدقات، ومجانبة الإسراف والإقتار في المتناولات، ومنع بيع النجاسات، وسلب المرأة منصب الإمامة، وإنكاح نفسها، ومنع قتل الحر بالعبد، أو قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد، وغيرها من الأمثلة الراجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقداها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والترزين¹.

ومن هنا نستخلص أن المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية، تُخدم بعضها البعض، وتكمل بعضها بعضا، ولكل من الأنواع الثلاثة مكملات، تُهدف بمجموعها إلى تحقيق مقاصد الشرع - كليا وجزئيا - وتُهدف إلى بناء الأمة المسلمة في سائر أحوالها وأمورها، العقدية، والتشريعية، والأخلاقية، والحضارية، ولذلك لا بد من التنبه لهذه الحقيقة المعتمدة أثناء فهم الدين وتنزيله في الواقع المعيش، حتى لا يقع الخلل والاضطراب في منظومة التشريع، وفي مصالح الخلق في الدنيا والآخرة².

المطلب الثاني: ضوابط فقه المقاصد

المتطلع لأدبيات فقه المقاصد يلمح ذلك التداخل الصريح بين مدلولات ألفاظ "الضابط" و"الآلية" و"القاعدة" و"الشرط"، فثمة من يجعل الفرق بينها معتبرا وثمة من يجعلها بمعنى واحد، وأصل ذلك مرده غياب التحديد الدقيق للمعاني، لهذا كان حريا بنا بيان مدلول الضابط في الدراسة.

الضابط: من حيث الدلالة اللغوية هو: "لزوم الشيء وحبسه"³، أما اصطلاحا فهو: "حكم كلي ينطبق على الجزئيات"⁴.

وقد وضع العلماء ضوابط تحكم مقاصد الشريعة وتمنع استغلالها والعبث بها، وسنعتقد البحث في بيان هذه الضوابط معتمدين على ما قرره ابن عاشور في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وما فصله ابن بية في كتابه "مشاهد من المقاصد"، وذلك لأن من تناول الضوابط لم يتجاوز - في حدود اطلاعي - ما

¹ - يُنظر: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، د.ب، 1417هـ/ 1997م، ج2، ص22-23.

² - يُنظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ص100.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج7، ص340.

⁴ - محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، قواعد الفقه، ط1، الصدف بيلشرز، كراتشي، باكستان، 1407 - 1986، ص357.

ذكره هذان العالمان.

كما سأحاول أيضا وضع بعض الضوابط المعتمدة عند التعامل مع المقاصد في المجال الدعوي، وهي اجتهاداتي كباحثة في حدود ما أمكن.

بناء على هذا يمكن تقسيم هذا المطلب إلى الفرعين التاليين:

الفرع الأول: ضوابط فقه المقاصد من منظور أصول الفقه

يمكن تلخيصها فيما يلي:

ذكر الطاهر ابن عاشور أنه من خلال: "استقراء أدلة كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة يوجب لنا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحكم وعلل راجعة للصالح العام للمجتمع والأفراد"¹، وهذه المصالح حتى نأمن التباسها واختلاطها، فإنه لا بد من مراعاة ضابطها حتى لا تقع في الأوهام.

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور نوعين من المقاصد باعتبار معناها: (معان حقيقية، ومعان عرفية عامة)، واشترط فيها: الثبوت والظهور والانضباط والاطراد، وبين أن المراد بالمعاني الحقيقية تلك التي لها تحقق في نفسها بحيث يدرك كل صاحب عقل سليم نفعها أو ضررها العام، كإدراك كون العدل نافعاً، وكون الاعتداء على النفوس ضاراً²، كما أشار إلى أن المراد بالمعاني العرفية: "المجربات التي ألفتها نفوس الجماهير، واستحسنتها استحساناً ناشئاً عن تجربة ملائمتها لصالح الجمهور، كإدراك كون الإحسان معنى ينبغي تعامل الأمة به، وكإدراك كون عقوبة الجاني رادعة إياه عن العود إلى مثل جنائته، ورادعة غيره عن الإجرام"³.

وبناء على ذلك سنحاول أن نتطرق باختصار لشروط وضوابط هذين النوعين، وفق الآتي:

أولاً: ضوابط المقاصد عند ابن عاشور:

1 - ضابط الثبوت: أشار الشيخ ابن عاشور إلى أن من شروط المقصد أن يكون ثابتاً مجزوماً

1 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ج3، ص37.

2 - يُنظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص165-166.

3 - المرجع نفسه، ص166.

بتحققه أو قريبا منه، وهذا ما عبر عنه بقوله: "المراد بالثبوت: أن تكون تلك المعاني مجزوما بتحققها، أو مظنونا ظنا قريبا من الجزم"¹، أي أنه يدخل ضمن القطعيات أو الظن القريب من القطعي، فإذا ثبت أو غلب على ظن المجتهد أن هذا من مقاصد الشريعة أخذ به، أما إذا كانت غير ذلك وثبت أنها مبنية على الأوهام وجب رفضها، وهذا ما نص عليه في قوله: "إننا استقرينا الشريعة فوجدناها لا تراعي الأوهام والتخييلات وتأمّر بنبذها، فعلمنا أن البناء على الأوهام مرفوض في الشريعة إلا عند الضرورة، فقضينا بأن الأوهام غير صالحة لأن تكون مقاصد شرعية"².

2 - ضابط الظهور: يرى الشيخ ابن عاشور أن من شروط تحقق المقصد أن يكون واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وهذا ما جاء في قوله: "المراد بالظهور: الاتضاح، بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهه، مثل حفظ النسب الذي هو المقصد من مشروعية النكاح؛ فهو معنى ظاهر ولا يلتبس بحفظه الذي يحصل بالمخادنة أو بالإلاطة، وهي إصاق المرأة البغي الحمل الذي تعلقه برجل معين ممن ضاجعوها"³.

3 - ضابط الانضباط: أشار الشيخ ابن عاشور إلى أن من شروط المقصد أن يكون له حد معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، والحد كما ذكره بعضهم "هو منتهى المعنى من مراد الله"⁴، وقد عبر ابن عاشور عن هذا الضابط بقوله: "المراد بالانضباط: أن يكون للمعنى حد معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لأن يعتبر مقصدا شرعيا قدرا غير مشكك، مثل حفظ العقل إلى القدر الذي يخرج به العاقل عن تصرفات العقلاء الذي هو المقصد من مشروعية التعزير بالضرب عند الإسكار"⁵.

4 - ضابط الاطراد: أشار الشيخ ابن عاشور إلى أن من شروط المقصد أن يكون دائما لا متغيرا،

¹ - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 166.

² - المرجع نفسه، ج 3، ص 172.

³ - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 166-167.

⁴ - يُنظر: books.google.dz، شريف راشد الصديقي، مفهوم النص عند عمر بن الخطاب: أحكام: الفتح - الغنيمه - القيء، ط 1، إي كتب للنشر، لندن، أغسطس 2016م، ص 37.

⁵ - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 167.

وهذا ما ذكره في قوله: "المراد بالاطراد: أن لا يكون المعنى مختلفا باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار، مثل وصف الإسلام، والقدرة على الإنفاق في تحقيق مقصد الملاءمة للمعاشرة المسماة بالكفاءة المشروطة في النكاح في قول مالك وجماعة من الفقهاء، بخلاف التماثل في الإثراء أو في القبيلة"¹، فإذا احتلت صفة الاطراد يوكل الأمر إلى نظر العلماء والولاة الأمناء على مصالحها من أهل الحل والعقد، لتعيين الوصف الجدير بالاعتبار في أحد الأحوال دون غيره صلاحا أو فسادا، وذلك مثل القتال والمجادلة. فقد يكون ضرا إذا كان لشق عصا الأمة، وقد يكون نفعا إذا كان للذب عن الحوزة ودفع العدو.²

ثانيا: ضوابط المقاصد عند ابن بية:

أما ابن بية فقد حدد ثمانية ضوابط لاعتبار المقاصد، وسنحاول عرضها بإيجاز فيما يلي:

- 1- **التحقق:** وذلك بأن يتم التحقق من المقصد الأصلي الذي من أجله شرع الحكم، لأنه بدون التحقق من المقصد الأصلي لا يمكن أن يعلل به، إذ يمكن أن ينصرف الأمر إلى التعبد مباشرة³، وهو ما أطلق عليه الطاهر ابن عاشور مسمى الثبوت، إذ لا اعتبار لضابط في مقصد غير معتبر شرعا.
- 2- **الظهور:** وذلك بأن يكون المقصد ظاهرا منضبطا، لأنه إذا لم يكن كذلك فلا يمكن التعليل به، فالغرر مثلا يورث البغضاء، والبغضاء صفة نفسية، فهو من باب الحكمة التي قد نلجأ إليها للتعليل بها على خلاف، وذلك عند تعذر الانضباط في الوصف.⁴
- 3- **الترتيب:** أن نحدد درجة المقصد في سلم المقاصد (ضروري، حاجي، تحسيني) / (أصلي، تابع) ... إلخ.
- 4- **الاستدلال:** لا بد من النظر في النصوص الجزئية المؤسسة للحكم لأنه من خلالها يمكن ضبط التصرف في ضوء تأكيد الشارع على الحكم أو عدمه للتعرف على المقصد ومكانته وضبط التعامل معه إلغاء أو إثباتا لما يعارضه من الضروريات الحاقة أو الحاجات الماسة.
- 5- **لا بد من النظر إلى المقصد المعلل به إذا كان منصوبا أو مستتبطا:** فإذا كان منصوبا يرتفع الحكم بزواله، وإذا كان مستتبطا يخصص كالثمنية بالنسبة للنقدين.

¹ - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 167.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 168.

³ - يُنظر: بن بية، مشاهد من المقاصد، ص 181.

⁴ - المرجع نفسه، ص 182.

6- غير مردود: يجب ألا يكون المقصد المعلل فيه مردودا بقادح النقض كالاتعجال والمعاملة بنقيض القصد.

7- عدم المعارضة: ألا يكون معارضا بمقصد آخر أولى منه بالاعتبار فيستصحب أصل النص أو يرجح بين مقصدين.

8- ليس محل إلغاء: وذلك بأن لا يكون محل إلغاء بالنص أو الإجماع أو القياس السالم من المعارض¹.

الفرع الثاني: ضوابط فقه المقاصد من منظور الدراسة

تتحكم الضوابط في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى (مثل: الحفاظ على الدين، النفس، العقل، المال، النسل)، لذلك وجب على الدعاة مراعاة هاته الضوابط وتحري مقاصد العمل الدعوي المعاصر بالتحقيق والضبط، وذلك عن طريق الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية التي تضمن تحقيق أهداف العمل الدعوي المعاصر وسيهر بشكل سليم ومتزن بعيدا عن الزلل خاصة أثناء الممارسة الدعوية، ولعل من بين أهم هذه الضوابط:

1- الانضباط العلمي والعملية

يجب أن تكون المقاصد الدعوية معتبرة شرعا، موافقة لما جاء في الكتاب والسنة، لا تناقض أصلا من أصول الدين، ولا تخالف كليات الشريعة ومضامينها وضوابطها، والداعية عليه اتباع مقاصد الشارع أثناء أداء الرسالة الدعوية، فأبي تشريع لا يحكم بما أراد الله، فهو تشريع باطل لا يعمل به، فالشارع هو منزل الوحي، وهو الأعلم بمقاصد دينه، قال الشاطبي: "إن المصالح التي تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حق معرفتها إلا خالقها وواضعها، وليس للعبد بما علم إلا من بعض الوجوه"².

والداعية لا يمكنه إدراك المقاصد إلا إذا كان محاطا بالعلم الشرعي دراية وفهما، عارفا بمصالح الناس الضرورية والحاجية والتحسينية، منضبطا بالقواعد الكبرى والأصول العامة للدين، فيكون كما ذكر الشاطبي

¹ - بن بية، مشاهد من المقاصد، ص182.

² - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج1، ص537.

ربّانا من علم الشريعة، أصولها وفروعها، معقولها ومنقولها¹، فيحرص على ضبط نصوص الكتاب والسنة ومعرفة معانيهما ودلالات اللفظ والسياق، متقيدا في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم²، ويكون مطلعا على أقوال أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين. كما عليه أن تكون له معرفة بمقاصد الشريعة، والمصالح والمفاسد وضبطهما، لأن تحريها في مرتبة الضرورة للداعية، فهي تمكنه من التعامل مع الوقائع والنوازل، بكل يسر وسهولة، وهذا النوع من الفقه ضروري وبدونه تأتي الأحكام في الغالب مشلولة أو متناقضة.³

وبقدر معرفة هذه الكليات والأصول وإتقانها، والقدرة على إرجاع الجزئيات إليها، تعلق درجة فقه الإنسان وتزداد مرتبته في العلم⁴، يقول ابن تيمية: "لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم"⁵. وهذه المعرفة لا بد أن ترتبط بالعمل، فالعمل غاية العلم، والعمل يقتضي العلم، وعبادة الله والدعوة إليه مرتبطة بالعلم والعمل، قال الإمام علي عليه السلام: "قسم ظهري رجالان: عالم مهتك وجاهل متنسك؛ فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه"⁶.

2- مراعاة فقه الأولويات:

إن فقه الأولويات هو إدراك شرعي مقاصدي واقعي لرتب الأقوال والأعمال، وترتيبها نظريا وعمليا،

¹ - الشاطبي، الموافقات، ص124.

² - يُنظر: ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ت: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1425هـ-2004م، ص26.

³ - يُنظر: عزيز بن فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، دار الإمام مالك - أبو ظبي، 1426هـ - 2005م، ص69-70.

⁴ - سعد الدين العثماني، أصول الفقه في خدمة الدعوة، ط3، دار الكلمة، مصر، القاهرة، 1435هـ-2014م، ص32.

⁵ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج19، ص203.

⁶ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، د.ط، دار المعرفة - بيروت، د.س، ج1، ص58.

وذلك من حيث الأهمية والتقديم والأرجحية¹ ، ولقد عرف يوسف القرضاوي فقه الأولويات، قائلاً: "وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي ونور العقل"².

ومن هنا نجد أن الداعية مطالب بمراعاة ترتيب المهام الدعوية، فيبدأ بالأهم ثم المهم، وبالأصول قبل الفروع، والواجبات قبل المندوبات، ويقدم المصلحة العامة قبل الخاصة، والمصالح العاجلة على الآجلة، والمصالح الأخروية على المصالح الدنيوية، والمصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، والمصلحة القطعية على الظنية، ويقدم المقاصد على الوسائل، ويختار الراجح قبل المرجوح، وهكذا يختار الأصلح والأولى، وفي هذا المضمار نذكر ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وتُرَدُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتَوَقَّ كرائم أموال الناس)³.

وهكذا، فإن العمل الإسلامي المعاصر يشغل على كل الجبهات، ويسعى إلى إقامة الدين في كل مجالات وميادين الحياة العامة: (التربوية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية، الإعلامية، الاجتماعية...)، وهذه المجالات وما يبذل فيها من جهود لا تكون دائماً على نفس الدرجة من الأولوية والأهمية، وإنما يكون بعضها أحياناً أولى من بعض، حسب ما تمليه ظروف المكان والزمان وحال الإنسان، ومن ثم فلا بد للعمل الإسلامي المنظم من سلم أولويات يحدد مجالات العمل، ومرتبته كل مجال، ويضع برنامجاً لما يلزم من الأنشطة والأعمال في كل مجال، ومرتبته كل عمل أو نشاط، حسب ظروف ومعطيات الفئة البشرية

¹ - يُنظر: محمد يسري إبراهيم حسين، فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة، ط2، دار اليسر للنشر والتوزيع، مصر، 1433 هـ - 2012 م، ص25.

² - يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1420 هـ-1999 م، ص9.

³ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، رقم الحديث 1458، ج2، ص119.

المستهدفة، واللحظة التاريخية، والبيئة الجغرافية.¹

3-مراعاة فقه الموازنات:

يعد فقه الموازنات من بين أنواع الفقه الدعوي، وهو: "مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة أو المفسدات المتعارضة مع المصالح، ليتبين بذلك أيُّ المصلحتين أرجح فتقدم على غيرها، وأيُّ المفسدتين أعظم خطرًا فيقدم درؤها"²، أي أنه يقوم على الموازنة بين المصالح بعضها ببعض، والموازنة بين المفسدات بعضها ببعض، والموازنة بين المصالح والمفسدات إذا تعارضتا.³

فالعالَم بالموازنة بين الأعمال مع اختلاف الأوقات، لا يخفى عليه راجحها من مرجوحها وفاضلها من مفضولها،⁴ فالموازنة بين الأمرين بمعنى: الترجيح بينهما، أو بمعنى "قايس"، والمقايسة بين الأمرين: التقدير بينهما،⁵ وهذا الفقه هو أحص من فقه الأولويات لكونه للترجيح بين المتعارضات، أما فقه الأولويات فهو للترتيب بين المصالح، وهذا الترتيب قد ينبني على فقه الموازنات عند التعارض.⁶

والداعية بحاجة إلى هذا النوع من الفقه، ففي حالة التشابه والتعارض بين المصالح الدعوية أو المفسدات، عليه أن يحاول الجمع بينها، فإن لم يتمكن من ذلك، لا بد من الموازنة والترجيح، كما قال ابن تيمية: "الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسدات وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناها، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها هو المشروع"⁷. كما أن تحصيل أعلى

¹ - يُنظر: midad.comk، موقع مداد، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، عبد الكبير حميدي، التاريخ: 10 جوان 2020، الساعة: 18:15.

² - عبد المجيد محمد السوسوة، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، ط1، دار القلم: دبي، 1425 هـ، ص 13.

³ - يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط14، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417 هـ/1998 م، ص4.

⁴ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط1، دار ابن حزم، د.ب، د.س، ص 925.

⁵ - يُنظر: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غييب بن محمد، معجم المناهي اللفظية وفوائده في الألفاظ، ط3، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1417 هـ - 1996 م، ص407.

⁶ - يُنظر: يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص 35.

⁷ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416 هـ/1995 م، ج28، ص284.

المنفعتين، ودفع أكبر الضررين، والقدرة على الترجيح، مطلب ضروري بالنسبة للداعية، قال العز بن عبد السلام: "إذا اجتمعت المصالح الأخروية الخالصة، فإن أمكن تحصيلها حصلناها، وإن تعذر تحصيلها حصلنا الأصلح فالأصلح والأفضل فالأفضل... فإذا استوت مع تعذر الجمع تخيرنا"¹.

وتكون الموازنة بين الأصول والفروع، والموازنة بين الغاية والوسيلة، والموازنة بين العاجل والآجل، والموازنة بين العام والخاص، والموازنة بين الفاضل والمفضول، والموازنة بين رتب الأعمال، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والموازنة بين الواقع والواجب.²

ومن أمثلة الموازنة: تقديم الفاضل على المفضول؛ كتقديم بعض الفرائض على بعض، مثل: تقديم الصلاة الوسطى على سائر الصلوات، وكذلك تقديم كل فريضة على نوعها من النوافل كتقديم فرائض الطهارات على نوافلها، وفرائض الصلوات على نوافلها، وفرائض الصدقات على نوافلها، وتقديم فرائض الصيام على نوافلها.³

ومن بين ضوابط فقه الموازنات:

أ - ضوابط متعلقة بالداعية: فالداعية عليه أن يتحلى بمجموعة من الصفات والمهارات العلمية والعملية والخلقية، كما يجب أن يكون قصده وخطابه وعمله موافقا لما شرعه الله عز وجل.

ب - ضوابط متعلقة بعملية الموازنة الدعوية: وتشتمل على تبصر النتائج، والتجزئة والمرحلية، والتدرج، والتسديد والتقريب، والتيسير ورفع الحرج، وسد الذرائع، والضرورة والحاجة.

ج - ضوابط متعلقة بنتائج الموازنة الدعوية: وذلك بتتبع نتائج الموازنة الدعوية، وقابليتها للتغيير والنقد الذاتي والمراجعة المستمرة.⁴

¹ - أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414 هـ - 1991 م، ج1، ص62.

² - يُنظر: معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، فقه الموازنات الدعوية معاملة وضوابطه، د.ط، مكتبة دار اقرأ، الكويت، د.س، ص678-679.

³ - أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ص64.

⁴ - يُنظر: معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، فقه الموازنات الدعوية معاملة وضوابطه، د.ط، مكتبة دار اقرأ، الكويت، د.س، ص679-680.

4- مراعاة فقه الواقع

عرف يوسف القرضاوي فقه الواقع بأنه: "فقه مبني على دراسة الواقع المعيش دراسة دقيقة مستوعبة كل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات والإحصاءات"¹. وعُرف كذلك أنه "مركب اصطلاحى يعبر عن مستوى من إدراك الواقع يتميز بقدر كبير من الدقة والإحاطة والوضوح، بعيداً عن العموميات والانطباعات والآراء المسبقة"². وعُرف كذلك بأنه: "علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة، ورفيها، في الحاضر والمستقبل"³.

وتكمن أهمية دراسة فقه الواقع وفهمه بكل مكوناته، في كونه ضرورة حضارية، فهو يمكن من فهم الأحداث المختلفة ويستوعب الوقائع والمستجدات، معتبرا بخصوصياتها وبظروف الزمان والمكان والإنسان، كما أنه يؤثر في الأحكام، قال الشاطبي: "لا يصح للعالم إذا سئل عن أمر كيف يحصل في الواقع إلا أن يجيب بحسب الواقع، فإن أجاب على غير ذلك؛ أخطأ في عدم اعتبار المناط المسؤول عن حكمه؛ لأنه سئل عن مناط معين؛ فأجاب عن مناط غير معين"⁴.

إن دراسة البيئة الدعوية المعاصرة "وتأسيس منطلقاتها ومنهجية عملها في عالم متصارع ليس بالأمر الهين في داخل الأمة فما بالك بتوجيهه للآخر، فهو فضلا عن استلزام العامل فيه بالتبحر في علوم كثيرة، شرعية ولغوية ودينية؛ فإنه يتطلب قراءة سليمة لواقع الأمة وأسباب تخلفها في إيصال الإسلام للآخر رغم تطور الزمن وآلياته من جهة وما تحمله هذه الأمة من إرث عظيم وإمكانات كبيرة من جهة أخرى"⁵.

¹ - يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1991م، ص30.

² - midad.com، موقع: مداد، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، عبد الكبير حميدي، التاريخ: 10 جوان 2020، الساعة: 18:15.

³ - ناصر عمر، فقه الواقع، دار الوطن، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م، ص10.

⁴ - يُنظر: أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح: عبد الله دراز وآخرون، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ج3، ص53.

⁵ - خالد فائق العبيدي، مقدمة هندسة الدعوة العصرية من المنطلقات إلى التطبيقات، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1431هـ - 2010م، ص16.

كما أن "تجاهل الواقع والقفز من فوقه وعدم أخذه بعين الاعتبار هو استنبات للبذور في الهواء بدل زرعها في الأرض"¹.

كما تعتبر أيضا المعرفة بنفسيات الناس والبصيرة بأحوالهم ضمن فقه الواقع، فحال المدعو الفكرية والسلوكية تؤثر فيها تيارات وعوامل مختلفة²، لذلك لا بد من معرفة أحواله الدينية والاجتماعية، والاعتقادية، والنفسية، والعلمية، والاقتصادية حتى يقدم له ما يناسبه³، ولمعرفة أحوال المخاطبين لا بد من سلوك طريق: "الوحي والعلم والتجربة"⁴.

إن إدراك بيئة المدعو وظروفه وأعراف مجتمعه أمر ضروري، حتى يتم عرض الدعوة بالأسلوب والوسيلة المناسبة، التي يراعى فيها احتياجات المخاطبين العقلية والنفسية، فالناس مختلفون؛ فيهم الكبير والصغير، والحاكم والمحكوم، والذكر والأنثى، والكافر والمسلم، والعاصي والمؤمن، والأعجمي والعربي، والمتقف والعامي، فيحتاج كل واحد منهم إلى خطاب يخصه، أوقد يجمع الموفق في الخطاب الواحد ما يناسب الجميع⁵.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"⁶.
وقال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"⁷.

- 1 - أحمد بوعود، فقه الواقع أصول وضوابط، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/2006م، ص21.
- 2 - يُنظر: يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ط1، دار القلم، الكويت، 1417هـ/1996م، ص47.
- 3 - يُنظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، أصل الكتاب: رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1423هـ، ج1، ص38.
- 4 - يُنظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - 1413 هـ، ج9، ص121.
- 5 - يُنظر: عزيز بن فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله، تقدم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، دار الإمام مالك - أبو ظبي، 1426هـ - 2005م، ص76.
- 6 - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج1، ص11.
- 7 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم 127، ج1، ص37.

كما أن قراءة الواقع وفقه متطلباته يساعد في تحقيق المقاصد الدعوية، وذلك من خلال الاهتمام بالقضايا التي تشغل الرأي العام، واختيار الخطاب الدعوي المناسب، معتمداً على منهج الاعتدال والوسطية، مراعيًا الاختلاف الحاصل في الزمان والمكان، ومواكباً لمتطلبات العصر، فيقوم بالتنزيل الدعوي في ضوء ما يحفظ المصالح ويحقق المقاصد، مراعيًا خصائص الجمهور والاختلافات الحاصلة، ومجتنباً الخلافات المؤدية لزرع الحقد ونشر الكراهية.

كما أنه يعد أهم مصدر في تكوين كل من الرؤية والاستراتيجية في العمل الدعوي، إذ لا بد من أن تتكيف الرؤية مع معطيات الواقع الدعوي، ويقصد بالرؤية: التصور العام الذي يحدد منطلقات العمل، وأهدافه، ووسائله، ومجالاته، وضوابطه العامة، في حين يقصد بالاستراتيجية: الخطة العامة التي تحدد منهج وكيفية تنزيل الرؤية، وتصريفها في الواقع، وذلك من خلال برنامج أولويات يرتب مجالات العمل حسب الأهمية، ويتكون من مراحل، وأهداف، ووسائل دقيقة ومحددة وقابلة للقياس. فإذا كانت الرؤية تكتسي طابعاً تصورياً نظرياً عاماً، فإن الاستراتيجية تتميز بطابعها المنهجي الإجرائي والعملي، باعتبارها تنزيلاً للرؤية.

وإذا كانت نجاعة وفعالية الرؤية العامة تقاس بمدى قدرتها على معالجة مشاكل الواقع، والاستجابة لمطالبه وتحدياته، فإن نجاح الاستراتيجية ومردوديتها، إنما تقاس بمدى قدرتها على تكيف الرؤية مع معطيات الواقع التفصيلي وحسن تنزيلها عليه، أي أن فقه الواقع يظل مصدراً أساساً ومرجعاً مهماً في تكوين كل من الرؤية والاستراتيجية¹.

أما بالنسبة لضوابط فقه الواقع، فلقد ذكر عصام البشير مجموعة من الأمور التي ينبغي مراعاتها، منها:

- 1- الحذر من تميع نصوص الشرع بحجة الواقع.
- 2- عدم الانسياق وراء المتلاعبين بمحكّمات النصوص وقواطعها وثوابتها بحجة التجديد.
- 3- الحرص على إبقاء مراتب الأحكام كما هي فالقطعي قطعي والظني ظني.
- 4- التمييز بين ما يلزم الثبات وما يقبل التغيير عند تقرير الأحكام.
- 5- عدم الجمود على المنقولات من فتاوى الأئمة السابقين وفتيا الناس بها رغم تغير الأحوال وتبدل

¹ - يُنظر: midad.com، موقع: مداد، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، عبد الكبير حميدي، التاريخ: 10 جوان 2020، الساعة: 18:15.

الأعراف، فذلك جمود والشريعة منزهة عنه .¹

5- مراعاة فقه المآلات

عرف المآل بعدة تعريفات، منها ما عرفه فريد الأنصاري بقوله: "أصل كلي يقتضي اعتباره تنزيل الحكم على الفعل بما يناسب عاقبته المتوقعة استقبالا"²، وعرفه عمر الجميلي بقوله: "نظر المجتهد في المسببات والوسائل عند تنزيل الأحكام الشرعية على محالها، والاعتداد بما يفضي إليه ذلك النظر الموافق لمقاصد الشريعة"³.

فالمراد بفقه المآل، فقه التداعيات والآثار، واستشراف مستقبل الأعمال قبل تنزيلها في الواقع، يقول الشاطبي: "الأعمال إذا تأملتها مقدمات لنتائج المصالح، فإنها أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع، والمسببات هي مآلات الأسباب، فاعتبارها في جريان الأسباب مطلوب، وهو معنى النظر في المآلات"⁴.

وقد ذكر الشاطبي أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية⁵، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾⁶، فالله عز وجل نهي عن سب آلهة الكفار لأنه سيترتب عن ذلك مفسدة أعظم، وهي سب الذات الإلهية.

ومثاله في السنة: حديث النهي عن التشديد على النفس في العبادة خوفا من الانقطاع⁷، وحديث البائل في المسجد الذي أمر النبي ﷺ بتركه حتى يتم بوله، يدل على أنه ﷺ نظر إلى ما يترتب عن المنع من تسبب ضرر أشد لفاعله، لأنه لو قطع بوله لتضرر بدنه، وقد يصاب بداء يصعب علاجه، وذلك

1 - ar.islamway.net، موقع: طريق الإسلام، عصام البشير، حول فقه الواقع، التاريخ: 10 جويلية 2020، الساعة: 18:00.

2 - فريد الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ط2، دار السلام، القاهرة، 1435 هـ / 2014م، ص 428.

3 - عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1437هـ-2016م، ص 35.

4 - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج5، ص 181.

5 - المرجع نفسه، ص 180.

6 - سورة الأنعام: 108.

7 - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ص 181.

بالإضافة إلى تنجس ثوبه وبدنه، فكان تركه أولى دفعا لهذه الأضرار، وتركه لا يترتب عليه إلا نجاسة المسجد، وهي تطهر بصب الماء عليه ¹.

فالنظر في مآلات الأفعال مقصود للشارع، فالفعل لا يمكن الحكم عليه بالجواز أو المنع إلا بعد النظر فيما يؤول إليه من مصالح أو مفاسد؛ فإن كان الفعل مصلحة، ولكنه يؤول إلى مفسدة مساوية لهذه المصلحة أو تزيد، فإنه ينع من الفاعل، تقديما لدرء المفسدة على جلب المصلحة ².

قال الشاطبي: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل" ³.

إن الدعوة اليوم تحتاج إلى دعاة أصحاب عقلية موسوعية ونظرة شمولية استشرافية، يتم فيها النظر في المآلات، والتحري والتبصر بعواقب ما ستؤول إليه الأقوال والأعمال، فيقدر النتائج إيجابا أو سلبا.

ويضرب لنا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز صورا من صور اعتبار المال، حيث أنه لما تولى الخلافة راعى أحوال من قبله، وتدرج في تغيير المنكر، ولم يتعجل التغيير، فعن ميمون بن مهران، أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، قال له: يا أبت، ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل فوالله ما كنت أبالي ولو غلت بي وبك القدور في ذلك، قال: "يا بني إنما أنا أروض الناس رياضة الصعب، إني لا أريد أن أحبي الأمر من العدل فأؤخره حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه" ⁴. وقد ذكر الشاطبي

¹ - يُنظر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، التجديد في الفكر الإسلامي أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: المنعقد بالقاهرة في الفترة من: 8-11 ربيع الأول 1422هـ/ 31 مايو إلى 3 يونيو 2001م، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، 2008م، ص484.

² - المرجع نفسه، ص478_479.

³ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفا، 1417هـ/ 1997م، ج5، ص177.

⁴ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الزهد، حاشية: محمد عبد السلام شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420 هـ - 1999 م، باب: أخبار عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حديث1729، ص243.

في نفس السياق رواية أخرى، أنه يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال له: "ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق". قال له عمر: "لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة"¹.

وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية المال في تحصيل المصالح أو درء المفاسد على الخصوص، فكان الواجب رعاية هذا المال إلى أقصاه، ومثاله: الاطلاع على العورات للتداوي، والقراض، والمساقاة، والسلم، ومثله الجمع بين المغرب والعشاء للمشقة، وجمع المسافر وقصره الصلاة، والفطر في السفر الطويل، وصلاة الخوف، وسائر الرخص التي على هذا السبيل، فإن حقيقتها ترجع إلى اعتبار المال وإن كان الدليل العام يقتضي المنع، وهذا تأكيد لطبيعة فقه الشريعة².

¹ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج2، ص148.

² - التجديد في الفكر الإسلامي أبحاث ووقائع، ص483.

الفصل الثاني:

علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حاجة العمل الدعوي المعاصر لفقه المقاصد

المبحث الثاني: مقاصد العمل الدعوي المعاصر والبعد العالمي الإنساني

الفصل الثاني: علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر

توطئة:

الدعوة الإسلامية اليوم بحاجة إلى فكر هادف وعمل منظم ومؤسس، مبني على الوعي والبصيرة، والوضوح في الأهداف والمقاصد، يقول الإمام الشاطبي: " فإذا بلغ الإنسان مبلغا فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبي في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله"¹.

لذلك من الضروري لكل عامل في طريق الدعوة إلى الله تعالى أن يمتلك تصورا كليا وبعدا مقاصديا، باعتبار أن فقه المقاصد يعد بابا عظيما من أبواب فقه الدعوة، ولا سبيل إلى فهمه إلا من خلال دراسة علمية مستفيضة، تمكن الداعية من تقويم وضبط وتوجيه العمل الدعوي المعاصر، وتتكفل بالحفاظ على سير العملية الدعوية وفقا لأغراض ومقاصد الشارع.

وبناء على ذلك، فقد تم تقسيم هذا الفصل إلى المبحثين التاليين:

المبحث الأول: حاجة العمل الدعوي المعاصر لفقه المقاصد

المبحث الثاني: مقاصد العمل الدعوي المعاصر والبعد العالمي الإنساني

¹ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج 5، ص 43.

المبحث الأول: حاجة العمل الدعوي المعاصر لفقه المقاصد

يعد فقه المقاصد أحد الركائز الضرورية التي يجب أن يقوم عليها المنهج الدعوي، فمن أهم الشروط استيعاب هذا النوع من الفقه حتى لا يجرد الداعية عن أمر ربه، فتوافق الدعوة مقاصد الشريعة الإسلامية ولا تعارضها، وبالتالي يتحقق مقصد الدعوة على بصيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹ ، فالداعية الذي يدعو لدين الله عز وجل، عليه أن يكون عارفا بمقاصد ما يدعو إليه، مستنيرا بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول الشاطبي: "من لم يعرف مقاصدهما أي -الكتاب والسنة - لم يجز له أن يتكلم فيهما"².

وبناء على أهمية فقه المقاصد في كونه ضروريا لإنجاح العمل الدعوي المعاصر، من خلال توجيهه وتصويبه، وجعله متجددا ومرنا ومواكبا لمستجدات العصر، تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مفهوم العمل الدعوي المعاصر

المطلب الثاني: أهمية فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر

¹ - سورة يوسف: 108

² - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، ج3، ص 213

المطلب الأول: مفهوم العمل الدعوي المعاصر

الفرع الأول: تعريف الدعوة

أولاً: الدعوة لغة:

جاء في مقاييس اللغة أن: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك تقول: دعوت أدعو دعاء..."¹، وترد هذه الكلمة في اللغة وتدل على المعاني التالية:

1- دعا: بمعنى الدعاء، والدعاء معناه: الرغبة إلى الله عز وجل²، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾³، أي: دعا إلى توحيده وما يقرب منه⁴، يقال: دعوت الله أدعوه دعاء أي: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ويقال: دعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون⁵، والداعية هو: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، يقال: دعاه بداعية الإسلام والدعوى، ويقال: أصابته دواعي الدهر، بمعنى: صروفه وهو سليم، ودواعي الصدر، بمعنى: همومه⁶، وداعية اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده⁷.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، ط2، دار الجليل، بيروت، 1999، ج2، ص279.

² - يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ج4، ص357-361.

³ - سورة الأحزاب:46.

⁴ - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.ب، د.س، ج38، ص47.

⁵ - يُنظر: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، د.س، ج1، ص194.

⁶ - يُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، د.ط، دار الدعوة، ج1، ص287.

⁷ - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ / 1999م، ص105.

2- دعا: بمعنى الحث والطلب، يقال: دعا إلى القتال ودعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين ودعاه

إلى المذهب ودعاه إلى الأمير، بمعنى: حثه على اعتقاده وساقه إليه.

يقال: دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى أي: طلب إحضاره، ودعا بالكتاب والشيء إلى كذا

احتاج إليه، ويقال: دعا الله رجا منه الخير، ودعا لفلان أي طلب الخير له، ودعا على فلان طلب له الشر،

ويقال: دعاء ودعوة ومدعاة القوم أي: طلبهم ليأكلوا عنده.¹

ويقال: دعا: بمعنى الاستدعاء²

ويقال: كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما الدعاء إلى الطعام.³

3- دعا: بمعنى النداء، يقال: دعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله⁴، دعوت فلاناً وبقلان: ناديته

وصحت به.⁵

ثانيا: الدعوة اصطلاحاً:

من بين التعريفات التي جاءت لتوضح مصطلح الدعوة، ما يلي:

عرفها محمد الغزالي بأنها: "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليصروا

الغاية من محياهم، وليكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"⁶.

وعرفها البيانوني بأنها: "تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع الحياة"⁷.

¹ - يُنظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، ص 286.

² - يُنظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، ص 105.

³ - الرازي، مختار الصحاح، ص 105.

⁴ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص 194.

⁵ - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ت محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ - 1998 م، ج 1، ص 288.

⁶ - محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ط 4، دار القلم، دمشق، سوريا، 1421 هـ/2000 م، ص 17.

⁷ - محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى علم الدعوة، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1415 هـ/1995 م، ص 17.

وعرفها عبد الكريم زيدان بقوله: "هي الرسالة الإسلامية الخاتمة التي نزلت على محمد ﷺ وحيها من عند الله في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"¹.

وعرفها علي جريشة بقوله: "تعاليم الإسلام التي تلقاها محمد ﷺ من ربه ليعلمها للناس ويدعوهم إليها"².

وعرفها أحمد عيساوي بقوله: "هي محصلة النشاط الاتصالي الشمولي الذي يمارسه الدعاة الإسلاميون في مرحلتي التغيير والبناء على الصعيدين المحلي والعالمي، بهدف التعريف برسالة الإسلام، التي أنزلها المولى تبارك وتعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك عبر مختلف الوسائل والتقنيات الحضارية الممكنة، تأسيساً على الأطر المرجعية المقدسة منطلقاً وممارسة ومنهجاً وأسلوباً وهدفاً"³.

وعرفها بدر الدين زواقة بقوله: "الدعوة علم بالأحكام العقديّة والفقهية والأخلاقية وفن تبليغها إلى الناس ومنهج متكامل في إدارة عرضها من حيث الوسائل والأساليب لتحقيق المقصد من الوجود في عبادة الله وعمارة الأرض وحراسة الدين وسياسة الدنيا ومراعاة مستلزمات الدعوة ومقتضياتها"⁴.

وعرفها حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي بقوله: "قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان"⁵.

الفرع الثاني: مفهوم مقاصد العمل الدعوي المعاصر

يشير مصطلح المعاصر إلى أنه غالباً ما نعني به العصر الحديث، أو ما نعيشه من أوضاع الحاضر، ونطلق كلمة روح العصر ونقصد به السمة الغالبة على أوضاع المرحلة التاريخية التي نعيشها، كما أنه عندما

1 - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، د ط، دار قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، دت، ص. 17.
2 - علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، دط، دار قصر الكتاب، البلدة، الجزائر، دت، ص. 28.
3 - أحمد عيساوي، المدخل إلى علم الدعوة الإسلامية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1437هـ / 2016م، ص. 32.
4 - www.diae.net، موقع شبكة ضياء، بدر الدين زواقة، العمل الاسلامي المعاصر: من العمل الجماعي الى العمل المؤسسي.
5 - حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ / 2004م، ج1، ص. 40.

يصف أحدنا الآخر بالعصري، فذلك يعني إخباره بأن الموصوف متلائم مع أوضاع المرحلة التاريخية العالمية الحاضرة، ومتجانس مع ظروفها¹.

أما بالنسبة لما يشير إليه مصطلح العمل الدعوي المعاصر، فإنه وإن تعددت المفاهيم التي توضحه، غير أن أغلبها تصب حول أفكار واحدة، فنظرت إلى معناه باعتبار أنه: سلوك أو موقف أو قول، أو بنية عمليات متعددة ومختلفة، يقصد من ورائها الإصلاح، وإشاعة قيم التدين والاستقامة الأخلاقية في واقع المسلمين، سواء بالدلالة على الخير والمعروف، أو بالنهي والتحذير من المنكر، يصدر عن شخص أو أشخاص أو مؤسسة مدنية أو سياسية، وهذا الفعل المؤسسي تسهر على إخراج منظومة متداخلة العناصر ومتكاملة الوظائف، وأهم عناصرها: العنصر البشري، التنظيم والهيكلة، المشروع الدعوي والإمكانات التقنية والمادية².

أما الطيب برغوث فيرى أنه: "الجهد المنهجي الذي تتحقق به الأهداف الكلية للإسلام، سواء على المستوى الذاتي، أو التعريف والاستقطاب، أو على مستوى التأسيس والبناء العملي لنموذجه الاجتماعي، أو على مستوى مواجهة التحديات التي تعترض ذلك كله، فهو الفعل الدعوي بمعناه السوسيولوجي الشامل، الذي يتضمن كل ما يحتاجه ويستلزمه إنجاز عملية التأثير في الواقع الإنساني، فرديا أم اجتماعيا، فأنتج تغييرا، نلاحظه في شكل مركبات فكرية، أو سلوكية أو اجتماعية أو حضارية عامة"³.

ويتسم بنوع من المواصفات الفكرية والجغرافية والشرعية التي تمثل ظواهر جديدة في الوجود الإسلامي العالمي، فهو من جهة يمكن وصفه بأنه عمل ديني، لأن مقصده وغايته التعريف بالإسلام والدعوة إليه وتصحيح أخطاء المسلمين الدينية، كما أنه عمل اجتماعي من جهة أخرى، لأنه مرتبط بالمجتمعات التي يحدث فيها، وما يعتريها من تغيرات ومقتضيات وأحوال، وهو أيضا عمل علمي فكري، لأنه يتعامل مع

¹ - طارق البشري، ماهية المعاصرة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1417هـ/1996م، ص49.

² - يُنظر: احمد جبرون، الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع، مساهمة في التجديد الدعوي، مجلة الوعي الإسلامي، عدد532، ت ع:2010/9/3.

³ - يُنظر: الطيب برغوث، سلطة المنهج في الحركة النبوية، تقدم: جودت سعيد، ط4، دار النعمان، الجزائر، 2012م، ص54-55.

الفكر الإنساني ومسيرة العقول والنوازع والميول البشرية¹.

ومن خلال ما تم بيانه فيما سبق وحسب نظري، يمكن القول:

إن فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر يتضمن دلالات مهمة، حيث أنه يمكن الداعية الإسلامي من امتلاك العلم العميق والرؤية الواضحة والوعي الشامل بأهداف الدعوة وغاياتها الكبرى، وفهم مبادئها ومقتضياتها ومتطلباتها وآلياتها، واستيعاب أبعادها الفكرية والدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية... وغيرها، وذلك من أجل الممارسة الدعوية الواعية الحكيمة، المراعية لواقع وظروف وأولويات المرحلة الحاضرة والمواكبة للحركة الحضارية.

المطلب الثاني: أهمية فقه المقاصد في العمل الدعوي المعاصر

اهتم العلماء والباحثون في العصر الراهن بموضوع فقه مقاصد الشريعة، وخاصة في ظل التطورات المتسارعة والأحداث الجديدة، والتنوع الفكري والانفتاح الثقافي على مختلف الأديان والحضارات، والذي زاد من حجم المسؤولية وكبر المشقة. فكان لا بد من إدراك عام ووعي شامل لجوهر الرسالة المحمدية.

إن مراعاة المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية وحفظ الضروريات الخمس، من الأولويات التي يجب أن يدور حولها العمل الدعوي، وقد ذكر الريبوني أن المقاصد من أعظم المطالب التي يجب أن يحرص الدعاة والمدعوون على الاستفادة منها لفهم كنه هذه الرسالة، يقول: "المتدين بلا مقاصد متدين بلا روح، والدعاة إلى الإسلام بلا مقاصد هم أصحاب دعوة بلا روح"².

إن الداعية مطالب بتسخير كل ما من شأنه أن يحفظ الدين ويثبت أركانه وقواعده، ولكن قبل ذلك يجب أن يحرص أولاً على سلامة القصد، فالمقاصد معتبرة في التصرفات والعبارات كما هي معتبرة في التقربات والعبادات؛ ولذلك فالداعية عليه ابتداءً أن يحرص على سلامة القصد وصحة النية، فالقصد يجعل

¹ - يُنظر: أحمد بن محمد الديان، مركبات العمل الدعوي المعاصر ومواصفاته في الواقع الغربي: فلسفة الدعوة ومضمونها وآلياتها، إعمال المقاصد في المجال الدعوي: مجموعة بحوث، تحرير: عصام أحمد البشير، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1437هـ-2016م، ص169

² - عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن، ط1، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1428هـ-2007م، ص76.

العبادة أو العمل صحيحا أو فاسدا.¹

كما على الداعية أن يحرص على أداء مهمة الدعوة وفق مراد الشارع، وليس على وفق حرفيات النصوص وظواهر الخطاب ومباني الألفاظ.²

إن فقدان الرؤية وعدم وضوح الأهداف يجعل الداعية يتحرك بعشوائية أثناء ممارساته الدعوية، ويميل بالدعوة إلى غير الأهداف التي جاءت لتكريسها، ويخرج عن مراد الشارع، ويشكل ذلك أكبر عائق في طريق الدعوة، مما يحدث الخلل في أصولها ومناهجها وفروعها ومراتبها... وغير ذلك، وينعكس سلبا على جوهر الرسالة الدعوية، ويعود على العمل الدعوي المعاصر بالاضطراب والإرباك.

ومن ثم كان لزاما على الداعية، العلم بالمقاصد الشرعية أولا، ثم العلم بمقاصد الدعوة وسبلها ووسائلها، وفقه أبعادها، حسب ما تقتضيه طبيعة المرحلة الزمانية والمكانية، وما تفرضه الحياة المعاصرة. فيجمع بين الثبات على الأهداف والأطر الكبرى والمقررات والمقاصد والكليات، والمرونة في الوسائل والآليات والإجراءات التي يجب أن تتسع لاستيعاب المتغيرات والتحويلات بما لا يتصادم مع الثوابت والكليات.³

وهذا من صميم الاجتهاد الدعوي، فالداعية في خضم الحياة المتجددة والمتغيرة لا بد أن يتعد عن الجمود والسطحية، وأن يمتلك قوة الإدراك وبعد النظر أثناء الاجتهاد في مختلف المسائل والمستجدات الدعوية، محافظا على أصول الدين وكلياته ومقاصده، فلا يجيد عن الأهداف الكبرى أثناء تعامله مع الواقع المعاصر، يقول الإمام الشاطبي: "إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين، أحدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها والثاني التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها".⁴

¹ - يُنظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1991م، ج3، ص79.

² - يُنظر: نور الدين الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة، ص28-29.

³ - يُنظر: وصفي عاشور أبو زيد، فوائد أعمال المقاصد في مجال الدعوة، أعمال المقاصد في المجال الدعوي، مجموعة بحوث، تحرير: عصام أحمد البشير، ص142-143.

⁴ - الشاطبي، الموافقات، ج5، ص41.

والاجتهاد المقاصدي لا يختص بالفقه فقط بل بالفقه الحضاري العام الذي يمتد ليشمل كل آفاق الحياة، فيواكب كل حديث ومتطور، وهذا يدعم ويؤكد صلاحية هذه الشريعة وخلود هذا الدين واستمراره.¹ وعليه فالخلل أو التقصير الوارد في تحديد الهدف الصحيح وتقدير العمل ومآلاته، يمكن أن يوقع العمل الدعوي فيما يسميه الطيب برغوث "بالانتكاس والتراوح والاستثنائية"، وهذه العوائق التي تعترض طريق الدعوة، تفرض رؤية مقاصدية شاملة وحكمة وبصيرة ثاقبة، تتفاعل مع عناصر ومعطيات الواقع، وتعالج إشكالياته وتراعي خصوصياته.

وقد دلت الكثير من أفعال النبي محمد ﷺ على أهمية تحري الأساليب والوسائل الصائبة، بما يكفل تحقيق الأهداف الدعوية، فمثلا ما فعله ﷺ في المرحلة الأولى من الدعوة السرية دليل على حكمته وحنكته، فقد كان يرى بمكة أكبر المنكرات ولكنه أبى تغييرها خشية الوقوع في منكر وفساد أعظم، وفي هذا مراعاة لمصلحة المحافظة على استئصال الدين، خاصة وأن الإسلام في بدايات العهد والظهور.

أيضا ما فعله بعد سنتين من الجهر بالدعوة، حين أمر أصحابه بالمهجرة إلى الحبشة، وذلك للحفاظ على الأنفس، وفتح مجالات جديدة للدعوة، قال رسول الله ﷺ: (لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد)، واختياره للحبشة ناتج عن حسن دراية وحكمة بأحوال الملوك وظروف البيئات.

وحسن الدراية والحكمة من مقتضيات وأساسيات العمل في المجال الدعوي، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾².

وقد فسر الكثير من العلماء مصطلح الحكمة بنفس المعنى الذي تحمله كلمة مقاصد، فنجد في تفسير المراغي قوله: "المراد بالحكمة أسرار الشريعة ومقاصدها"³، وعند السعدي: "العلم بالحق على وجهه

¹ - يُنظر: www.salmajed.com موقع سليمان الماجد، سميح عبد الوهّاب الجندي، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النصّ واستنباط الحكم، التاريخ: 30 جوان 2020، الساعة: 18:30.

² - النحل: 125.

³ - المراغي، تفسير المراغي، ج 1، ص 181.

وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام¹، وهو نفس ما أشار إليه الإمام الطاهر ابن عاشور في قوله: "هي العلم بالله ودقائق شرائعه، وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده"²، كما أشار إلى ذلك أيضا محمد رشيد رضا في قوله: "وأما الحكمة فهي في كل شيء معرفة سره وفائدته، والمراد بها أسرار الأحكام الدينية والشرائع ومقاصدها"³.

وهذا التقارب في مفهوم الحكمة والمقاصد عبر عنه الإمام النووي قائلا: "وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائلها على بعض صفات الحكمة، وقد وصف لنا منها: أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك"⁴.

ومن خلال هذا الكلام تتضح العلاقة الوثيقة بين الدعوة والحكمة التي لا يمكن لها أن تتحقق دون فقه مراد الخالق عز وجل، وهذا ما ذكره عبد الكريم حامدي مشيرا إلى أن مصطلح الحكمة قرآني الأصل، وأسبق في الظهور والدلالة على أسرار الأحكام من المقاصد⁵.

وقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن الحكمة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾⁶، وعلم الكتاب معناه معرفة الأحكام الظاهرة، مثل: معرفة الأحكام الخمسة من وجوب وندب وكراهة وحرمة وإباحة، وأما علم الحكمة فمعناه معرفة أسرار الأحكام وعللها ومقاصدها، وما ترشد إليه من مصالح لاجتلابها أو مفاصد لدفعها⁷.

1 - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1420هـ - 2000م، ص648.

2 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص723.

3 - محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج1، ص389.

4 - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1392، ج2، ص33.

5 - عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن، ص4.

6 - النساء:113.

7 - عبد الكريم حامدي، مدخل إلى مقاصد القرآن، ص77.

قال الرازي: "الكتاب إشارة إلى ظواهر الشريعة، والحكمة إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها"¹.

ومن خلال كل ما سبق يظهر جليا علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر، ومدى الأهمية والحاجة لمعرفة مقاصد الشريعة بصفة عامة والمقاصد الدعوية بصفة خاصة، وذلك لما تحققه من فوائد جمّة، ولما ترمي إليه من تحقيق الخير والصلاح والسعادة في الدارين.

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، ج9، ص419.

المبحث الثاني: مقاصد العمل الدعوي المعاصر والبعد العالمي الإنساني

إن الإسلام يدعو إلى كل ما فيه خير وصلاح وسعادة للبشرية جمعاء في الدنيا والآخرة، وينهى عن الظلم والفساد وكل ما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالإنسانية.

ومن هنا كان لزاما على الدعاة عمل كل ما في وسعهم من أجل مصلحة الإنسانية والعالم، وذلك بالدعوة إلى مقاصد الإسلام الكبرى.

ولعل من بين أهم المقاصد الضرورية في عصرنا الحالي، حماية حقوق الإنسان وخاصة حق العيش والبقاء، وكذلك الدعوة إلى تعزيز المنظومة القيمية الأخلاقية والحضارية ذات الأبعاد العالمية، بغض النظر عن الاختلافات العرقية والجنسية، والتوجهات الفكرية والسياسية وغير ذلك.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مقصد تحقيق الانقياد الشامل لله تعالى

المطلب الثاني: مقصد تحقيق القيم الإنسانية الحضارية العالمية

المطلب الأول: مقصد تحقيق الانقياد الشامل لله تعالى

ينبغي على الداعية أن يكرس جهده نحو غاية الغايات، وهي تحقيق "المراد الإلهي"، وتحقيق "العبودية المطلقة لله"، وإقامة الشريعة الإسلامية، وحفظ أحكام الدين ومقاصده.

يقول فتح الله كولن: "يجب على الذين كرسوا أنفسهم لخدمة الإيمان والقرآن على وجه الخصوص أن يجعلوا المراد الإلهي غاية لهم، وأن يعيشوا حياتهم وفق هذا المنهج"¹.

ويشير إلى ذلك أيضا، قائلا: "المهم هو أن يسير الذين يتبنون دعوى إعلاء كلمة الله في طريقهم دون أدنى انحراف أو اعوجاج، وأن يجعلوا مراد الله غاية لهم في كل أعمالهم"².

إن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية تتجاوز الحدود الزمكانية والعرقية، وتهتم بالذات الإنسانية، وتسعى للسمو والارتقاء بالإنسان نحو توجيهه إلى غاية الغايات، ودعوته إلى تحقيق مقاصد الله في الكون.

يقول فتح الله كولن: "إذا لم تكن ثمة غاية ومثل عليا، أو نسيت تلك الغاية أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى "أنا" الأفراد ودارت حولها"³.

إن أول السير في طريق الدعوة هو: توجيه الإنسان نحو الله، فالأنوار الإلهية كافية وحدها لإنارة العالم وإخراجه من الظلام الدامس، كما أنها كافية وحدها "لخرق جميع حجب الغفلة، ولخرق جميع عصابات الغواية"⁴.

الفرع الأول: المقصود بالانقياد الشامل

إن طريق الهداية يبدأ من "الانقياد الشامل"، فيكون الله هو محور الحياة والكون.

ويقصد بالانقياد الشامل: الخضوع والعبودية المطلقة والاستسلام والتوجه الشامل لله تعالى وحده، وتحرير القلب من كل عبودية سوى عبودية الله.

¹ - <https://gulenarabic.com>، فتح الله كولن، المراد الإلهي هو الغاية، التاريخ: 2024/5/22م، الساعة: 11:15.

² - <https://gulenarabic.com>، فتح الله كولن، الطامحون إلى الأهداف السامية، التاريخ: 2023/12/12، الساعة: 22:00.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - نور الدين أبو حية، أسرار الأقدار، ط2، دار الأنوار، 1437هـ، ص251.

وقد ذكر فتح الله كولن أن مصطلح العبودية يقصد به البعض، "إقامة أوامر الله، واستشعار التذلل والرق والخضوع له تعالى"¹، ومنهم من يفصل بين العبادة والعبودية، فيذكر أن: "العبادة هي: قضاء الحياة بامتثال أوامر الله وتكاليفه. وتقابلها العبودية التي هي البقاء بشعور الرق لله"²، فالعابد هو الذي يواظب على العبادات، أما "العبد" فهو الذي يقيم العبودية.³

إن الانقياد الشامل لله هو حالة دائمة ومتأصلة في أعماق الإنسان، يعيشها ويستشعرها في جميع جوانب حياته.

الفرع الثاني: طريق الانقياد الشامل

يحصل الانقياد بالطاعة والالتزام بأوامر الله، والبعد عن المنكرات والفواحش الظاهرة والباطنة. والطاعة علامة من علامات محبة العبد لربه.

قال الإمام الشافعي:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَّاسِ بَدِيعٌ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ⁴

كما لا بد من التحلي بالصبر على الطاعة، والصبر على ترك المعصية، والصبر عند المصائب والبلاء، والرضا بقضاء الله وقدره، يقول محمود المصري: "فليس كل ما يريده المرء يدركه، وليس كل ما يكرهه يخطئه"⁵.

¹ - فتح الله كولن، التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، ط3، دار النيل، القاهرة، مصر، 1426هـ-2006م، ص102.

² - المرجع نفسه، ص102.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص102.

⁴ - عبد الرحيم مارديني، ديوان الإمام الشافعي رحمته الله أقواله وحكمه ووصاياه، ط1، دار المحبة، دمشق، 2424هـ-2004م، ص190-191.

⁵ - محمود المصري، لا تحزن وابتسم للحياة، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، 1428هـ-2007م، ص114.

ويقول علي عزت بيجوفيتش: "الاعتراف بالقدر، استجابة مثيرة للقضية الإنسانية الكبيرة التي تنطوي في جوهرها على المعاناة التي لا مرد لها. إنه اعتراف بالحياة على ما هي، وقرار واع بالتحمل والصمود والتحمل بالصبر. وفي هذه النقطة يختلف الإسلام اختلافا حادا عن المثالية المصطنعة وعن الفلسفة الأوروبية التفاؤلية وحكايتها الساذجة"¹.

ويحصل الانقياد بتوحيد الله تعالى، وتمام التوكل عليه، يقول فتح الله كولن: "التوكل، يعني اعتماد القلب على الله والثقة به كلياً وشعوره بالنفور والامتعاض عن ملاحظة أي قوة ومصدر كان"².

ويحصل الانقياد بالثقة المطلقة بالله، يقول صلاح الراشد: "لقد رأيت أناسا يعطون من الدنيا ما يريدون وما لا يريدون، بيد أنهم لا يسعون سعي الوحوش. ورأيت آخرين أتعبوا أنفسهم وأهليهم من حولهم، لكنهم لا يحصلون على ما يسعون إليه. الأولون يحسنون الظن دائما حتى يقول الناس عنهم: "على نياتهم يرزقون"، والآخرون لا يحسنون الظن حتى يقول الناس عنهم: "أردتهم نواياهم"³.

ويحصل الانقياد بالتسليم لأمر الله وحكمه وحكمته، يقول علي عزت بيجوفيتش: "فلكي ندرك حقيقة وضعنا في هذا العالم يعني أن نستسلم لله، وأن نتنفس السلام، وألا يحملنا الوهم على أن نبذل جهودنا في الإحاطة بكل شيء والتغلب عليه. علينا أن نتقبل المكان والزمان اللذين أحاطا بميلادنا، فالزمان والمكان قدر الله وإرادته. إن التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حل لها ولا معنى.. إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار"⁴.

ومن هنا، ينبغي على الدعاة العمل على تحقيق مقصد الانقياد الشامل، وذلك بالتركيز على ما يلي:

1- ترسيخ العقيدة الصحيحة.

2- إقامة الشريعة والحفاظ على كلياتها.

¹ - <https://archive.org>، علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، المترجم: محمد يوسف عدس، ط1، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، 1414هـ- 1994م، ص 395.

² - فتح الله كولن، التلال الزمردية، ص121.

³ - صلاح صالح الراشد، كن مطمئنا البرنامج العملي للتغلب على القلق، د.ط، الراية، الكويت، 2010م، ص60.

⁴ - علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ص396.

3- بيان مقاصد الدين الكبرى.

4- تصحيح المفاهيم والتصورات المغلوطة عن الإسلام.

5- غرس الأخلاق والفضائل الحميدة.

وكل ذلك يكون بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة والأسلوب الحسن.

الفرع الثالث: الانقياد الشامل طريق السعادة في الدارين

إن الإيمان بالله تعالى يعطي الإنسان السلام الداخلي، ويشعره بالطمأنينة والسكينة، ويحقق له السعادة في الدارين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ¹﴾ ، وقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ²﴾ .

والسكينة والطمأنينة هما استقرار القلب استقرارا تاما، وشعوره بالأمان والانشراح وعدم الاضطراب والقلق، وانتهاء المد والجزر في حياة القلب، والاطمئنان حال فوق السكينة، فإن كانت السكينة بداية الانتباه للحقيقة، فالطمأنينة نقطة النهاية، وهي عنوان موقع الإنسان فوق الأسباب وما بعد الوسائل، والروح حينما تبلغ هذه الدرجة تنجو من القلق والتوتر والاضطراب الدنيوي، وتبتسم حتى في وجه الموت الذي يرتعد منه الكثير، وتراه أطيّب نتيجة للوجود، والحس يجد كل ما يستلذه في هذا المنزل الساحر فيتحول بحرا بعد أن كان نقطة³ .

إن اللذة والسعادة، تكمن في معرفة الله سبحانه وتعالى، فإذا وقع في معرفته، فرح به ولم يصبر عن المشاهدة، وكلما زادت المعرفة بالخالق كانت اللذة أكبر، كلعبة الشطرنج، إذا عرفها الإنسان فرح بها، ولو طلب منه تركها، لا يستطيع الصبر ولا يطيق ذلك⁴ .

¹ - سورة فصلت:30.

² - سورة النحل:97.

³ - يُنظر: فتحي يكن، التلال الزمردية، ص215-216-217-218.

⁴ - يُنظر: أبو حامد بن محمد الغزالي، كيمياء السعادة، د.ط، د.د، د.س، 139-140.

وإذا وجدت عبدا صبورا، لا تخلط بينه وبين من تبلدت طباعه، فتسليم الأقوياء ينبوع تسيل منه معاني اليقين الحي، وهؤلاء هم أصحاب اليقين وأولو العزم، لا يميلون مع كل ريح، ولا ينحنون مع أي خلة، يقتحمون كل حصار تضربه عليهم الليالي الكوالح¹.

إن الإيمان يبعث في النفس روح الأمل، لدرجة أننا نتساءل أحيانا لماذا نجد البعض بالرغم من الصعوبات التي يواجهونها، يستمرون في السعي بقوة في هذه الحياة، فما سرهم؟ وما الذي يمنعهم من الاستسلام لليأس؟².

إنها بالتأكيد قوة الإيمان وقوة اليقين بالله سبحانه وتعالى.

إن من أقوى الوسائل التي تشعنا بالراحة كثرة الذكر، فالذكر "يؤدي إلى معايشة القلب الرب، ومراقبته في كل فعل، حتى لا يقطع العبد أمرا دونه، ولا يخطو خطوة في غير رضاه، لأن الذكر كالغيث ينزل من السماء فتصبح الأرض مخضرة، وكذلك القلب ينزل عليه الذكر فيخضر بعد جده، ويبقى أثره حتى وإن سكت اللسان"³.

إن الإيمان يخلص الإنسان من معظم المشاكل النفسية، ويمده بالعزيمة والطاقة والقوة، وهذا ما يشير إليه ديل كارنيجي بقوله: "يؤكد علماء النفس أثر الإيمان في علاج الأمراض النفسية ويرون أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس في العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام بالمادة ويفتقر إلى الغذاء الروحي"⁴.

1 - يُنظر: محمد الغزالي، جدد حياتك، د.ط، دار الرشاد، قسنطينة، د.س، ص32-33-159.

2 - يُنظر: توماس إريكسون، محاط بالانتكاسات تحويل العقبات إلى نجاحات، ط1، مكتبة جرير، 2023م، ص2-3.

3 - خالد أبو راشد، رد إلي روحي بأي قلب نلقاه، ط1، الأندلس الجديدة، مصر، 1431هـ-2010م، ص352.

4 - ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، تقديم: ممدوح الشيخ، ط1، دار الكتب المصرية، 2008م، ص247-248.

المطلب الثاني: مقصد تحقيق القيم الإنسانية الحضارية العالمية

إن التوجه نحو القيم والأخلاق ونحو الحب والتسامح والرحمة والتضامن والتكافل، ونحو المساواة والعدل وإحقاق الحق ورفع الظلم وإبطال الباطل، ونبذ الكراهية والتطرف والعنصرية، جميعها تعتبر قيما فطرية وجزءا لا يتجزأ من التكوين الإنساني الطبيعي، والإسلام يدعو للمحافظة على هذه الفطرة السليمة وعلى جوهر الإنسانية.

والعمل الدعوي الإسلامي اليوم، بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إحياء وتعزيز هذه القيم الفطرية الأخلاقية على المستوى العالمي.

فالعالم اليوم أصبح قرية واحدة بفضل التكنولوجيا المتطورة، وهو في أمس الحاجة إلى الوعي الكامل بأهمية وضرورة ممارسة القيم والمبادئ الأخلاقية العالية.

ومن بين القيم الكبرى، تحقيق العمران المستدام، مراعاة حقوق الإنسان وتعزيز الحريات، تحقيق العدالة والمساواة، تعزيز ثقافة الحوار والاحترام بين الأديان، تعزيز قيم التعايش والسلام العالمي، ترسيخ قيم التعاون والتضامن الدولي، دعم المنظمات الخيرية والإنسانية، حماية الكون والمخلوقات والنظام البيئي... وغير ذلك.

ومن هنا، تم تقسيم هذا المطلب إلى ما يلي:

الفرع الأول: مفهوم القيم الحضارية في الإسلام

الفرع الثاني: الدعوة إلى حماية حقوق الإنسان وتعزيز الحريات

الفرع الأول: مفهوم القيم الحضارية في الإسلام

إن ما يميز الإنسان امتلاكه للقيم فهي متأصلة فيه ومكون رئيس في شخصيته، وهي من أبرز مكونات الجانب الثقافي للشخصية الإنسانية، فالإنسان كائن قيمي أخلاقي، وهذا ما يجعل القيم تشكل أحد أبرز المشتركات الإنسانية، التي تسهم في تحقيق إنسانيته.

كما أن الفعل الحضاري للإنسان يندرج ضمن وظيفته الوجودية في تحقيق الاستخلاف والتنمية وال عمران في الأرض في جانب من جوانبه، ولقد قامت حضارة الإسلام على القيم الأخلاقية وصارت حضارة أخلاقية بامتياز، تقوم مقاصدها ومظاهرها على القيم والأخلاق¹.

ومفهوم الحضارة في الإسلام، نعني به ما ذكره الشيخ البوطي من أنها: "ثمرّة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"²، وهي أيضا "كل حضور، يسعى إلى "تحريك الحياة" وفق رؤية الإسلام للإنسان والكون والحياة، ومقاصده في "تحريك الحياة"، ومن خلال نموذج المعرفي الخاص به، والقائم على وصل الإنسان بربه، وكذلك وصل الإنسان بأخيه الإنسان، ثم الاستقامة في التعامل مع مفردات الكون، انتفاعا واستثمارا وائتمانا"³، وهي مرتبطة بشكل كبير "بوعي ذاتي ناتج عن تمثل الإنسان لكليات الإسلام"⁴.

والحضارة على حسب ابن خلدون ليست على مستوى واحد؛ فهناك حضارة إيجابية وهي غاية العمران التي دعانا الله إليه، وهذه حضارة راقية، تعطي للإنسانية معنى وقيمة، وتساهم في التقدم والتطور والازدهار، وهناك الحضارة السلبية وهي حضارة الترف والانهماك في الشهوات والفساد وسوء الأخلاق⁵، "وإذا فسد

¹ - يُنظر: <https://jsrep.journals.ekb.eg>، طلال بن عقيل عطاس الخيري، القيم الإنسانية والحضارية ومضامينها التربوية في ضوء التربية الإسلامية (دراسة تحليلية)، مجلة التربية، جامعة الأزهر، المجلد 40، العدد 191، ج 2، ص 118-119-120.

² - محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط 11، دار الفكر، دمشق، 1432هـ-2011م، ص 19.

³ - <https://www.noor-book.com>، محمد عبد الفتاح الخطيب، كتاب الأمة، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، العدد: 139، رمضان 1431هـ، ص 22.

⁴ - بودقدام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.س، ص 98.

⁵ - يُنظر: عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 409.

الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة"¹.

إن الحضارة الإسلامية ليست حضارة شكلية وسطحية، وإنما هي حضارة قيمة عميقة، تهدف إلى

الارتقاء بالإنسان لبلوغ مراتب الكمال العقلي والخلقي.²

ونعني بالقيم الحضارية الإسلامية: "المعايير والموازن الموجهة لحركة الإنسان، والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري بكل تنوعاته وامتداداته، وفق رؤية الإسلام ومقاصده في "تحريك الحياة" تحصيلًا للمعية الإلهية، وترسيخًا للذات الإنسانية، واستقامة في التعامل مع مفردات الكون وعطاءاتها، من خلال فقه شغوف بـ "التوازن والتجرد"، و"أداء الحقوق" و"مراعاة الحرمات ورفيع الأذواق"، و"أخلاق البذل والإيثار" و"اصطناع المعروف"، و"ابتغاء الفضل وبذله"، و"محاربة الطغيان الحضاري"، و"الاستئثار العمراني"، وبعيدا عن ألوان التضليل والبغي الحضاري وأخلاقياته في تحريك الحياة"³.

إن القيم الحضارية الإسلامية تشكل المقاصد والمصالح الحركية للإسلام، فمقصد حفظ الدين يعتبر إطارا مرجعيا تأسيسيا للأمة، أما بالنسبة لمقصد حفظ النفس فيعد حفظا للكيان البشري المحقق لرسالة العمران والاستخلاف في الأرض، ومقصد حفظ المال الذي يحمي الموارد البشرية وينميها، ومقصد حفظ العقل ودوره في التطوير والتنمية وتعزيز القيم، وهذه المقاصد والمصالح تجسد القيم الإسلامية، وتحدد مجالات الأعمال لها.⁴

إن رسالة الإسلام تعتبر في حد ذاتها قيمة عليا، وذلك لما تتضمنه من مقاصد إنسانية وقيم حضارية، وهي رسالة استئناف واستصحاب ومواصلة، تنظر إلى ما أنتجه الإنسان عبر العصور من إبداع وابتكار، وتضمه إلى منظومتها القيمية الأخلاقية، ومواصلة وظيفتها في هذا العالم الفسح.⁵

1 - بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص410.

2 - يُنظر: محمد عبد الفتاح الخطيب، كتاب الأمة، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، ص27.

3 - المرجع نفسه، ص23.

4 - يُنظر: المرجع نفسه، ص25.

5 - يُنظر: المرجع نفسه، ص31-32.

والحضارة الإسلامية متفردة عن غيرها من الحضارات، وما يميزها انضباطها بمقاصد الشارع عز وجل، فهدفها الأول والأخير تحقيق مراد الله تعالى ونيل مرضاته، كما نجدتها تدعو إلى ترسيخ الذات الإنسانية، ومراعاة (حقوق الإنسان، حقوق الحيوان، حقوق البيئة وغيرها)، والمحافظة على القيم الكونية إجمالاً¹.

وفضاء الحضارة الإسلامية، موسوم بمبادئ العدالة والسماحة، والتحرر والانفتاح والتعددية في المجال الديني على الأقل، فكلما زادت هذه الفضائل، كلما زادت الحضارة وارتقت، وكلما نقصت ظهر التخلف والتحجر والاستبداد، وأذنت شمس الحضارة بالمغيب².

الفرع الثاني: الدعوة إلى حماية حقوق الإنسان وتعزيز الحريات

رغم ما وصل إليه العالم اليوم من التقدم والتطور، إلا أن منظومة القيم وحقوق الإنسان لم ترتق بعد إلى المستوى المطلوب، ويكفي دليلاً على ذلك؛ ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من قبل الكيان الصهيوني الذي يرتكب في حقه أبشع صور جرائم الإبادة، فأين موثيق ومنظمات حقوق الإنسان المزعومة؟! أين هي الأصوات التي تنادي بالحقوق والحريات منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م، أم أن الشعوب المستضعفة لا تمثل "الإنسان" ولا تشبهه.

إنه وبالرغم مما وصل إليه العالم اليوم من تطور، لا يزال بعيداً بعد السماء عن الأرض، عن كل ما أسماه بالتحضر والإنسانية، فالوقائع والأحداث تكشف لنا مراراً وتكراراً قانون الغاب والميكيفيلية، فأينما وجدت المصلحة فثمة حقوق الإنسان، والحكم والبقاء للأقوى كما يقال.

إن الناظر للأوضاع العالمية السائدة وما تشهده من قمع وعدوان واضطهاد، وجرائم ضد الإنسانية، يعرف حجم المسؤولية وثقلها، وعلى كل العاملين في المجال الدعوي، الكفاح والنضال من أجل إيصال أصواتهم للعالم بأسره، والمطالبة بتحقيق المقاصد الإنسانية كما أرادها الله سبحانه وتعالى، مثل: مقصد حفظ النفس البشرية، واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة ضد المجرمين المدمرين للحياة.

¹ - يُنظر: محمد عبد الفتاح الخطيب، كتاب الأمة، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، ص 27-29-32.

² - يُنظر: راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، ط1، الدار العربية، 1433هـ-2012م، بيروت، لبنان، ص 215-

وإذا أردنا تعريف حقوق الإنسان فيمكننا القول بأنها: "المعايير الأساسية أو الرئيسية التي لا يمكن لأي إنسان أن يعيش أو يجي بدونها بطريقة محترمة أو بكرامة باعتباره إنساناً، وهي أساس الحرية والعدالة والسلام ومن شأن احترامها إتاحة الفرصة لتنمية الفرد والمجتمع بصورة كاملة، وترد هذه الحقوق مدونة في وثائق قانونية داخلية كالدساتير والقوانين وفي النظام القانوني الدولي كما في إعلانات حقوق الإنسان العالمية والصكوك الدولية الخاصة بهذا الجانب"¹.

وحقوق الإنسان في حقيقتها كما يوضح ذلك الشيخ عبد السلام ياسين، نسعد بسماع بنودها للوهلة الأولى، ولكن عندما نقف على آخر جملة في ديباجة الإعلان، نجدها قد صنفت الإنسان إلى إنسانين، ودرجتين غير متساويتين، إنسانية مسيطرة، وإنسانية مسيطر عليها، والعالم فيها مقسم إلى عالمين، عالم مستقل الأوطان، وعالم مستعبد، تحت الوصاية، ومحدود السيادة، والحقوق فيه صنفان مختلفان، وما يثبت ذلك التطبيقات الفعلية العالمية، التي تؤكد أن الاستعمار الذي أملى إعلان الحقوق والحريات، هو نفس الاستعمار قبل الإعلان، وأشد وحشية بعده².

ويذكر راشد الغنوشي أن من بين الأسباب التي أدت إلى نشأة الديمقراطية أو حقوق الإنسان في الغرب، هو التقييد على شخصية الفرد من طرف الكنيسة تارة ومن طرف السلطة الحاكمة تارة أخرى، فجاءت الديمقراطية وحقوق الإنسان متممة بطابع الفردية واللا دينية والشكلانية.

وهو عكس ما نجده في العالم الإسلامي الذي كانت تضبطه سلطة الشريعة من تقييد لسلطان الحاكم، وانضباطه بما يوافق الدين حتى في أزمنة الجور.

فلم يشعر غالب المصلحين والمفكرين الإسلاميين، إلى الحاجة لسن موثيق حقوق الإنسان، وذلك لأن القرآن الكريم تكفل بحفظها ورعايتها.

وكانت جل جهودهم آنذاك، منصبه نحو ربط الإنسان فرداً وجماعة بالقرآن الكريم، والدعوة إلى العودة إلى العصر الإسلامي الأول، الذي جسّد تجربة التطبيق الإسلامي الفذّة.

¹ - حيدر أدهم عبد الهادي، دراسات في حقوق الإنسان، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2008م، ص83-84.

² - يُنظر: تطبيق سراج الإلكتروني، عبد السلام ياسين، حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، ط4، لبنان، بيروت، 2015م، ص223-224.

ويضيف بأن التصور الإسلامي للحقوق يختلف تماما عن التصور الغربي.

فالحقوق في الإسلام متصفة بصفة العدل المطلق، وبصفة القداسة الواجبة، لا يجوز التفريط أو التهاون فيها، فهي ملك لله تعالى وحده، والإنسان الذي استخلفه الله في الأرض مطالب بالتصرف وفقا لإرادة المالك.

فمثلا: لا يجوز تعريض مقومات البقاء والحياة للهلاك، ولا يجوز انتهاك الحريات والمساس بالكرامة الإنسانية، ومفروض في الدين كل أنواع الاستعباد والظلم.

وهذه كلها بالنسبة للإسلام واجبات شرعية، يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، والدفاع عنها يعد واجبا من الواجبات الشرعية.

وبالتالي حقوق الإنسان في الإسلام مرتبطة برب الكون والعباد، وهي خير ضمان لحقوق الإنسان، وهذا يعطيها قدسية وبعدها شموليا يتجاوز كل الفوارق والأقطار.¹

إن حقوق الإنسان في الإسلام مكفولة للجميع، تكفلها معايير القيم العالية.

يقول الإمام علي عليه السلام: "والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعير ما فعلته".²

ونظرا لعدم القدرة على حصر مبادئ حقوق الإنسان ارتأيت التركيز فقط على جملة منها، وهي: (الحق في الحياة والكرامة الإنسانية، والحق في الحرية).

أ- الحق في الحياة والكرامة الإنسانية:

إذا تحدثنا عن القتل فإن ذاكرتنا تتوجه بنا مباشرة إلى قصة أول جريمة ارتكبت في التاريخ البشري، وهو ما قام به ولد أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام "قابيل" بقتله لأخيه "هابيل".

¹ - يُنظر: راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، ص174-175-176-177-178.

² - <https://annabaa.org>، مرتضى معاش، الإمام علي: الانسان من أجل الانسان، افتتاحية مجلة النبأ، العدد62، 1422هـ-2001م، التاريخ: 18 نوفمبر2024م، الساعة: 12:00.

كما أننا كثيراً ما نسمع عن مدى قسوة الإنسان الدموي عبر التاريخ، بل وما زلنا نشاهد مشاهد الترويع والاغتصاب والتقتيل والتفنى في التعذيب، فبعب التاريخ وخاصة "عندما اكتشف الإنسان النار والحديد والبارود لم يعد لحياة الناس ذلك الموقع المقدس، بل صار القتل بالآلاف والملايين أمراً عادياً، إن لم يكن مستحباً لدى بعض الشعوب المحاربة(..) كما تقول كتب التاريخ.. فصرنا نسمع عن معارك وحروب يسقط فيها البشر الأبرياء جراء فعلة أفراد متعطشين للدم، وكأنهم ذباب"¹.

ويرد عز الدين ميهوبي متحسراً قائلاً: "عندما أسمع أن هيئة الأمم المتحدة أصدرت منذ ستين عاماً ما يربو عن 1700 قرار يتعلق بالحروب والنزاعات أتساءل كم من قرار وجد طريقه إلى التطبيق وإيقاف الحرب والإبادة.. لا شيء يذكر من ذلك، ما دامت الهيئة الأممية غطاء للحرب بامتياز"².

لقد جاءت الأديان السماوية جميعها ضابطة لأفعال الإنسان، أمرة له بفعل الخيرات، وترك الفساد بشتى أنواعه، قال الله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾³.

ومعنى ذلك، أن استحلال القتل بغير وجه حق، يعتبر جريمة عظيمة، تشبه وتساوي قتل جميع البشر، بينما من سعى إلى إحيائها بامتناعه عن قتلها، فكأنما أحيا الناس جميعاً، وذلك بتوفير الأمن والطمأنينة لهم⁵.

لقد حرم الله تعالى إراقة الدماء وسفكها، وشرع لها عقوبة صارمة، وجعل خاصيتي الإحياء والإماتة ملك له وحده عز وجل، بل وقد كرم الله تعالى الإنسان منذ بداية خلقته، فنفخ فيه من روحه، وأمر

¹ - عز الدين ميهوبي، لا إكراه في الحرية، ص 289.

² - المرجع نفسه، ص 291.

³ - سورة المائدة: 32.

⁴ - القتل يكون بسبب موجب له كالتقصص والحرابة.

⁵ - يُنظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، ط1، دار الفكر - دمشق، 1422 هـ، ج1، ص452.

الملائكة بالسجود له، وسخر له ما في الكون جميعاً، وأرسل من أجله رسلاً وأنبياء لإرشاده إلى سبيل الهداية وطريق السعادة.

وقد دعا الله تعالى في العديد من آي القرآن الكريم لضرورة الحفاظ على النفس البشرية، وحماتها من كل ما يؤدي إلى هلاكها، ومن بين الآيات الدالة على ذلك، ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾¹ ، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾² ، فالله تعالى لم يحرم القتل فقط بل جعله سبباً من أسباب الشرك به، فمن تعدى على حق الناس في الحياة، فقد تعدى على حق الله تعالى وظلم نفسه. ولقد حرم الله تعالى قتل البنات، وكان هذا الفعل يمارس ضدهن قبل مجيء الإسلام، وكانت المرأة آنذاك مهضومة الحقوق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾³ ، وكذلك حرم الله قتل الأبناء بسبب سوء المعيشة أو لأي غرض كان، ووصى برعايتهم وحسن تربيتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁴ ، وكذلك حرم إسقاط الجنين وإجهاضه، وحرم الانتحار واعتبر كل ذلك من الجرائم العظيمة.

وشرع الله عز وجل القصاص، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾⁵ ، وقد ذكر الرازي في تفسير هذه الآية أن لها عدة تفسيرات، من بينها أن: القصاص في أصله إزالة للحياة، لكن تشريعه يعتبر توجيهها للناس نحو احترام قيمة الحياة، ووسيلة ردع تحد من انتشار الفتنة والنزاع، فتمنع صاحبها من ارتكابه، كما تمنع أهل المقتول من الثأر الذي يتسبب في إسقاط المزيد من الأرواح.⁶ وقد أوجب الله الدية في حالة العفو عن

1 - سورة البقرة: 195.

2 - سورة الفرقان: 68.

3 - سورة التكاوير: 8-9.

4 - سورة الإسراء: 31.

5 - سورة البقرة: 179.

6 - يُنظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، ج5، ص229.

القصاص، فالصفح والعتو من أخلاق الإسلام، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾¹، وعن أنس بن مالك قال: "مَا زُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ فِيهِ الْقِصَاصُ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ"².

وكذلك أعطى الله الحق لغير المسلمين ومنع قتالهم إلا في حالة الدفاع عن النفس، فهى عن قتال أهل الذمة، وكل الذين بينهم وبين المسلمين عهد وأمان، قال عزوجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾³، فهو لم ينه فقط عن محاربتهم بل أمر بودهم والإقسط إليهم وعدم ظلمهم. ولم يكتف الإسلام بكفالة حقوق الإنسان في حياته، وإنما كفل له حقوقه وكرمه حتى بعد وفاته، وأقرت الشريعة حق حرمة الجنازة في حق المسلم والمشرك، قال ﷺ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَمُومُوا لَهَا، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلَا يَفْعُدْ حَتَّى تُوضَعَ)⁴.

ويدل هذا الفعل على سماحة الإسلام ورحمته، يقول النبي ﷺ: (بُعِثْتُ رَحْمَةً، وَلَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا)، ويروى (عَذَابًا)؛ حِينَ سُئِلَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ⁵.

ومن هنا، نقول أنه يجب على القائمين بالدعوة، أن يعكسوا روح الإسلام السمحة، ويؤكدوا على المسائل التي تكفل حق الحياة وحفظ الكرامة، وتعزز ثقافة الحوار والتعايش، وتجسد قيم العدل والرحمة والسلام.

ب- الحق في الحرية:

إن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان كامل الحرية، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾⁶، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أقر بمبدأ

¹ - سورة الشورى: 40.

² - ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، د.س، باب العفو في القصاص، رقم الحديث: 2692، ج2، ص898.

³ - سورة الممتحنة: 8.

⁴ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 11195، ج17، ص289.

⁵ - جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، ت: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، ط2، 1426 هـ - 2005 م، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، باب الباء الموحدة، رقم الحديث: 12323/130، ج4، ص261.

⁶ - الكهف: 29.

الحرية في أهم وأعظم المسائل الدينية المتعلقة بمسألة الاعتقاد والإيمان، فهذا أكبر دليل على مشروعية الحرية في الإسلام وخطورة سلبها وانتزاعها بالجبر والقوة.

قال الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾¹، جاء في تفسير الرازي أن الإيمان لا يبنى على الإكراه والقسر، وإنما يبنى على التمكن والاختيار، إذ في الإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان.²

وقال ابن عاشور: "وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار"³. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾⁴.

جاء في المغني لابن قدامة أنه: "إذا أُكْرِهَ على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن، فأسلم، لم يثبت له حُكْم الإسلام، حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً"⁵.

فالإيمان بالله والعبودية يجب أن يختارها الإنسان من نبع إرادته وقناعته، فيكون إيمانه إيمانا خالصا حرا لا إكراه فيه، فيصبح إيمانه بالله عز وجل فيما بعد تحررا لأنه لم يكن خاضعا لأية قوة أخرى، ويكون تحررا لأنه يرفض الاستعباد والخضوع لكل العبوديات الأخرى سوى عبوديته لله تعالى، فيتحرر من جميع الضغوط التي تحاصره، تحررا من عبودية الذات وعبودية المجتمع، فيكون عبدا لله اختيارا لا اضطرارا.

إن حرية الاعتقاد في التصور الإسلامي مكفولة للجميع، ولقد بذلت الدعوة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ جهودا عظيمة، من أجل الدفاع عن حرية الاعتقاد والحق في اختيار الدين، وعدم اضطهاد وقمع المخالفين.

1 - سورة البقرة: 256.

2 - يُنظر: المرجع السابق، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج7، ص15.

3 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د.ط، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، ج3، ص26.

4 - الشعراء: 3، 4.

5 - ابن قدامة، المغني لابن قدامة، د.ط، مكتبة القاهرة، 1388 هـ - 1968 م، ج9، ص23.

والحرية المطلوبة لا تعني التفلت والتمرد والفوضى والفساد، فالحكمة تقول: (تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين)، فهذه الحرية تعتبر حرية مسؤولة، ومقيدة بضوابط وثوابت شرعية وقيم وضعها خالق هذا الوجود الذي يعلم ما ينفع خلقه وما يضرهم.

الباب الثاني:
فقه المقاصد وتطبيقاته
في تجربة عبد السلام ياسين الدعوية

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عبد السلام ياسين (حياته - عمله الدعوي - آثاره)

الفصل الثاني: النظر التأصيلي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين

الفصل الثالث: النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين

الباب الثاني: فقه المقاصد وتطبيقاته في تجربة عبد السلام ياسين الدعوية

يعتبر عبد السلام ياسين من كبار الشخصيات الدعوية في عصرنا، والذي اهتم بفقه المقاصد ليس فقط في جانبه التنظيري، بل حاول تنزيله في مشروعه الدعوي.

ومن هنا سنتطرق للتعرف على شخصية عبد السلام ياسين وأهم محطات حياته، ثم بيان رؤيته وتصوره الفكري حول فقه المقاصد، وأهم المقاصد الكبرى التي ركز عليها في دعوته وآليات تطبيقها.

وبناء على هذا، قسم هذا الباب إلى الفصول التالية:

الفصل الأول: عبد السلام ياسين (حياته - عمله الدعوي - آثاره)

الفصل الثاني: النظر التأصيلي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين

الفصل الثالث: النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين

الفصل الأول:

عبد السلام ياسين

حياته - عمله الدعوي - آثاره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة عبد السلام ياسين

المبحث الثاني: العمل الدعوي لعبد السلام ياسين

المبحث الثالث: آثاره العلمية ووصيته

الفصل الأول: عبد السلام ياسين (حياته - عمله الدعوي - آثاره)

توطئة:

يهدف هذا الفصل إلى بيان حياة عبد السلام ياسين ابتداء من ميلاده ونشأته إلى تكوينه العلمي والمهني، والعوامل المؤثرة في صقل شخصيته وتشكل تصوره (فكرا وعملا)، وذكر المكانة التي حظي بها في الوسط العلمي، فحاء التركيز على ذكر أهم المحطات التي أحدثت منعرجا في حياته، وذلك من أجل الاستفادة من تجربته الدعوية، وإبراز جهوده في ميدان العمل الدعوي المعاصر.¹

يقول عبد السلام ياسين عن نفسه: "أنا عبد الله المذنب ابن فلاح بربري نشأ في القلة والحرماني المادي، ثم قرأت القرآن فهو كان بحمد الله ولا يزال قراءتي الحقيقية الوحيدة. ودرست تلميذاً لعلمائنا في المعهد الديني. ولم ألبث أن طلبتُ معرفة أوسع من النقول التي تعيش عليها معاهدنا الدينية. فدخلت إلى الثقافة الأجنبية من المدخل الصعب، من الجهود الفردي، حتى نلت منها ما جعل أقراني يضعونني موضع الشاب النابغ. وجاء الاستقلال فوجدني في منصب مسؤولية إقليمية في التعليم. فعاصرت الأقدمين يافعاً، وعاصرت نشأة الفساد الإداري في مراحلها كلها منذ الاستقلال. فإن تحدثت عن العلماء فعن معرفة

¹ - اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي في تتبع سيرته الذاتية، ورجعت إلى المصادر التالية:

(أ) المصدر الأول: الحوارات التي أجريت له، أهمها:

1- الحوار الذي جاء في سلسلة برنامج مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، مع مقدم البرنامج عزام التميمي على قناة الحوار.
2- الحوار الشامل مع الأستاذ المرشد: وهو سلسلة من الحوارات مع ثلة من الإخوة من ذوي السابقة وعلى رأسهم أعضاء مجلس الإرشاد المؤسسون، أشرفت عليها لجنة الإعلام التي كانت واحدة من لجان مجلس التنفيذ الذي تأسس في 20 فبراير 1986م - أي بعد خروج الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله من السجن ببيعة أساييع- والذي كان يرأسه الأستاذ المهندس أبو بكر ابن الصديق حفظه الله.

وهذه السلسلة كما يقول أصحابها، شملت إلى جانب السرد التاريخي مواقف من قضايا حيوية على صعيد القطر والأمة، وأفكارا عميقة للحاضر والمستقبل.

(ب) المصدر الثاني: سيرته الذاتية المنشورة في المواقع الرسمية الخاصة بعبد السلام ياسين وجماعته. .

(ج) المصدر الثالث: ما ذكره المقربون له.

شريط: سيرة الرجال: عبد السلام ياسين، وهو شريط منشور على اليوتيوب، قناة الإمام عبد السلام ياسين، فيه تقدم حياة عبد السلام ياسين وذكر مواقف عايشها أصحابه معه أثناء رحلة حياته.

(د) المصدر الرابع: كتاب (عبد السلام ياسين الإمام المجدد) لمحمد العربي أبو حزم: ذكر فيه التفاصيل المرتبطة بحياة عبد السلام ياسين، ويتكون هذا الكتاب من جزأين.

ومخالطة ومشاركة، وإن تحدثت عن المغرب وشبابه ورجاله وإدارته فعن خبرة سبع وعشرين سنة كنت فيها معلماً، وإدارياً، وخبيراً¹.

وبناء على هذا، قسم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: حياة عبد السلام ياسين.

المبحث الثاني: العمل الدعوي لعبد السلام ياسين.

المبحث الثالث: آثاره العلمية ووصيته.

¹ - تطبيق سراج الإلكتروني: عبد السلام ياسين، الإسلام أو الطوفان، ط2، د. دار النشر، د.ب، 1421هـ-2000م، ص33.

المبحث الأول: حياة الشيخ عبد السلام ياسين

يتمثل الغرض من هذا المبحث في التعريف بالداعية عبد السلام ياسين باعتباره أحد رواد الدعوة الإسلامية المعاصرة، ومعرفة أهم المحطات التي أثرت في شخصيته وساهمت في بناء تصوره الفكري والدعوي.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب بحسب المراحل التي مر بها:

المطلب الأول: مرحلة الولادة والنشأة

المطلب الثاني: مرحلة التكوين العلمي والمهني

المطلب الثالث: مرحلة اليقظة القلبية

المطلب الأول: مرحلة الولادة والنشأة

الفرع الأول: نسبه:

هو عبد السلام بن محمد بن سلام بن عبد الله بن إبراهيم¹، يصل نسبه إلى الإمام إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ².

يقول ياسين: "جدنا الأعلى إدريس الأكبر ثم إدريس الأصغر، فروا من وقعة فخ، وكانت نكبة لآل البيت، وفرخ قناة قرب مكة المكرمة، فر إدريس وكان معه أخوه يحيى، وإبراهيم، فكانوا يساومون العباسيين في الزعامة، فكانت الحكومة القائمة تكرههم، ففر إدريس إلى المغرب، وذهب يحيى وإبراهيم إلى المشرق، وكان لكل منهم سلالة وذرية"³.

¹ - www.yassine.net، سيرة الإمام عبد السلام ياسين 1928 - 2012، التاريخ: 24 نوفمبر 2016م، الوقت: 10:00.

² - الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م، ج1، ص279.

³ - <https://www.youtube.com/>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، 2008م، الحلقة 1.

الفرع الثاني: مولده:

يصف عبد السلام ياسين نفسه، بأنه: "ابن الفلاح البربري الفقير إدريسي شريف النسب"¹.
ولد في عائلة من قبيلة "آيت زلطن"، إحدى قبائل "حاحا"² الاثني عشرة³، صبيحة يوم الإثنين الرابع من ربيع الثاني سنة 1347هـ الموافق للسابع عشر سبتمبر 1928م بمراكش في المغرب، وكان والده فارساً من فرسان هذه القبيلة، وكان ينتمي إلى أسرة شهيرة ومحافظة في الجنوب تدعى (آيت بهي)، وهي التي كان لها صيت وذكر في تاريخ المغرب، وكان من بين الذين اشتهروا من أسرة "آيت بهي" القائد "عبد الله ولد بهي" والذي يلتقي نسبه بنسب عبد السلام ياسين في الجد الرابع⁴.

كان "عبد الله ولد بهي" أحد زعماء وقادة الدولة العلوية، وقد شملت رئاسته اثني عشرة قبيلة، وقد تم قتله من طرف أحد سلاطين العائلة العلوية الحاكمة وهو السلطان "محمد بن عبد الرحمن"، وذلك خوفاً من أن يقوم بثورة ويمتد حكمه، وبالرغم من انجلاء الخطر إلا أن هذه الأسرة بقيت تحت وطأة الملاحقات والمؤامرات المغربية المخزنية السلطوية المستبدة، وذات مرار الظلم والعدوان، مما اضطر والد عبد السلام ياسين إلى الرحيل من بلده "حاحا" مستقراً في مراكش⁵.

الفرع الثالث: نشأته:

انعكس أثر البيئة على سلوك وشخصية عبد السلام ياسين، فجمع بين أصالة البادية وحضرية المدينة، وكان لهذا التنوع البيئي المساهمة الكبرى في صقل شخصيته، يقول: "نشأت إذن في أسرة رجل ذاق مرارة الحياة، ثم استقر آخر الأمر في مراكش، وتزوج على كبر، وقد تجاوز الخمسين، من ابنة عمومتها،

¹ - عبد السلام ياسين، الإسلام أو الطوفان، ص35.

² - قبائل حاحا: "هي قبائل أمازيغية عريقة، مسمودية الأصل، تنتشر ما بين قبائل الشياظمة شمالاً، وسفوح جبال الأطلس الكبير شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً، ومنطقة سوس جنوباً".

³ - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ط1، د.د، 1438هـ - 2016م، ج1، ص26.

⁴ - بتصرف، www.yassine.net، هيئة التحرير، في رحاب أسرة شريفة عريقة، نبذة عن سيرة الأستاذ عبد السلام ياسين، المجلس اليمني، التاريخ: 12 أكتوبر، 2021.

⁵ - بتصرف: <https://www.youtube.com/>، "مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين"، قناة "الحوار"، ح1.

فنشأت هكذا في جو مدني بدوي، وكان الاتصال المستمر بالبادية في صغري، فكان لهذا تأثير كبير جدا في حياتي مستقبليا، إذ كنت أتردد على البادية فأرى كيف يعيش الناس قريبين إلى الفطرة وإلى الطبيعة. كان لاتصالي بالبادية، وعيشي قريبا من الحيوان والنبات والإنسان الفطري، أبلغ الأثر في حياتي"¹.

يقول محمد العربي أبو حزم: "وبقي على مدى طفولته على اتصال واسع مستمر بالبادية في منطقة (حاحا)؛ يتردد عليها، فيتشرب من جوها وطبيعتها وأهلها وحياتها الفطرية الفريدة التي تجمع الإنسان والحيوان والنبات والأرض والسماء. غير أنه لم يكن يقنع بالمرات التي كان يتردد فيها على البادية، فجعل من شغفه بعالم الزراعة وولعه بالنباتات هوائته في المدينة، بما كان يناسب سنه وظروفه وخبرته آنذا، بدل ما كان ينصرف إليه الصبية في مثل سنه من ملاء وألعاب"².

المطلب الثاني: مرحلة التكوين العلمي والمهني

الفرع الأول: التكوين العلمي

أ- مدرسة محمد مختار السوسي وتأثيرها على شخصية عبد السلام ياسين:

حرص والد عبد السلام ياسين على تعليم ابنه وتكوينه، فأرسله إلى زاوية ومدرسة علمية متكاملة، يعلمون فيها الأطفال والكبار، فدخل إلى هذه المدرسة وعمره يتراوح ما بين 4 أو 5 سنوات، وارتاد المدرسة القرآنية التي أسسها³ محمد المختار السوسي⁴ الذي يعتبره عبد السلام ياسين صاحب فضل كبير

¹ - www.yassine.net، حوار قبيل الحصار، حوار شامل مع الأستاذ المرشد 1/4، التاريخ: 18 يناير 2015.

² - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج1، ص28-29.

³ - يُنظر: <https://www.youtube.com/>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، ح1، ح2.

⁴ - العلامة محمد المختار بن علي بن أحمد الإلغي السوسي (1318-1383هـ) / (1900م-1963م): أحد أعلام المغرب، وهو مؤرخ فقيه أديب، ويعرف بوزير التاج. ولد في بلدة (إلغ) بجبال (سوس) جنوبي المغرب، (سنة 1318هـ-1900م)، ونشأ في أسرة عريقة ترسخ فيها حب العلم والتصوف، وعرف بالتقوى والاستقامة والصلاح.

كان مشهورا بالتأليف الكثيرة والمتنوعة في الأدب واللغة والفقهاء والتاريخ وغيرها، ومن بين مؤلفاته: "سوس العالمة"، "إبليغ قديما وحديثا"، "المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم في العلم والتصوف وأصدقائهم وكل من إليهم" يُنظر: www.Aljazeera.net، محمد المختار السوسي / www.shamela.ws، المختار السوسي. / www.new.yassine.net، هيئة التحرير، في المدرسة القرآنية. وقد ذكر الشيخ عبد السلام ياسين أنه: رجل مؤرخ، وهو مشهور بالتأليف إضافة لتمييزه بالسمت والخلق الرفيع. / يُنظر: منير

عليه، وأثره لم يكن مقتصرًا على مستوى التحصيل العلمي والتكوين التربوي فقط، بل تجاوزه ليكون نقطة الهداية الأولى، وقد أشار عبد السلام ياسين إلى ذلك في قوله: "قيض الله رجلاً أعتبر أن اتصالي به، وإن كان بوسائط، هو نقطة الهداية الأولى في حياتي. هذا الرجل هو «محمد المختار السوسي»"¹.

أسس محمد المختار السوسي مدرسة في الحبي الذي يقطن فيه عبد السلام ياسين، وكانت هذه المدرسة عشا ومرتعا تربويا لتنشئة الشباب الصالحين، وقد عبر عن هذا عبد السلام ياسين بقوله: "هذا الرجل بعد رجوعه من فاس، أسس مدرسة في حيننا قريبا من بيتنا، نحو مائة متر، كانت هذه المدرسة عشا لتربية الشباب الصالحين. كانوا يومئذ ينادون بالاستقلال وينتمون إلى حزب الاستقلال، كما كان هو رحمه الله ينتمي إليه، لكنه كان رحمه الله يمتاز - زيادة على الفضل والعلم - بالتقوى والاستقامة والصلاح. فكنا نحن الصغار ندرج بين يدي تلامذته الذين كانوا يتلقون عنه العلم كانوا يعلموننا القرآن الكريم، ثم شيئا فشيئا - ومنذ السنوات الأولى - كانوا يلقتوننا أيضا بمبادئ اللغة العربية. فكان هذا التكوين المزوج الذي كان يومئذ جديدا على الناس، إذ المعهود أن المدرسة القرآنية لا تلقن إلا القرآن حتى يحفظه الإنسان نحن بدأنا بحفظ القرآن وبتلقي دروس العربية"².

كانت المدرسة القرآنية أساسا تكوينيا متينا للشيخ، ورد عنه أنه قال: "الأسس المتينة أخذتها عن أساتذتي في المدرسة الأولى، مدرسة السيد المختار السوسي رحمه الله؛ بواسطة تلامذته كان التكوين الذي كونه يومئذ ونحن في صبانا متينا. فأنا أعتبر أن هؤلاء رحمهم الله وجزاهم عنا خيرا هم الذين أرسوا قواعد تفكيري وقواعد تعاملي مع اللغة العربية ومع الدين..."³، هذا التكوين المتين في اللغة العربية وقواعدها هذب لسانه ومكنه من أن يقرض الشعر وهو صغير⁴، أمضى عمره في الزاوية حتى سن 19 سنة، وتعلم

الركراكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين، د.ط، د.د، د.ب، د.س، ص 10 / ويُنظر: عبد السلام ياسين، حوار مع صديق أمازيغي، ط4، د.د، بيروت، لبنان، 2015م، ص276.

1 - منير الركراكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص10.

2 - المرجع نفسه، ص10-11.

3 - المرجع نفسه، ص18.

4 - يُنظر: المرجع نفسه، ص18.

الكثير من أساتذته تلامذة مختار السنوسي¹.

يقول العربي أبو حزم: "وقد كان لهذه المدرسة فضل كبير في تقويم لسانه وتحليته بما حفظ من القرآن الكريم، وبما تلقى من أصول اللغة العربية. وبذرة زرعها العلامة السنوسي في تلامذته الذين كانوا يقومون على تربية وتعليم عبد السلام، منذ عامه الرابع أو الخامس، وأقرانه: الصلاة، والصلاة لوقتها. عمود ترسخ أساسه رسوخا في قلوب المتعلمين بالنموذج الحي للمعلم المختار الذي كان، كما قال عنه: "مدرسة علم وقدوة تقوى"².

ب- دراسته في المعهد الديني "معهد ابن يوسف"

بعد زاوية السنوسي أمضى 4 سنوات في مسجد يسمى "ابن يوسف" الذي كان معهدا دينيا،³ وضع نظامه الجديد كبار علماء ذلك الوقت وتحت إشراف الدولة، ولم يكن التسجيل يراعى بسن، وكان قبول الطالب في المعهد يتم عن طريق إجراء امتحان أمام لجنة من كبار العلماء لينظروا في أحقية التحاقه، وبناء على ما ينم عليه مستوى الطالب الجديد تحدد اللجنة الممتحنة القسم والمستوى الدراسي المناسب، هذه المستويات بحسب النظام الجديد في المعهد آنذاك، كانت تنقسم إلى أربعة أقسام هي: الابتدائي، والثانوي الأول، والثانوي الثاني والنهائي، فيتخرج أحدهم عالما⁴.

يقول عبد السلام ياسين: "كانت سلسلة من التعليم متكاملة، فيتخرج الرجل منهم عالما، بعد أن يمضي ثلاث سنوات في الابتدائي، وأربع سنوات في الثانوي الأول، وأربع سنوات في الثانوي الثاني، وأربع سنوات في النهائي، كان تعليما طويلا أي جامعة"⁵.

¹ - يُنظر: <https://www.youtube.com>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، ج1، ص2.

² - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج1، ص36.

³ - ذكر عبد السلام ياسين في برنامج مراجعات الذي ألقاه في قناة الحوار، أن يوسف ابن تاشفين، هو من عظماء رجال علماء المسلمين، كان فارسا شهما، ومجاهدا كبيرا، وكانت له صولات في الأندلس، وأغاث دويلات الطوائف... وعلي ابن يوسف، ابنه كان ملكا فاضلا صالحا، سمي المسجد على اسمه، حول فيما بعد إلى فرع للقرويين التي بفاس وكانت تنافس القرويين بما كان لها من ماض لعلماء ومجتهدون جهابذة.

⁴ - بتصرف، محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج1، ص39،42.

⁵ - <https://www.youtube.com>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، 2008م، ج1، ص3.

روى عبد السلام ياسين أحداث مرحلة تسجيله، وكيف أنه امتحن في المعهد امتحانا دقيقا تبين فيه أنه جدير بأن يطوي ثلاث سنوات من التعليم الابتدائي مرة واحدة، قائلا: "ذهب العم سعيد¹ إلى أحدهم فقال إن لي ابنا يريد أن يلتحق بالكلية، وكان رئيسها يومئذ رجلا من كبار العلماء يقال له "ابن عثمان" رحمه الله، فأدنا في مجلسه يسألني وكان إلى جانبه رجل، رحمه الله، مات شهيدا في الأحداث التي وقعت عند الاستقلال، قتلوه، يقال له أبو ربة، فكان الاثنان يسألانني عما أعلم من العربية فوجدا أنه لا بأس بمحصولي من علوم اللغة، فقالا: هذا يلتحق مباشرة بالثانوي"². وفي نفس السياق، أشار إلى هذا بقوله: "أخطو خطوات فأجد نفسي أمام لجنة امتحان في المعهد الديني معهد ابن يوسف، كان يومئذ الأستاذ ابن عثمان رحمه الله مدير معهد ابن يوسف، وكان مراقب الدروس الأستاذ بورقة رحمه الله، أحلستني هذان العالمان الجليلان أمامهما يسألانني: تريد أن تدخل المعهد فما عندك؟ فامتحناني امتحانا تبين لهما أنني أستحق أن أطوي ثلاث سنوات من الابتدائي وأدخل إلى الثانوي مباشرة"³، وهذا الأمر يستوجب في نظري وقفة للتأمل والاعتبار، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المنهج والأسلوب التعليمي لمدرسة السنوسي من جهة، ومن جهة أخرى يدل على عزيمة ومثابرة عبد السلام ياسين وجدديته في التحصيل العلمي.

كان عبد السلام يدرس عند كبار علماء المغرب بالمعهد، قضى نحو أربع سنوات متميزا بين أقرانه، بحكم ما كان يتمتع به من التمكن في اللغة العربية، ثم صار في نهاية تلك المرحلة مشغولا بتعلم اللغات الأجنبية، شغوبا بقراءة ما يقع في يده من كتب ومجلات وهو حينئذ يخطو نحو التاسعة عشرة من عمره، يقول عن نفسه: "كان هاجسي في آخر تلك السنوات أن أتعلم اللغات الحية لما كان يتراءى لي في الأساتذة العلماء مشايخنا رحمهم الله وجزاهم عنا خيرا، من تخلف في فهم الدين أولا والعربية ثانيا نسيت أن أقول إن العربية التي تلقيناها من أساتذتنا في مدرسة المختر السوسي رحمه الله جعلت بعضنا وأنا كنت

¹ - سعيد هو عم عبد السلام ياسين، يقول ياسين: كان لي عم وهو الوحيد المتعلم بين إخوته، قرأ القرآن على الطريقة القديمة، وتعلم العلم في المدارس، وعند زيارته لبيت ياسين، شجعه بالدخول إلى ابن يوسف / مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، ج1.

² - المرجع نفسه، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، ج1، ص3.

³ - منير الكركاكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص11.

منهم من التمكن في اللغة بحيث كنت أقرض الشعر قرصاً جيداً وأنا في الثانية عشرة. فكانت نفسي تحدثني أن أبحث عن طريقة لأتعلم، وكنت أطلع على ما يسقط في أيدينا يومئذ - وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها - من كتب ومجلات، وأتطلع إلى مزيد من الاطلاع"¹.

بالرغم مما تميز به معهد ابن يوسف، إلا أن عبد السلام ياسين ذكر أنه لم يكن مقبلاً عليه كما كان عليه حاله أثناء دراسته في مدرسة السوسي، قال: "قرأت نحو أربع سنوات في المعهد الديني ولم أكن - هذا هو الواقع - شديد الشغف بتلك الدروس التي كانت تخلو من الاجتهاد في تفهيم الطلبة، كانت ترديداً على النمط القديم لما في بطون الكتب، كانت تقريرية رغم أنهم قالوا إنهم أدخلوا التنظيم على المعهد الديني، فكنت أحضر الدروس تارة وأتغيب تارات"². ويعبر محمد العربي أبو حزم عن هذا بقوله: "فعلى الرغم من أننا لا نستطيع بحسبها حقها بما كانت صرحاً علمياً مشعاً على مدى قرون، وبما كانت محطة مهمة امتحن فيها ما كان تلقاه في مدرسة السوسي، واستكمل حصيلته العلمية على قلة انتظامه فيها... على الرغم من هذا فإنه لا بد أن نسجل موقفه السليبي من مناهجها التعليمية ومقرراتها الدراسية وأسلوبها في التسيير"³.

عاش عبد السلام ياسين عصامياً، وعن عصاميته يتحدث قائلاً: "درست تلميذاً لعلمائنا في المعهد الديني. ولم ألبث أن طلبتُ معرفة أوسع من النقول التي تعيش عليها معاهدنا الدينية. فدخلت إلى الثقافة الأجنبية من المدخل الصعب، من الجهود الفردي، حتى نلت منها ما جعل أقراني يضعونني موضع الشاب النابغ"⁴. وعن هذه العصامية العجيبة والفريدة، يحكي عنه محمد العربي أبو حزم قائلاً: "لو كان الأمر مجرد عصامية يسعى صاحبها إلى المعرفة بجهده الخاص بالطريقة التي سقنا نموذجاً منها لكان وحده عجباً، فكيف وهو في الوقت الذي بدأ يتعلم فيه اللغة الفرنسية بدءاً بحروفها الأبجدية بدءاً بالموازة معها "تأليف" كتيب في "تعلم الفرنسية"!... وتتخلل هذه الدروس تمرينات وتوجيهات وملاحظات لا تنم عن المعلم

¹ - منير الزركاكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج 1، ص 55.

⁴ - عبد السلام ياسين، رسالة الإسلام أو الطوفان، ص 33.

المربي المؤلف الذي كان يسكنه منذ ذلك الوقت فحسب، بل عن هذه الروح التي صحبته على مدى عمره، ومن خصائصها أنه لا يحصل معرفة أو فضلا كيفما كان حجمه أو نوعه إلا سعى إلى أن يشترك معه غيره في تحصيلها. وهو شرط تحقق الإيمان، أن يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه. وهي أولى درجات الغيرية، أن يسارع إلى الإنفاق مما وهب أولا بأول حتى قبل أن يكتفي منها ويستغني¹. واكتسب عبد السلام ياسين من المهارات والخبرات في فن الموسيقى والتصوير ولعبة الشطرنج ما لم ينله غيره².

الفرع الثاني: التكوين المهني

أ- التحاقه بمدرسة المعلمين في الرباط لاجتياز مسابقة التوظيف

ولما أكمل سنواته الدراسية الأربع في معهد - ابن يوسف - بتفوق، انتقل إلى الرباط والتحق بمدرسة المعلمين لاجتياز مسابقة التوظيف للمعلمين، يصف هذه المرحلة قائلا: "بلغت التاسعة عشرة وأنا على حدود السنة الرابعة من الثانوي فسمعت أن هنالك امتحانا لتوظيف المعلمين. دخلت الامتحان ونجحت فيه، فدخلت مرحلة أخرى من حياتي، انتقلت من مراكش البلد البعيد النائي إلى العاصمة في مدرسة ثانوية هي مدرسة مولاي يوسف كانت يومئذ فيها داخلية، وكان فيها قسم لتكوين المعلمين، فكانت تلك أولى اتصالاتي بالعالم الحي، خرجت من هامش مراكش إلى العاصمة. وكنت قد بدأت منذ نحو سنة تعلم اللغة الفرنسية بجهود خاصة، في الداخلية التقيت بالتلامذة المعلمين الذين يهيئون كي يكونوا معلمين للغة الفرنسية. واتصلت بقوم من التلامذة من أرجاء متنوعة من البلاد، وهذا فتح أفقي كثيرا، وكان عامل التنافس مع طلبة الثانوية الذين كنت ألتقي بهم في الاستراحات وقاعات المطالعات عاملا حاسما في تشميري كي أتعلم³.

كانت مدرسة المعلمين كما يقول: "مدرسة حكومية، وكان مديرها فرنسي يسمى "تبيي" (TIBIER). وكان يشرف عليها "روكس" وهو من كبار المستشرقين المعروفين. التحقت بمدرسة المعلمين، وانتقلت من جو إلى جو، كانت مراكش مدينة مهمشة، الرباط عاصمة، والذي يوجد في الرباط لا يوجد في مراكش بالطبع.

1 - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج 1، ص 46-47.

2 - المرجع نفسه: ص 7.

3 - منير الزركاكي، عبد الكرم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 12.

فالأول مرة أدخل إلى الداخلية (مدرسة المعلمين)، ولأول مرة ألتقي بطلبة جاؤوا من شتى مدن المغرب بل ومن الجزائر أيضا، هناك التقيت بشقين في المدرسة، وكان في المدرسة شق لمعلمي اللغة العربية... وشق لمعلمي اللغة الفرنسية، وكان لي الشرف، فكان احتكاكي بالطرفين"¹.

كللت هذه المرحلة بالنجاح، وكانت أداة للانفتاح والتعارف على مختلف الفئات والشخصيات من جهة، ومن جهة أخرى كانت فترة عصيبة ومؤلمة، حيث توفي والده آنذاك، يقول: "تخرجت من مدرسة المعلمين في المرتبة الثالثة، عينت في مدرسة ابتدائية بالجديدة، كانت هذه مرحلة أخرى في حياتي توفي والدي رحمه الله في آخر سنة لي بمدرسة المعلمين، فترك لي الوالدة رحمها الله فكانت هي عائلتي وحدها، سكنا في الجديدة، وتحملت أعباء الإنفاق على الأسرة، كانت هذه مرحلة أخرى"²، يقول: "كانت مصيبة عصيبة على ابن كان يجب أن يزف إلى أبيه بشارة بنجاحه ونيله الوظيفة التي فارقه وفارق أمه من أجل نيلها، وكانت إشارة أولى من إشارات القدر؛ فالوالد أتم مهمته بنجاح ثم أفضى إلى ربه، وتسلم الولد مسؤولية أم كانت هي كل أسرته، وكان هو كلها"³.

يقول محمد العربي أبو حزم: "انتظم المعلم الجديد في وظيفته مدرسا لمادة اللغة العربية، واكترى بيتا آواه هو ووالدته. وبذل بعصاميته جهدا كبيرا في استكمال ما بدأه من تعلم اللغة الفرنسية، ساعده على ذلك استقراره النفسي مع أم حنون عاقلة متبصرة ذات رأي، وما اكتسبه من خبرة عام في مدرسة المعلمين، وتركيزه وانكبابه على هدفه لا يلفته عنه لافت، وما شحذته الأيام من عزمته الماضية"⁴.

ب- دراسته للعلوم الإسلامية في "معهد الدروس العليا للدراسات الإسلامية"

استأنف دراسته وواصل مساعيه العلمية، وعين مدرسا للغة العربية والترجمة، ثم مفتشا، يقول في ذلك: "واستمر اجتهادي في التعلم، طويت في سنوات قليلة جدا الدراسات في معهد الدروس العليا للدراسات الإسلامية في الرباط، ما لبثت أن حصلت على الدبلوم، فعينت بمراكش أستاذا للغة العربية

¹ - <https://www.youtube.com/>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، ج1، ص3.

² - منير الزركاكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص12.

³ - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ج1، ص51.

⁴ - المرجع نفسه: ص56.

والترجمة، عملت نحو ثلاث سنوات، تقدمت إثرها مباشرة لمباراة توظيف المفتشين في الابتدائي كانت كل هذه مراحل تطويرية فتحت أفقي على أشياء كثيرة لكنها أنستني الأصل أنستني أن أراجع وأن أحافظ على القرآن الكريم الذي حفظته وأنا في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، فهجرت القرآن غفر الله لي، وأقبلت على تعلم اللغات وعلى ممارسة التوظيف¹.

ج- تقلده المناصب المهنية العالية وتوقيفه المفاجئ

يقول عبد السلام ياسين: "جاء الاستقلال وأنا مفتش للغة العربية في المدارس الابتدائية بالدار البيضاء، كانت تجربتي مع المعلمين، تجربتي مع التوظيف، اطلاعي على أسرار الإدارة، وكانت يومئذ في يد الفرنسيين، كان كل هذا دروسا في تكويني. جاء الاستقلال فكنت من الرعيل الأول من الموظفين المغاربة الذين تسلموا مقاليد الأمور من الإدارة الفرنسية. وعندئذ تعلمت أيضا من الواقع كيف كانت الحزبية والوصولية والمحسوبية والرشوة وكل هذه الأمراض التي استفحلت بعد الاستقلال إلى الآن استفحالا عظيما، كيف كانت بذور كل هذه الأمراض تكون استعدادا لما نحن فيه الآن من الويلات"².

تولى عبد السلام ياسين مسؤوليات تربوية وإدارية بوزارة التعليم حيث عمل في سلك التعليم لمدة عشرين سنة تدرج خلالها في مجموعة المناصب التربوية والإدارية العالية، وكان تميزه العلمي والخلقي أمرا لافتا في بيئته المهنية والاجتماعية إذ اشتهر بين الناس باستقامته وعدله وقوته في الجهر بالحق، بالإضافة إلى قدرته الفائقة على الاطلاع والتحصيل الواسعين، وكانت له جهود صادقة لدعم بناء المنظومة التعليمية بالمغرب، وكان يصل ليله بنهاره خاصة في مراحل اختيار المدرسين الجدد وتكوينهم، متحريرا النزاهة والصدق في القول والعمل، زاول مهام التفتيش التربوي في السلكين الابتدائي والثانوي بأقاليم مختلفة، وترأس مؤسسات تكوينية تابعة للوزارة منها: مدرسة المعلمين بمراكش، مركز تكوين المفتشين بالرباط، والمشاركة والإشراف على دورات تدريبية بيداغوجية داخل المغرب وخارجه. وفي سنة 1968 تم توقيفه عن العمل من غير قرار إداري، وفي سنة 1987 أحيل على التقاعد بسبب تمسكه الشديد بالثوابت، وجرأته في الحق، وصراحته الشديدة، ونقده لمراكز الفساد في الأجهزة الإدارية، كان مريبا فاضلا، جمع بين التصوف والعمل الإسلامي

¹ - منير الزكراكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 12-13.

² - المرجع نفسه، ص 13.

السياسي المنظم، مستلهماً أسلوب الإمام حسن البنا في الدعوة والإصلاح الديني والاجتماعي، مع العناية الخاصة بالتربية الروحية، ووضعها في مقدمة أولويات العمل الإسلامي، ورفض الانحراف، ووجوب العمل السياسي العلني¹.

المطلب الثالث: مرحلة اليقظة القلبية (الميلاد الروحي)

كان الشيخ عبد السلام ياسين كثير القراءة والمطالعة في كل ما يتعلق بالتزكية، فعثر على كتيب لأحد المتصوفة الكبار قال فيه: "إنك تضيع عمرك، ابحث عن رجل يدلك على الله²، وكان آنذاك على مشارف الأربعين من العمر، حيث تداركته أطاف الله بميلاد جديد، "ميلاد الروح" أو "هبة ويقظة"³.

امتازت هذه الفترة من حياته بالبحث عن السبل الموصلة إلى الله عز وجل⁴، فبدأ يبذل أسباب الوصول بحسب ما تراءى له، فهام الفؤاد، وغلب التفكير في المبدأ والمعاد⁵.

يصف عبد السلام ياسين هذه المرحلة قائلاً: "وعكفت على كتب القوم، فما منهم إلا من صرفني للبحث عن الرفيق قبل الطريق. بمن أستنجد يا رب غيرك؟ وشككت وترددت: أهُو شرك مع الله؟ لكنني بعد أن استغرقت في العبادة والذكر والمجاهدة والتلاوة زماناً، تبيّنت أن طلب ما عند الله هو غير طلب وجه الله. الأعمال الصالحة إن كان فيها الإخلاص وقبيلها الحنان المنان تُنيل الجنان. لكن أي شيء يرفعني إلى مقامات الإحسان وفسحات العرفان؟ واشتد بي الأسى، وعفت نفسي، وتضرعت وبكيت عليه، هو الملك الوهاب. وأتحفتني أطافه بلقاء عارف بالله رباني صحبتته أعواماً رحمه الله. وفهمت منذئذ ما معنى كون الطريق مسدوداً، ولم هذه السدود، وكيف اختراقها، وأين، ومتى، وأياناً!..."⁶.

¹ - بتصرف، <https://www.aljamaa.net>، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015 /

<https://www.ikhwanwiki.com>، الشيخ عبد السلام ياسين، التاريخ: 24 نوفمبر 2016، الساعة: 10:33.

² - <https://www.youtube.com> /، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة "الحوار"، الحلقة 2، ج 1.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ط 1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م، ج 1، ص 130.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 130.

⁵ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 130.

⁶ - المرجع نفسه، ص 130.

فتح الله على الشيخ عبد السلام ياسين، ومن عليه بقاء الشيخ المرابي، السيد الحاج العباس القادري البوتشيشي¹، وكان هذا اللقاء بمثابة الميلاد الحقيقي، وهذا ما عبر عنه الشيخ بقوله: "أعتبر أن لقائي به كان ميلادي الحقيقي بعد الميلاد الجسمي، والميلاد الجسمي يشترك فيه الإنسان والحيوانات، لكن ميلاد الروح هو الشيء الذي يميز الإنسان الحق"².

أحدث هذا اللقاء انقلابا كلياً في حياة الشيخ عبد السلام ياسين قال: "كيف أحكي؟ هذا لا يُحكى! أمضيت معه ثلاثة أيام كنت فيها في دنيا أخرى: رجل منور، وقلب منور، كان رجلاً متواضعاً، قليل الكلام، ولكن قلبه كان يتكلم مع القلوب. لم يدرس كما درس هؤلاء المثقفون، ولكن قلب العارف شيء آخر... كنت كمن كان في عالم آخر؛ حصل لي انقلاب كلي"³.

التحق الشيخ عبد السلام ياسين بالزاوية البوتشيشية القادرية، ومكث فيها مدة ست سنوات، ثم ابتعد تدريجياً عن نهج الزاوية بعد وفاة الحاج العباس القادري البوتشيشي⁴، نظراً لما رآه من إهمال لبعض الواجبات الدينية، ولما وجدته من ميل ورجوع لتقاليد الطرفين، يحكي عن ذلك قائلاً: "كانت علاقتي بالمريدين علاقة محبة، وكانت النيات الطيبة وكانوا من الناس الأخيار. لكن هذا الشيء الذي يتهدد كل سالك لطريق الله، وهو ظهور الأحوال والمشاهدات والكرامات والأشياء التي طالما نبه عليها كُمل المشايخ، قالوا هذه الأشياء تلهي عن الله عز وجل وتحجب عن الله عز وجل، فلعل بعض المريدين يظهر لهم نورانية

¹ - **الحاج العباس**: ينتمي إلى أسرة قادرية، أسرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، نشأ في عائلة تتوارث "مشيخة طريقة"، ولكنه كان غير مهتم بالسلوك الصوفي رغم نشأته في زاوية، وسبب ذلك أنه يعرف أن الطريقة شيء ورث من الأجداد وكفى، وتعلم على يد ابن عمه السيد أبي مدين، الذي كان مقرناً للقرآن الكريم، رجل بحث حتى عرف الله، ولم يكن من الذين يرثون عن آبائهم طريقة ويعطوا الأوراد المبتة، وقبل أن يتوفى أبا مدين عهد إلى الشيخ العباس من بعده أن يكون قدوة لمن يريدون السلوك إلى الله سبحانه وتعالى، وعندما التقى عبد السلام ياسين بالشيخ الحاج العباس، اكتشف الأثر البالغ للوصفة النبوية التي كان يجهلها، وكان عبد السلام ياسين يرى الشيخ الحاج العباس بمثابة الجوهرة الثمينة. / يُنظر: www.yassine.net، الإمام عبد السلام ياسين من التجربة الشخصية إلى تأسيس مشروع أمة (2) اليقظة القلبية، نور الدين الملاح.

² - منير الزركاكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 14.

³ - عبد السلام ياسين، من كلمة له عند زيارته مدينة وجدة في يونيو 2001م.

⁴ - يُنظر: <https://yassine.net>، هيئة التحرير، سيرة الإمام المجدد، اليقظة القلبية، التاريخ: 24 نوفمبر 2016م، الساعة: 11:00.

أو مكاشفة فيقول أنا وصلت، أنا أصبحت من الواصلين فيقف، عندئذ خسر الدنيا والآخرة¹. غادر الشيخ عبد السلام ياسين الزاوية البوتشيشية، وعبر عن هذا الفراق، قائلاً: "افتترقت مع هؤلاء القوم وأنا آسف لما تقول إليه عادة المدارس التربوية الصوفية، ووكلت أمر أولئك إلى الله عز وجل"².

وكانت مرحلة الانفصال عن الزاوية، بداية لمرحلة جديدة، مرحلة الجمع بين "السلوك الصوفي" و"السلوك المنهاجي"³. يقول عبد السلام ياسين: "كان انفصالي عن الزاوية انفصالا لينا ولطيفا. عندما كتبت رسالة «الإسلام أو الطوفان» لم أستشر فيها أحدا من أهل الزاوية بتاتا، فلما خرجت من الزاوية اعتبروها هم وثيقة انفصال، وكانت واقعا انفصالا جذريا على مستوى الفكر، وعلى مستوى الموقف السياسي، وعلى كل مستوى؛ فهمي للحاضر والمستقبل والماضي. وانتهى الأمر"⁴.

¹ - عبد الكريم العلمي ومدير الركراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 20.

² - المرجع نفسه، ص 14.

³ - ينظر، المجلس اليمني، نبذة عن سيرة الأستاذ عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 21:17 / ويكيبيديا، عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 43:17 / جماعة العدل والإحسان، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 17:45 / ويكيبيديا الإخوان المسلمون، الشيخ عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 50:17.

www.yassine.org، موجز سيرة الإمام المجدد رحمه الله، التاريخ: 16 أكتوبر 2015، الساعة: 50:17.

⁴ - عبد الكريم العلمي ومدير الركراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 20-21.

المبحث الثاني: العمل الدعوي للشيخ عبد السلام ياسين

يعتبر الشيخ عبد السلام ياسين من بين الرجال الذين أرادوا نصرة الإسلام وإعلاء الحق وإظهاره للناس أجمعين، وكان العمل الدعوي وسيلته وأداته، سالكا بذلك نهج الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، يقول: "إن الدعوة إلى الله عز وجل هي لب الأمر كله، هي وراثته النبوة"¹، ولا يكون العمل إلا دعوة إلى الله، "عملنا دعوة إلى الله"².

ونظرا لمسؤوليته اتجاه رسالة الإسلام، وجهاده وتضحياته من أجل إعلاء كلمة الله، كانت حياته حافلة بالأحداث والمواقف والقضايا التي يصعب عدّها وحصرها، وكانت عطاءاته الفكرية والدعوية أيضا لا ينضب، وكانت غايته الأسمى الدعوة إلى الله، وفي ذلك قال: "رسالتنا لأنفسنا وللإنسان أن يكون الله عز وجل غاية كل فرد من العباد، أن يكون ابتغاء رضاه، والسباق إلى مغفرته وجنته، والسير على مدارج الإيمان والإحسان لمعرفة، والوصول إليه، والنظر إلى وجهه الكريم، منطلق الإرادة، وحادي المسارعة وقبله الرجاء. هذا معنى أن الإسلام دعوة إلى الله، دعوة إلى الاستسلام بين يديه، نحب لقاءه، ونطيع أمره، ونقبل حاكميته، ونجاهد لإعلاء كلمته، ونطلب الاستشهاد في سبيله، ونحن بهذا فقط نكون قدرا من قدر الله"³.

وبما أن العلم رجاؤه العمل، فقد انصب جهده لخدمة العمل الدعوي المعاصر، فخلف بذلك عملا إسلاميا حركيا في بلاد المغرب، اتسعت رقعته وأصبح فكره يتدارس اليوم في مختلف أقطار العالم⁴.

جعل عبد السلام ياسين مهمته ووظيفته في الدنيا القيام بالدعوة إلى الله عز وجل، هذه الدعوة ليست مقتصرة على فئة دون أخرى، أو طبقة دون أخرى، بل هي رسالة عامة لكل الإنسانية، وهذا ما ورد في قوله: "والدعوة إلى الله عامة لا تستثني: الحاكم والمحكوم، والظالم والمظلوم، والطبقات المحتكرة الآثرة

¹ - عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2009م، ص28.

² - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع1، مارس - أبريل - ماي، 1979م، ص27.

³ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص12.

⁴ - ارتأيت جمع المعلومات فيما يخص شخصية عبد السلام ياسين وحياته من مصادرها الرسمية، فاعتمدت بذلك على الموقع الرسمي للإمام المرشد عبد السلام ياسين وبعض ما ذكره في مؤلفاته وأشراطه ومجلته المسماة بمجلة "الجماعة" وبرنامج مراجعات الذي بثته قناة الحوار اللندنية سنة 2008 م، والذي أجري فيه حوارا مع سماحة الشيخ عبد السلام ياسين وتم فيها عرض أهم المحطات في حياته وجهوده التي كرسها لخدمة دعوة الإسلام.

كالطبقات المحرومة، والمتعلمة والجاهلة، والكهول والشبان، والنساء والرجال، من كان من هؤلاء على نصيب من الوعي بموقعه في المجتمع ومن هو عن ذلك مشدوه، من كان منهم على نصيب من اليقظة بأنه إنسان له حقوق وعليه واجبات ومسلم صائر إلى ربه بعد الموت ومن هو عن كل ذلك لاه¹.

وحتى نبين جهود الشيخ عبد السلام ياسين ومهامه الدعوية، قمنا بتقسيم المبحث إلى المطلبين التاليين:

المطلب الأول: جهاد الكلمة والقلم

المطلب الثاني: العمل الجماعي المنظم

المطلب الأول: جهاد الكلمة والقلم

الفرع الأول: جهاد الكلمة في النصح والارشاد

انطلاقاً من أهمية الدعوة وجهاد الكلمة، بدأ الشيخ مرحلة جديدة من مراحل السير إلى الله، فبعد انفصاله عن الزاوية البوتشيشية، اهتدى إلى النصح لأئمة المسلمين أولاً ولعامة المسلمين ثانياً، وذلك أملاً في تصالح الدعوة بالدولة، ونصرة الله ورسوله²، داعياً إلى إظهار الحق وكشف الزيف عن طريق الكلمة وإقامة الحجة، يقول: "وهلم إلى الكلمة المبلغة تسمعها آذان غضة الفطرة، وتقرأها عقول سلمت من تلويث التربية المدججة. هلم إلى خطاب أجيال لا تستظل بغيمة لطيفة من مجاز القول واستعارته وصوره تقيها قيظ الواقع، واقع الحياة القاسية في ظروف تخلف الأمة وافتقارها وتفشي البطالة والبؤس المادي الاقتصادي فيها. تقيها قيظ واقع الحياة الجافة البائسة اليائسة، حياة لا يؤمن فيها رعاك السياسة وطعام³ المثقفين بالله، ولا تُؤمّن غوائل الرعاك والطعام أن تسطو بمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله"⁴.

¹ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع1، مارس - أبريل - ماي، 1979م، ص27.

² - ينظر: www.aljamaa.net، جماعة العدل والإحسان، مرحلة جهاد الكلمة ومحنة "الإسلام أو الطوفان" 1974-1981.

³ - طعام: معناها: الأرزال، الأوغاد، الحمقى، الضعيف والرديء من كل شيء.

⁴ - <https://siraj.net>، عبد السلام ياسين، المنظومة الوعظية، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م، ص20-21.

كلمة دعوة، كلمة يستظل فيها بكلام الله، كلمة صدق ومحبة، كلمة يخشع القلب لسماعها، وتدعم لها العين، كلمة مؤثرة تحرك النفس وتشحنها للعودة إلى ربها، كلمة نصيحة تدعو للعمل والنهضة والتغيير والرفعة لهذه الأمة وانتشالها من غثائيتها ووهنها كما يذكر بذلك الشيخ في مشروعه الدعوي.

ولا يخفى ما للكلمة من قوة تأثير وتغيير كما ذكر ذلك العديد من العلماء والدعاة، يقول ابن القيم: "فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نخور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن، فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم"¹.

جهاد كلمة وقول بليغ كما يسمي ذلك الشيخ، والجهاد هنا له دلالاته ومعانيه، فهو يحتاج إلى قوة صبر وتحمل، رغم ما يلاقه صاحبه من عناء ومشقة، جهاد جامع شامل ومتكامل، يجمع بين الرؤية الفكرية والتربوية، كما يورد ذلك الشيخ، حيث يقول: "جهاد كلمة في جهاد تربية، مشاركة كلمة وفن وصنعة بلاغية متلطفة وقول بليغ قوي في مشروع تربية متكاملة تحقن منعة العافية في شرايين أجيال السلامة والإسلام"².

الفرع الثاني: جهاد القلم في التأليف والكتابة

في هذه الفترة بدأ الشيخ يهتم بعالم السياسة، وبدا ذلك من خلال بعض ما كتبه، ويعتبر كتاب "الإسلام غدا" عام 1972م، مؤشرا رئيسيا على بداية الاهتمام بالعمل السياسي، هذا الأخير لم يلق قبولا في أوساط الزاوية التي ترفض الحديث عن الحكم والسياسة، وكان كتاب "الإسلام أو الطوفان" بمثابة القطيعة النهائية³.

لقد كان للزاوية القطيعة الكاملة بما هو متعلق بالدولة، وكانت مختصة بالتعبد والتنسك، ولكن لو

¹ - ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ت: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط2، دار العروبة - الكويت، 1407 - 1987، ص 415.

² - <https://siraj.net>، عبد السلام ياسين، المنظومة الوعظية، ص21.

³ - بتصرف، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، "قناة الحوار"، ج1، ص3.

ذهبنا صعدا إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، لوجدناهم مجاهدين وقوامين وزاهدين¹، كما أن الزاوية لم يكن من بين اهتماماتها الصحبة والجماعة ولا في الاهتمام بأمر المسلمين، وهذا عكس ما ركز عليه الشيخ في مشروعه الجديد، والذي أشار فيه إلى خصال عشر أولها الصحبة والجماعة مجتمعين.²

ولم يكتف الشيخ بالحديث عن الشأن السياسي منفصلا عن الدين شأنه شأن أغلبية الساسة، بل بقيت فيه تلك الروح الإيمانية التي تربي عليها، وجعل السياسة بعض شأنه، أما الدعوة إلى الله فهي الكل.

وجاءت رسالته الشهيرة "الإسلام أو الطوفان" رسالة نصيحة وتوجيه إلى ملك المغرب "الحسن الثاني"، وذلك في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، يدعوه فيها إلى الاعتصام بالمسجد، ورفقة الإسلام ونصرتة، وإلى توبة شبيهة بتوبة عمر بن عبد العزيز، معددا له دروس النموذج العمري، مرشحا إياه لإعادة نمذجته في واقعه.³

لم تكن هذه رسالة نصيحة عادية، بل كشفت عن جملة من الحقائق المسكوت عنها، وجهرت بالحق الذي يخشى أن تقطع الرؤوس من جرائه، وأفصح بوضوح وصراحة عما يجب أن يكون، وحدث بما لم يجرؤ أن يحدثه به مستشاروه، محذرا إياه من بطانة السوء وديدان القراء الذين لا يصدقونه ويزينون أعماله المخالفة للشرع⁴، يقول: "إنك يا ابن النبي خضت وتخوض في سفاسف الأمور، وكل أفقك السياسي صراعات ومحالفات. ومنذ الاستقلال وأنت في عناء شديد بين خصومك ومنافيك وأحلافك المتضامنين معك على مصلحة يقضونها وأموال يبتزونها من أموال المسلمين"⁵.

كانت هذه الرسالة نقطة فاصلة في حياة الشيخ، قد تحوله إلى الموت مباشرة لأنها نطقت بما لا يجرؤ أن يتحدث به، يقول في مطلع الرسالة: "رسالتي إليك ليست ككل الرسائل؛ إنها رسالة تفرض الجواب عنها فرضاً، وحتى السكوت عنها جواب بليغ. إنها رسالة مفتوحة حرصت أن تحصل في أيدي الأمة قبل

¹ - ينظر، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، "قناة الحوار"، ج 1.

² - مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، "قناة الحوار"، ج 1.

³ - ينظر، تقديم المقدم، الإسلام أو الطوفان، ص 16، ص 173.

⁴ - ينظر، المرجع نفسه، تقديم المقدم، ص 49.

⁵ - المرجع نفسه، ص 158.

أن تصل إليك منها نسختك. لعلك تقرؤها كما يقرأ الملوك رسائل السوقة، وعهدنا بالملوك التيه والفيش¹، لكنك لن تملك إلا أن تجيب عنها بعنف السلطان وجبروته، حين ترفض الوضوح الذي تتسم به النصيحة التي تحملها إليك وإلى المسلمين عامتهم وخاصتهم، أو تجيب عنها بالإخبات² إلى الله والرضوخ للحق إن دعاك لذلك النسب الذي شرفك الله به، أو تداركك الله سبحانه وتعالى بنور يقذفه في قلبك تميز به الحق والباطل، وتسمع به الكلمة الطيبة التي جاءك بها بشير هذه الصفحات التي ما خططت فيها حرفاً إلا ابتغاء رضى الله ربي، لا عدواناً ولا كيداً، والله حسبي منك ومن العالمين³.

صرح البعض أن الرسالة شديدة في لهجتها، بل منهم من اعتبرها جرأة مبالغا فيها، وفضيحة أكثر مما هي نصيحة، خصوصاً أن الرسالة لم تقدم مباشرة للملك بل تم توجيهها لفئات عديدة من المجتمع، والبعض الآخر يشير إلى أن الرسالة جمعت بين أسلوبية الشدة تارة، والرفق واللين تارة أخرى. أما ما يؤكد الشيخ ياسين أن لا سبيل لإظهار الحق إلا بكشف الباطل، فيشير إلى ذلك قوله: "إني أحاول أن أثبت إليك شعوراً بالحق ولا سبيل لذلك إن لم أكشف لك وللناس الباطل الذي أنت عليه وبراءة الله ورسوله من أعمالك. لا وضوح ولا نصيحة إن لم تخرج للوضوح الذي يفرق بين الحق والباطل"⁴. كما يؤكد على أن الحب في الله، يعرف بصدق النصيحة والتوجيه، أما المجاملة والملاطفة التي لا تهدي للحق فهي زيف وخداع، يقول في ذلك: "فأنا بك رفيق ولك محب بما أمرني الله من محبة آل بيت نبيه. لكن المحبة التي لا تنصح والرفق الذي لا يغرك بحلم الله عليك خداع ممقوت"⁵.

يعيب الشيخ على بعض المثقفين تكتمهم عن قول كلمة الحق، كاشفاً عن بعض المقدسات الوثنية الموجودة في المغرب، والمتمثلة في عبادة الثالوث (الله، الملك، الوطن)، والتي تستدعي إعادة النظر لأنها من متعلقات الشرك بالله⁶.

¹ - الفيث: تدل على عدة معاني، منها: الضعف، الافتخار والتكبر، التباهي.

² - الإخبات: الخشوع والتواضع والاطمئنان لله تعالى.

³ - عبد السلام ياسين، الإسلام أو الطوفان، ص31.

⁴ - المرجع نفسه، ص48.

⁵ - المرجع نفسه، ص48.

⁶ - يُنظر: مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، "قناة الحوار"، ج1، الحلقة3.

وقد أشار إلى ذلك في ندائه لملك المغرب قائلاً: "أيها المؤمنون! يا أمة رسول الله! يا رجال الدعوة، أنتم الذين تَفَتَّتْ أكبادكم لما ترون من ضياع دين الله في هذه الأرض! أنشدكم الله ورسوله أن تنهوا كل خلافاتكم المذهبية وتهجروا من يزعم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمثل في تكفير المسلمين والتسلط على عامة المؤمنين في المساجد، فإذا صعد أحدهم المنبر حيًّا أعياد الملك للوثنية وسبح بحمد الطاغوت. اجمعوا كلمتكم بعدي إن قضى الله أن يكرم عبداً من عباده قال قولة حق عند سلطان جائر، واجمعوا كلمة الأمة حتى تقدروا على أطر كل باغ على الحق أطراً"¹.

الرسالة لم تكن الأولى من نوعها بل سبقتها رسائل أخرى، يقول الشيخ: "وقد كنت كتبت في الموضوع كتابين تلقاهما المؤمنون، ولله الحمد، كما تتلقى البشرية، وأعرضت عن الرفق الذي تضمنته تلك الصفحات. فالآن أخرج من التلميح والتلويح الذين فرضهما علي حال عارض، لأوضح بياناً وبلاغاً"². كما لم تكن وليدة اللحظة، بل دام التفكير فيها لعدة شهور، وكانت الأوضاع المزرية التي مست العالم، تحتم وتفرض نشر كلمة الحق، على حسب ما تراءى للشيخ، فأشغل باله وجل اهتمامه لتبليغ النصيحة، يقول: "كان حزني على ما يعيته المفسدون في الأرض من فساد، كان هذا شيئاً يسكن كياني منذ سنوات، عندما دخلت إلى طريق الشيخ كنت خلياً من هذه الأشياء .. لم أكن أحمل إلا هم نفسي فقط .. لا يهمني شيء آخر .. لكن لما استنار قلبي -ولله الحمد، أذكر نعمة الله علي- صرت أشعر بقوة تزداد على مر الأيام بأن من واجبي أن أقول كلمة حق عند سلطان جائر. لا أقول إنني فكرت في هذا سنوات، لكن شهوراً، فاستقر أمري على كتابة هذه الرسالة"³.

الفرع الثالث: اعتقاله بسبب "رسالة الإسلام أو الطوفان" الموجهة إلى الملك

لم تمر رسالة الإسلام أو الطوفان التي أرسلها عبد السلام ياسين إلى الملك الحسن الثاني دون أن يحدث في ذلك الإجراءات اللازمة، فقد تم اعتقاله وإحالاته إلى مستشفى الأمراض الصدرية ومصحة المجانين

¹ - عبد السلام ياسين، الإسلام أو الطوفان، ص 173.

² - المرجع نفسه، ص 32.

³ - عبد الكريم العلمي ومدير الركراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد، ص 23.

بأمر من الملك، يقول عن ذلك: "كانت سنة 1394 هجرية (1974م) كتبت فيها رسالة "الإسلام أو الطوفان"، وتعلمون ما حدث بعد ذلك من اعتقال، كان سنة ونصف منه في مستشفى الأمراض الصدرية، وسنتان في مستشفى الأمراض العقلية. وكان لأخوي الكريمين سيدي "محمد العلوي" وسيدي "أحمد الملاخ" الفضل في طبع كتابي: «الإسلام أو الطوفان» ونشره، وقد أديا إثر ذلك في يد الشرطة ما قدر الله لهما من البلاء، فقد أوديا أذى كثيرا يكفي أن تعلموا أنهما أمضيا خمسة عشر شهرا على الأرض، وفي البرد الشديد، يأكلان الخبز اليابس الملطخ بالبترو، والعدس الممزوج بالحصى"¹.

كانت أيام السجن بالنسبة للشيخ فرصة اغتنام للتقرب من المولى عز وجل، فالقلب المستنير الممتلئ بحبة الله، والنفس المجاهدة المشحونة بذكر الله، لا تعوقها العوائق، ولا تشيها الصعاب، ولا يكسرهما البلاء، وقد وصف هذه الفترة، بقوله: "فترة الاعتقال الأولى في سنة 1974م [1394هـ] كانت فترة هدوء وتأمل وتفكير في الظاهر. وفترة ذكر عميق وفترة خلوة. كانت هي من أسعد فترات خلوتي، لا أقول أسعد فترات حياتي. كانت من أسعد فترات خلوتي. فكانت السنوات الثلاث والنصف مناسبة ملازمة الأذكار، ولمراجعة ما كان فقد من القرآن الكريم. كان هذا أهم شيء من الله عليّ في ذلك الوقت، استرجعت القرآن وأعدت حفظه، وكان سهلا على كل حال لأني حفظته منذ الصبا، فاسترجعت القرآن استرجاعا جيدا والله الحمد، وقرأت أيضا كتبا. كانت فترة ذكر في كلمة واحدة"².

الفرع الرابع: مواصلته للنشاطات الدعوية المسجدية

بعد خروج الشيخ عبد السلام ياسين من المصححة، واصل نشاطاته وجهوده الدعوية المسجدية، لكن السلطات وأجهزتها الأمنية، قامت بمنعه وتوقيفه عن مواصلة دروسه، فجعل بيته قبلة ومرتعا للعديد من الزوار، مستمرا في جلسات الوعظ والارشاد، ومتابعا مشروع النصيحة كما فصله الرسول ﷺ.³

عبر الشيخ عن كل ذلك في قوله: "كان اتصالنا بالناس عسيرا جدا، فكان الناس يهربون منا، وكنا

¹ - عبد الكريم العلمي ومنير الزكراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد، ص 14-15.

² - المرجع نفسه، ص 24.

³ - ينظر، عبد السلام ياسين، رسالة الإسلام أو الطوفان، ص 24.

نتودد إليهم ونتقرب فيزداد هروبهم وخوفهم. أذكر أنه في رمضان الذي تلا خروجي من المعتقل، دخلت المسجد لألقي فيه دروساً، وكان معي سبعة أو ثمانية من الإخوة منهم أحمد الملاح وإبراهيم مزين وعبد الكريم الهلالي. بعد الجلسة الثالثة استدعاني قائد السلطة المحلية وأبلغني أن عامل الإقليم أمر بالتوقف، فعبرت عن رفضي لقراره الجائر. وفي اليوم التالي أخبرت الناس، وكانوا بدأوا يجتمعون علي، أنني أمرت بالتوقف وتلوت عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹. فانفعل الناس قليلاً لأن صحبتنا لم تتعد يومين كان الوداع في ثالثهما².

الفرع الخامس: إصداره لمجلة "الجماعة"

لم ينشئ الشيخ عن مزاوله دعوته، والتمس وسائل أخرى، وأصدر مجلة الجماعة، تيمنا أنها ستكون جامعة لكل فئات الحركة الإسلامية، وقد ذكر الشيخ الملاح تفاصيل إصدار مجلة الجماعة، قائلاً: "بدا بأن الأفكار يجب ألا تبقى محبوسة بين أربعة جدران، وأنها يجب أن تبرز إلى الوجود، وأن يسمع صوت سيدي عبد السلام، فقررنا إصدار مجلة ناطقة باسم من؟ باسم أي جمعية؟ على كل حال ارتأينا، وكنت بجانبه، أن نسمي المجلة: "الجماعة"، وأن نسمي: "أسرة الجماعة"، تيمنا بأنه ستكون جماعة جامعة لكل فئات الحركة الإسلامية. وكان العدد الأول كتبه شخصان: سيدي عبد السلام، وشاركت معه في هذه الكتابة. فبدأت الوفود تزور سيدي عبد السلام تسأله عن قضايا كثيرة، وكانت إذ ذاك الساحة الإسلامية متميزة بحركة دائبة وبقوة هذا الشباب المتعطش إلى المعرفة إلى السلوك إلى الله تعالى وأمامه مشاكل. والذي أثار فضوله وإعجابه في بداية الأمر هو ذلك الموقف الفريد الشجاع الذي استطاع أن يقفه سيدي عبد السلام في المغرب. فبدأ الناس يزورونه وبدأت الرسائل وبدأت الكتابات فظهرت مجلة "الجماعة"³.

¹ - سورة البقرة: 114.

² - عبد الكريم العلمي ومنير الزكراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد، ص30.

³ - المرجع نفسه، ص30.

وتم التضييق ومحاربة انتشار المجلة من طرف أعوان السلطة¹، وتم عرقلتها ومنعها ومصادرتها².

وبقي الشيخ مواصلاً مساعيه وجهوده أملاً في أن "تكون كلمة الله هي العليا، وأن يحكمنا القرآن، وينتشر في ربوعنا العدل والإحسان، ويزهق من بيننا الباطل والمنكر والخسران"³، فأصدر جريدة "الصباح"، إلا أنه تم توقيفها في سنة 1984م بأوامر عليا، يقول: "ليت شعري بأي ذنب أوقفوا صحيفة "الصباح" بعد إصدار واحد!... ما تشاء من مئات الصحف والمجلات والأفلام الخليعة إلا ومعارضها أمامك في كل شارع، وفي كل جدار تعلن الخلاعة عن نفسها بوقاحة، ويعلن الإلحاد، وتعلن الإباحية، لكن "الصباح"، إذ تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتعلم التوحيد، وتحارب الشرك، وتشجب البدعة لا مكان لها حتى وهي تلمس طريقاً إلى القارئ عبر عقبات إدارية وتعسفية تضرب عليها الحصار"⁴، بعد ذلك تم إصدار جريدة "الخطاب" فصودرت هي الأخرى⁵، وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين⁶.

الفرع السادس: الدعوة لتوحيد العمل الدعوي الإسلامي في المغرب

لم يتوان الشيخ عن سلوك طريق الدعوة إلى الله، بل كان صاحب طموح عال، وأهداف واضحة، فلم يجد عنها أبداً، مجاهداً وفاعلاً ومؤثراً، فسعى إلى توحيد العمل الإسلامي في المغرب، يروي ذلك قائلاً: "فكنا نتورع من زيادة الشق في الصف الإسلامي، وكان منشقاً بالفعل، فلذلك قررنا أن نזור بعض العاملين في حقل الدعوة ندعوهم إلى توحيد العمل كانت هذه مثالية دمنا فيها وعشنا فيها سنة ونصفاً، اجتمعنا مع العاملين في الحقل الإسلامي، وكنا نقدم أنفسنا على أننا شيء سائل لا وجود له ولا يجب أن

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، رسالة الإسلام أو الطوفان، ص25.

² - هي أول مجلة إسلامية أصدرها الأستاذ عبد السلام ياسين. صدر العدد الأول بتاريخ 1399 هـ / فبراير 1979م. صودرت الأعداد الخامس والعاشر والسادس عشر منها. تم توقيفها نهائياً مع مصادرة العدد السادس عشر سنة 1985م / 1405 هـ، الموءودات الثلاث، مدرسة الإمام المجدد عبد السلام ياسين.

³ - جريدة الصباح.

⁴ - جريدة الخطاب.

⁵ - جريدة الخطاب هي ثاني جريدة أصدرها الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله عام 1404هـ / 1983م، بعد مصادرة جريدة الصباح، ولم يصدر منها سوى عدد يتيماً، إذ صادرتها السلطة ومنعت طبعها وتوزيعها... / المصدر: جريدة الخطاب.

⁶ - اشتهر "سجن العلوي" بقساوته/ ينظر، مراجعات مع الأستاذ عبد السلام ياسين، الحلقة 3، ج3.

يتجمد في تجمع وفي تنظيم"¹.

وقد تحدث الشيخ أحمد الريسوني عن حرص الشيخ عبد السلام ياسين على وحدة الصف الإسلامي بالمغرب، فقال: "وفي أوائل الثمانينات ظهر اسم الأستاذ عبد السلام ياسين كداعية لوحدة الصف الإسلامي، بحيث أرسل إلينا وهو لا يزال في مراكش 1980م وفدا للاستطلاع والتواصل، وزاروني في مدينة مكناس، وزاروا إخوة فاس، وبعد ذلك دخل في خط التحاور الأستاذ عبد السلام ياسين والمجموعة التي كانت معه وعلى رأسها الحاج إبراهيم الشراوي والأستاذ أحمد الملاح. بعدها امتدت هذه العلاقات وهذه الحوارات إلى مجموعة من الأطر الذين كانوا قد انتموا إلى الحركة الإسلامية أثناء دراستهم بأوروبا، وكانوا ينعتون بالطلائع، فكانوا يشكلون مجموعة طيبة وممتازة ودخلوا معنا في هذه الحوارات، وفي أوائل الثمانينات كان هذا الحوار قد توسع، وكنا يومئذ نناقش العمل الإسلامي بصفة عامة والتقارب والتوحيد أو الوحدة بصفة خاصة، لكن هذا العمل الحماسي لم يتيسر له أن يمضي بعيدا، فقد توقف في حدود معينة من التفاهم كانت على أي حال جيدة ومفيدة"².

لم يلق هذا الأمر قبولا واستجابة، ولم يتسنَّ له أن ييسط على أرض الواقع، ولكن الشيخ تقبله برحابة صدر، وهذا ما ذكره قائلا: "أما اليوم فإنني أعتقد اعتقادا أن العمل الإسلامي، في المغرب وخارج المغرب، يجب أن يقبل بكل رحابة صدر، وبكل تعقل، وبكل سعة أفق، أن يتقبل وجود تعددية في العمل الإسلامي داخل كل قطر أولا، فإن من المخيب للآمال، وإن من المثبط للأعمال، أن نتعلق بمثالية الوحدة المتكتمة الموحدة فنطمع فيما لا مطمع فيه، لأن هذا لم يحدث حتى على عهد الصحابة رضي الله عنهم"³.

وبعد مسيرة جهادية قامت على أساس البيان والكلم، أمضى مرحلة جديدة من مرحلة التنظير إلى مرحلة العمل والبناء، قال فيها: "وقد آن بعد أن صدرت ستة أعداد من هذه المجلة، صودر منها العدد

¹ - منير الزكراكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص32.

² - بلال التليدي، ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية، د.ط، دار الطبع، طوب بريس، الرباط، 2010م، ج4، ص 17-18.

³ - عبد الكريم العلمي ومنير الزكراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص32-33.

الخامس جورا وتعسفا، أن ننزل إلى أرض العمل المنظم بعد أن مارسنا جهاد الكلمة وحدها ما شاء الله¹.

المطلب الثاني: العمل الجماعي المنظم

الفرع الأول: مرحلة تأسيس أسرة الجماعة

بعد خروج الشيخ عبد السلام ياسين من السجن، وفشل مشروع توحيد العمل الإسلامي من قبل الحركات الإسلامية المغربية، أعلن عام 1981م تأسيس أسرة الجماعة²، وقد تميزت هذه المرحلة بوضع التصور النظري لمنهاج العمل، فبدون تصور واضح لمنطلق الحركة وسيرها وأهدافها ومراحلها لا يمكن البناء كما أسلف ذكره في كتابه "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا"، والذي تطرق للتنظيم الإسلامي³.

كما أن هذه المرحلة تميزت بإيجاد الإطار القانوني، ومنبر إعلامي يعبر عن مواقفها وآرائها⁴.

تغيرت الأسماء لاحقا من أسرة الجماعة إلى جمعية الجماعة ثم إلى الجماعة الخيرية في أفريل عام 1983⁵.

اعتقل عبد السلام ياسين، وكانت تلك الظروف التي عاشها داخل السجن كما يروي صعبة وقاسية، يقول: "مرت السنتان في السجن في ظروف مادية لم تكن سهلة على كل حال، لأن سجن "العلو" يعرفه الجميع، هو سجن رطب بارد، والرطوبة والبرودة هما سببا اعتلال صحة أمثالي. هذا من الناحية المادية. السجن كان لي في التجربة الشخصية، شيئا جديدا، لأن اعتقالي في المرة الأولى كان اعتقالا خارج حدود القانون تماما، فلم أعرف السجن، ولم أختلط بمسجون، وإنما اختلطت ببعض المرضى في مستشفى الأمراض الصدرية لمدة عام ونصف، ثم اختلطت ببعض المجانين في مستشفى المجانين الذي قضيت فيه

1 - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع7، نوفمبر - ديسمبر - جانفي، 1980-1981م، ص6.

2 - بتصرف، www.yassine.net، هيئة التحرير، بناء جماعة العدل والإحسان، (صاحب إصدار مجلة الجماعة تأسيس أسرة الجماعة بتاريخ فاتح شتنبر 1981م الموافق ل3 ذي القعدة 1401هـ).

3 - ينظر، عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص6.

4 - www.yassine.net، هيئة التحرير، مرحلة تأسيس العمل المنظم ومحنة رسالة القرن. 1981 - 1985 / ينظر أيضا: موقع المسلم، حوار مع الناطق باسم جماعة العدل والإحسان المغربية، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 18:00.

5 - يُنظر: www.yassine.net، هيئة التحرير، بناء جماعة العدل والإحسان.

سنتين. أما في السجن فإنني اكتشفت عالما آخر هو خلاصة للواقع المغربي ولواقع المسلمين عامة. الحثالة في المجتمع في السجن تتشخص، وفي السجن تسكن، وفي السجن تعيش"¹.

وكعادة الريانيين، فإن وقت مكوثه في السجن تفرغ فيه للعبادة وانصرف للذكر والمطالعة والتأليف، يقول: "أهم شيء في السجن، وهو الخلوة والتفرغ لله سبحانه وتعالى، وكان هذا من فضل الله علي، واستمرارا لما سبق منذ -الآن- ثلاث وعشرين سنة، تفرغت للذكر والتلاوة والله الحمد، وكنت لشهور طويلة أختتم القرآن يوميا في جلسة واحدة، كنت أصوم باستمرار، كنت في حالة روحية جيدة والله الحمد، ثم إنني قرأت كثيرا في السجن، كانت تدخل لي الكتب. قرأت كثيرا، وكانت تجربة اختلاطي بالناس، مضافة إلى الحالة الروحية التي كنت أعيش فيها تكوّن لدي من هذا في هذه المدة المهمة سنتين، تحول في الفكر، خاصة الذي وطده وزكاه ما كنت أراه من الإخوان عندما يزوروني في السجن من خلف القضبان من ثبات ومن استمرار رغم المضايقات التي تعرفونها جميعا، رغم أن البوليس في كل سبت كانوا يأخذون البطائق ويأخذون الأسماء، وفي هذا تهديد خفي أو ظاهر، ضمني أو مصرح به، ما كنت أراه من الإخوان من ثبات وهذه اللقاءات التي تعرفونها جميعا، كنت ألقى عليهم فيها كلمات كان يزيدني تشجيعا"².

أما عن سبب إيداعه السجن، فيعقب عنه قائلا: "السبب الحقيقي لاعتقالي يومئذ هو ما كنت كتبتة في مجلة الجماعة بعنوان «قول وفعل» وتعرضت في هذه المقالة لنقد شامل كامل للإسلام الرسمي. كانت صدرت في ذلك العهد بمناسبة بزوغ القرن الخامس عشر الهجري، فيكون هذا في سنة 1981 من تاريخ النصارى [1401هـ]، كنت كتبت هذه المقالة أتعرض فيها للرسالة الملكية، رسالة القرن كما سميت، والتي يقال فيها، ويعلن فيها نية الحكم لتجديد الإسلام وإفساح المجال للدعاة إلى آخر ما في قاموس الإسلام الرسمي. صدرت مقالي هذه في مجلة الجماعة مواكبة للحجوة الرسمية التي كانت تبشر بالعهد الجديد، بعهد التجديد الإسلامي على يد النظام إلى آخر ما في ذلكم"³.

1 - منير الزركاكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 46 - 47.

2 - المرجع نفسه، ص 49.

3 - المرجع نفسه، ص 45.

استمرت المحنة باعتقال "أسرة الجماعة" والتضييق على أعضائها، ولكن بقي الجهاد متواصلا بالرغم من التعسف والمضايقات المتكررة على أعضاء الجماعة وقياداتها، وبالرغم من المكابدة إلا أن هذا لم يضعف أسرة الجماعة، وازداد الشيخ ياسين قوة وعزما وإصرارا على بلوغ كمال الغاية، وإعادة أجداد وعز الأمة المفتونة.

الفرع الثاني: تأسيس جماعة العدل والإحسان

بعد تشاور دار بين مسؤولي الجماعة تم تغيير اسم الجماعة، وبدأت مرحلة التأسيس الفعلي للجماعة، ورفع شعار العدل والإحسان ملخصا لبرنامج العمل الدعوي والمشروع المجتمعي¹، يقول الشيخ عبد السلام ياسين: "ولعل الدافع الأول لتغيير اسم الجماعة هو أن الاسم الذي كان من قبل كان اسما مؤقتا كما يدل عليه منطوقه «أسرة الجماعة»، أسرة الجماعة هذا شيء نسب إلى مجلة كانت تسمى «الجماعة»، وكان حول مجلة «الجماعة» أفراد من الناس يكتبون فيها فسموا أسرة الجماعة"².

رفع عبد السلام ياسين هذا الشعار معبرا عن أهم قضيتين في مشروعه، قائلا: "إننا نستخير الله العلي القدير، إخواني وأخواني، أن نتخذ لأنفسنا قضيتي العدل والإحسان اسما وشعارا يلخص برنامجنا بعدما بسط المنهاج مبادئ الإسلام ومقتضيات الإيمان والإحسان".

أما عن الأسباب التي أدت إلى رفع الجماعة لشعار "العدل والإحسان"، فيقول عنها: "نحمل إخواني شعار العدل والإحسان ليكون لواؤنا بين الدعوات ثائرا خفقا بخفقان حب الله في قلوبنا، وخفقان الحب في الله، والذلة على المؤمنين، وحب المساكين، والجهاد في سبيل الله والمستضعفين. وليكون عنواننا في شارع السياسة منشورا مشهورا، له أصالته من القرآن وله واقعيته"³.

¹ - ينظر: www.yassine.net، العدل والإحسان / www.aljamaa.net، مسيرة العدل والإحسان: أزيد من عقدين بين المحنة والمنحة / www.aljazeera.net، جماعة العدل والإحسان، 1 نوفمبر 2015، الساعة 06:14 / yassine.net، شعار العدل والإحسان 1987.

² - منير الزكراكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 54.

³ - www.yassine.net، يوليو 1987.. الإمام يوجه رسالة "العدل والإحسان" لعامة المؤمنين، التاريخ: 22 مارس 2018م، الساعة: 23:00.

ويقول أيضا: "في دولة القرآن تحتل الغاية الإيمانية الإحسانية الصدارة، فتصطف السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والتنظيم، وكل كبيرة وصغيرة في كل مجال من مجالات الحياة، في أماكنها النسبية، تأتمر كلها بأمر الدعوة. وتسعى كلها لنشر الدعوة"¹، ويقول: "جماعة واحدة تقوم بالدعوة وتربي وتقود الفكر والعمل"².

كما ذكر في تصريح له لصحيفة "المنقذ" الجزائرية: "هاتان الكلمتان وردتا في القرآن الكريم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) فالعدل مطلب شعبي وأمر إلهي، فلذا وجب أن يتحقق في جميع نواحي الحياة. والإحسان برنامج تربوي يعتني بالفرد والجماعة، وبهذا نكون قد جمعنا بين وظيفتين: وظيفة الدولة ووظيفة الدعوة"³.

يقول محمد العربي أبو حزم: "إن اتخاذ الرجل وجماعته شعارا "العدل والإحسان" ليس فكرة طارئة طرأت فطرت أبواب الفكر أثناء البحث عن اسم يتميز به في ساحة الدعوة، وإنما هو عنوان لمشروع كبير مؤسس على فهم عميق للوحي بإرادة جهادية، وعلى الإيمان الذي لا يتزحزح بمقتضياته، وعلى قراءة عميقة لحركة التاريخ على الأرض، وعلى تحليل دقيق لأسباب انكساراته، وعلى اليقين التام الكامل بالوعد الإلهي القرآني النبوي بعودة الخلافة على منهاج النبوة"⁴.

تضمن المشروع الدعوي قضيتين كليتين، قال عنهما: "إننا إخواني وأخواني نبقى هملا متسكعين في شارع الدعوة، ونبقى سائمة تائهين في سوق السياسة، إن لم نتبن قضيتين هما أم القضايا وأبوها في الدين والدنيا، في الدعوة والدولة، في المصير السياسي والمصير الأخروي. قضيتنا العدل والإحسان أمر الله تعالى بهما أمرا عازما في قوله تعالى⁵: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾"⁶.

ويوضح عبد السلام ياسين ماهية الجماعة بقوله: "إن الناس ينظرون إلى جماعة العدل والإحسان

¹ - عبد السلام ياسين، جماعة المسلمين ورابطتها، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2011م، ص31.

² - عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1972م، ص138.

³ - www.yassine.net، الإمام عبد السلام ياسين في حوار مع جريدة المنقذ الجزائرية 5 أكتوبر 1989، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة: 17:36.

⁴ - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين.. الإمام المجدد، ط1، 1439هـ - 2017م، ج2، ص260.

⁵ - www.yassine.net، رسائل العدل والإحسان، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة: 17:36.

⁶ - النحل: 90

بمناظرهم ويزينونها بمعاييرهم ويحكمون عليها أحكاما مختلفة، فالجزء البادي الظاهر للجماعة هو جزء العدل، جماعة معارضة تطلب العدل من حكم ميراثي وتجهر بذلك ولا تخفيه، ثم ينسى المعياريون منظرون ومعلقون وصحافيون أيضا وينسون أنها هي جماعة العدل والإحسان، فهما مطلبان متحدان لا يفترقان، مطلب العدل للأمة ومطلب الإحسان للإنسان...الجمع بين مطلبي العدل والإحسان، هذا الشيء كان مجتمعا في سنة رسول الله ﷺ، نحن نتبع سنة رسول الله ﷺ كاملة غير منقوصة في سعي الفرد المسلم الإنساني إلى معرفة الله عز وجل والتقرب إليه بالفرض والنفل ، وإلى السعي في إقامة العدل في الأرض"¹.

ويمكن تلخيص أهم الأسس التي جعلها عبد السلام ياسين من أولويات حركته الدعوية:

- ترسيخ معاني السلوك والترقي في مدارج الإسلام والإيمان والإحسان قولاً وعملاً².
- توجيه أبناء الجماعة إلى الجمع بين طلب الله والاستعداد للآخرة، وبين العمل لعزة الأمة بإخراجها من مراحل الملك العاض والجبري إلى مرحلة الخلافة على منهاج النبوة³.
- يقول عبد السلام ياسين: "مقصود جماعتنا أن يأتي الوارد ومعه مطلب غير واضح فنوضح له نقول: أيها الأخ الكريم، مطلبنا جميعا الله تعالى، نريد الله تعالى، يأتي أقوام يقولون: ألم نقل هؤلاء صوفية، وسبحان الله كيف عنت وتجبرت الحملات التسطيفية الحرفية التبديعية التكفيرية حتى أصبح من يقول أريد الله، أحب الله، أتشوق إلى الله، أعز المصطفى، أحب محمدا، أحب آل البيت، متهما بأنه زائغ العقيدة، فاسد الوجهة، منحرف العقيدة إلى آخر ما تعلمونه من السباب الذي نكون له عرضة"⁴.
- العناية بتربية المؤمنات على طلب الكمال الإيماني والعلمي والخلقي، وعلى تعزيز صف الدعوة المجاهدة بتحسين الفطرة ورعاية الأسرة وتقاسم أعباء الجهاد الشامل مع المؤمنين⁵.

¹ - www.yassine.tv ، العدل والإحسان، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة 17:36 .

² - www.yassine.net، هيئة التحرير، بناء جماعة العدل والإحسان، 30 ديسمبر 2021م، الساعة: 23:00.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - منير الزركاكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 63.

⁵ - www.yassine.net ، بناء جماعة العدل والإحسان.

كما غير أسلوبه الحركي السابق، القائم على السرية والغموض والعنف، وأنكره بشدة، وبني مشروعه الدعوي على مبدأ الوضوح والسلمية ورفض السرية.

يقوم عمل جماعة العدل والإحسان على ثلاثة نواظم تنظمه: "أولها" المحبة، وهي الروح التي تسري بين أعضاء الجماعة، ووقود هذه المحبة هو الاجتماع على الله تعالى وعلى ذكره ومحبته والتدلل بين يديه والسعي في خدمة دعوته، وهذا بالنسبة إلينا هو الأساس المتين الذي يتأسس عليه بناء الجماعة، وهذه المعاني يستعصي على التحليل السياسي المادي فهمها أو إدراكها أو قياسها. والناظمة الثانية هي "الشورى والنصيحة"، إذ إننا في كل هيئات الجماعة وعلى كل المستويات التنظيمية نعتمد على أسلوب الشورى فيما نقره أو نقرره مع فتح كل الأبواب للمبادرة بالنصيحة والملاحظة والنقد والتقويم فردية كانت أو جماعية. والناظمة الثالثة هي "الطاعة"، وهي تنفيذ المتفق عليه بروح "المحبة" وبميزان "الشورى والنصيحة". إن هذه الروح وهذا الميزان هو ما ينعكس في الميدان ويلاحظه الملاحظون انضباطا وجدية وفاعلية¹.

لقد تعرض الشيخ عبد السلام ياسين وجماعته لأصعب الظروف، ولكل صنوف التضيق من حصار وإقامة جبرية وسجن وملاحقات سياسية، إلا أن هذا التشديد الذي تعرض له مع جماعته، زاده عزيمة وقوة وجرأة وصمودا وشجاعة، وجعله هينا في سبيل خدمة الدين والدعوة.

¹ - www.turess.com، حوار مع الأستاذ فتح الله أرسلان الناطق الرسمي لجماعة العدل والإحسان، نشر في الحوار نت، التاريخ: 2011-1-6م.

المبحث الثالث: آثاره العلمية ووصيته

المطلب الأول: آثاره العلمية

كرس عبد السلام ياسين حياته للعلم، فكان شغوفا بالمطالعة ومولعا بالمعرفة، وكان طموحه الدائم في كل ما يخط أن يذكر نفسه ويدل غيره على الله عز وجل، يقول: "إن مطمحننا الأول والأساس أن تكون كل كلمة نخطها ونقرؤها تذكركنا بالله"¹. وقال: "أما اطلاعي فهو اطلاع شباب ثم رجل قرأ من الكتب، أخذ من الكتب ومن الواقع مباشرة. فالأسس المتينة التي أخذتها عن أساتذتي في المدرسة الأولى، مدرسة السيد المختر السوسي رحمه الله لم يكن لي به اتصال مباشر إلا مرتين أو أقل في حياتي، ولكن بواسطة تلامذته كان التكوين الذي كوّنناه يومئذ ونحن في صبانا، تكوينا متينا. فأنا أعتبر أن هؤلاء، رحمهم الله وجزاهم عنا خيرا، هم الذين أرسوا قواعد تفكيري وقواعد تعاملتي مع اللغة العربية، ومع الدين، مع احترام الإسلام، واحترام القرآن، واحترام السنة، واحترام المحترمات الدينية. أما اطلاعي على الأشياء الأخرى فلست بمُستطيع أن أحصر ما قرأته من كتب، وقد طالعت كثيرا كثيرا كثيرا من فلسفة وإيديولوجيات وماركسية وتاريخ ويطول هذا"².

كان حاملا لهم أمته ومجتمعه وللإنسانية جمعاء، كان مخلصا صادقا في كل كلمة يخطها، فتغرورق عيناك في كل ما تقرؤه، وكيف لا وهذه الكلمات معان عاشها بكيانه كله، عاشها وكتبها بلحمه وعقله ودمه، وقد عبر عن هذا بقوله: "على أنني لست ببيغائي المحتد، بل أحيي معاني ما أكتب بلحمي ودمي وروحي وعقلي"³.

فكان التأليف معينا لا ينتضب، وكان مرجعه الأساس كتاب الله وسنة رسوله، كما اعتمد في قراءاته على المصادر الأصلية للمعرفة، وبفضل قراءاته العديدة والمتنوعة، استطاع أن يقدم للأمة فهمه ومواقفه اتجاه مختلف القضايا، برؤية شاملة وبطريقة سهلة ومبسطة، يقول فيها: "أنا فكرت طويلا في ضرورة تقديم فكر

¹ - عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2005م، ص12

² - عبد الكريم العلمي وكريم الزكراكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص18.

³ - عبد السلام ياسين ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ - 2018م، ج1، ص67.

منظم مبسط جامع لما ينبغي أن يعرفه العاملون للإسلام، فكرت في هذا سنوات طويلة"¹.

ساهم في إثراء المكتبة الإسلامية بجملة من الكتب تزيد على الأربعين كتابا، وهناك مکتوبات أخرى مازالت مخطوطة على قيد الطبع، ومن بين المؤلفات والرسائل التي أصدرها ما يلي:

الفرع الأول: آثاره في المجال السياسي والاجتماعي

ألف عدة رسائل، منها:

1- رسالة "الإسلام أو الطوفان": وهي رسالة نصيحة إلى الملك الحسن الثاني، سنة 1974م، تدعوه إلى التوبة والرجوع إلى الله، محتذيا بالنموذج العمري (عمر بن عبد العزيز)، وتحذره من الضياع والتهيه في إدارة شؤون الشعب والدولة.

2- مذكرة إلى من يهمه الأمر (رسالة نصيحة بالفرنسية إلى الملك محمد السادس، ترجمت إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات)، 1999.

3- كما ألف الشيخ عبد السلام ياسين في مرحلة جهاد الكلمة وقبل تأسيس "جماعة العدل والإحسان" كتابا مهما، وهو: "الإسلام بين الدعوة والدولة"²، يناقش فيه رؤيته للدولة الإسلامية ومدى ارتباط العمل الدعوي بالعمل السياسي وضرورته من أجل بناء دولة الإسلام.

4- كتاب "العدل: الإسلاميون والحكم": يوضح هذا الكتاب معنى العدل، ويعالج قضية الإسلاميين والحكم، ويقدم رؤية شاملة للحكم الإسلامي، داعيا إلى إقامة حكم إسلامي قاعدته العدل، حكما إسلاميا يتجدد بتجدد إيمان أفراده ومجتمعها أخويا متألفا ينبض بروح الإسلام، فيقول: "وهلموا إلى مجتمع أخوي قاعدته جماعة المسلمين المتألفة من أحزاب سياسية، ونقابات تتآزر مع الأحزاب على كلمة العدل، وجمعيات، ومؤسسات، وشخصيات، وما شئت من تنظيمات، كل ذلك ينبض بروح الإسلام. وينطق بكلمة الإسلام، ويخدم أهداف الإسلام. نُزِيل وإياكم العوائق الموروثة من طريقنا، وَجُئِي الغاشية عن أبصارنا

¹ - <https://ar.yassine.net/>، بناء الجماعة و«منحة» الحصار | 4 | صفحات من سيرتي، التاريخ: 22 نوفمبر 2022م، الساعة: 23:00.

² - يُنظر: <https://ar.yassine.net/>، نور الدين الملاخ، الإمام عبد السلام ياسين من التجربة الشخصية إلى تأسيس مشروع أمة (2) اليقظة القلبية، التاريخ: 10 جانفي 2015م، الساعة: 22:00.

وعقولنا التي تُضَبَّبُ أمامنا مشهد الواقع، وتوجُّه الواقع، وحتمية المستقبل"¹.

وفي هذا الكتاب يجيب عبد السلام ياسين عن ثلاثة أسئلة مهمة:

السؤال الأول: ماهي أهداف الإسلاميين؟ ما هي الشروط المنهاجية ليتربَّى سِرُّهُمْ على الإيمان؟

السؤال الثاني: ما سلوك القوة الاقتحامية الإسلامية في هذا العالم؟

السؤال الثالث: ما عمل القوة الاقتحامية الإسلامية في ظل تعدد الفاعل السياسي في بلاد

المسلمين؟²

وله كتب كثيرة أخرى مثل:

5 - حوار مع صديق أمازيغي، 1997.

6 - الخلافة والملك، 2001.

7 - رجال القومة والإصلاح، 2001.

8 - مقدمات لمستقبل الإسلام، 2005.

9 - إمامة الأمة، 2009.

10 - جماعة المسلمين وربطتها، 2011.

الفرع الثاني: آثاره في المجال الاقتصادي والفكر المعاصر

للشيخ عبد السلام ياسين مؤلفات عديدة في مجال الاقتصاد والقضايا الفكرية المعاصرة، نذكر منها:

1 - الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية، 1987.

2 - الإسلام والقومية العلمانية، 1989.

3 - محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى، 1994.

¹ - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 2000م، ص694-695.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص28-29.

4 - حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، 1994.

5 - الاقتصاد: البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية، 1995.

6 - الشورى والديمقراطية، 1996.

7 - حوار الماضي والمستقبل، 1997.

8 - الإسلام والحداثة (مترجم)، 2000.

الفرع الثالث: آثاره في المجال الدعوي والتربوي

1- كتاب: "الإسلام غدا"، ويحتوي على أهم أسس وقواعد المنهاج النبوي ورؤية عبد السلام ياسين للمستقبل الإسلامي.

2- كتاب "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا"، 1982: يعد هذا الكتاب من أهم كتبه لأنه يحمل مشروعا دعويا مستوحى من الكتاب والسنة، ويقدم فيه تصورا تربويا وتنظيميا وسياسيا للعمل الإسلامي، ويحجب فيه عن بعض التساؤلات المهمة، ويقدم دليلا ممنهجا لتنظيم الجماعة على مستوى كل قطر.

وقد أورد عبد السلام ياسين سبب تسمية كتابه بالمنهاج النبوي، قائلا: "ونفضل كلمة «منهاج» القرآنية النبوية لندل بها لا على وساطة المنهاج من حيث كونه جسرا علميا بين الحق في كتاب الله وسنة رسوله وبين حياة المسلمين فقط، بل لنربط به معاني التمسك الصارم بأمر الله في كتابه، ومعاني الاتباع لسنة رسوله ﷺ في السلوك الفردي والجماعي، الخاص والعام، النفسي والخلقي واليومي، العبادي والاجتماعي، السياسي والاقتصادي، الرباني في كلمة واحدة. ولا يعني هذا أن نربي وننظم جماعة تنظر إلى ماضينا المجيد تحت راية محمد ﷺ وخلفائه المهديين الراشدين وتقعد مع الأحلام، بل يعني تهييء جيل وأجيال من بعده صالحة لخلافة الله ورسوله في الأرض على نسق التربية والجهاد النبويين، ولهدف إعادة الخلافة على منهاج النبوة بعد الحكم العاض والجبري اللذين داموا قرونا طويلة"¹.

¹ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص8.

وقواعد هذا المنهاج يجب أن تتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية، فيؤخذ منها ويرد، يقول: " فأنا أرجو الله عز وجل وأسأله جلت عزته أن تكون هذه القواعد التي بسطتها في متناول الجميع، يؤخذ منها ويترك حسب الوقت وحسب الظرف، حسب الزمان وحسب المكان. وما هي إلا محاولة لجمع شعب الإيمان وتصنيفها، وشعب الإيمان من جاء بها؟ ليس لهذا العبد إلا تبسيط المنهاج، وتوصيل الفهم للناس. وعلى الناس - في زماني وبعد زماني، في هذه الجماعة وفي غيرها- أن ينتقدوا، وأن يحللوا، وأن يردوا، وأن يأخذوا، وأن يطوروا، وأن يجهروا، فذلك ما أريده. وأرجو الله ألا يقف أحد معي فأنا أحاجه عند الله عز وجل إن اتخذ فكري وثنا وصنما"¹.

3- كتاب: "مقدمات في المنهاج":

بين عبد السلام ياسين أهمية توضيح المفاهيم والمصطلحات التي يتداولها في كتاباته، قائلا: "وأرى، أنا العبد العاجز، أن التفاهم بيني وبين قرائي الأعزاء أزداد عنه عجزا إن لم أقدم المفاهيم الرئيسية التي تشكل الحبل المنهاجي الحامل لمضمون ما أريد تبليغه بحول الله"².

ومن بين المفاهيم التي أوضحها، كلمة "المنهاج"، والتي لخصها في قوله: "فالمنهاج إذن تطبيق للقرآن وتجسيد في حياة الفرد وتاريخ البشر لتعاليمه.

المنهاج عبارة عن السنة، والسنة عمل تابع لعلم"³، وبين وظيفة المنهاج واقتنائها بالعلم والعمل، قال: "وظيفة المنهاج النبوي العلم والعمل مترابطين، النداء والاستجابة متلازمين، الرحمة والحكمة متعاضدين، أمر إلهي وطاعة، خطة وتنفيذ معا، وإلا كان النفاق، نفاق الذين يقولون ما لا يفعلون"⁴

أما عن أهم مطالب المنهاج، فيقول: "يطلب المنهاج العلم لينحُو به المنحى العلمي الإجرائي، ويطلب الإنسان ليوضح له الطريق ويحفزه للعمل، ويطلب العمل ليبرجحه ويمرحله، ويطلب الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم وفي الأمة ليخطط مرامي العمل ومفاصله، ويطلب الأهداف الدنيوية

1 - منير الزركاكي وعبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، ص 40.

2 - عبد السلام ياسين، مقدمات في المنهاج، تصنيف دار الخطابي مطبعة الأمة، الدار البيضاء، 1989م، ص 15.

3 - المرجع نفسه، ص 25.

4 - المرجع نفسه، ص 37.

والغاية الأخروية ليضعها على خط واحد لا تتناقض ولا تتنافر، ويطلب المجموع لينسق الجهود ويوجهها"¹.

4- سلسلة دروس المنهاج النبوي:

- كيف نجدد إيماننا، كيف ننصح الله ورسوله؟ (الكتاب الأول من سلسلة «دروس المنهاج النبوي»)، 1998.

- الفطرة وعلاج القلوب (الكتاب الثاني من سلسلة «دروس المنهاج النبوي»)، 1998.

- سلامة القلوب (الكتاب الثالث من سلسلة «دروس المنهاج النبوي»)، 1999.

- اقتحام العقبة (الكتاب الرابع من سلسلة «دروس المنهاج النبوي»)، 1999.

- الثمن (الكتاب الخامس من سلسلة «دروس المنهاج النبوي»)، 2004.

5- كتاب: "الإحسان" (في جزئين):

يعد هذا الكتاب من أهم كتابات الشيخ عبد السلام ياسين، وفيه تحليل لمضامين التصوف وطرق الولاية، وسرد لأقوال مشايخ الصوفية، ووصف لأحوالهم، وتوضيح لمضامين الإحسان، وهو الشعار الذي اتخذته في تسمية جماعته، يقول: "الإحسان رتبة في الدين ودرجة في التقوى، لها الأهمية القصوى. الإحسان غاية الغايات ومحط نظر ذوي الهمم العالية من الرجال"².

كتاب الإحسان "موضوعه السلوك إلى الله والعروج إليه والإذعان، فتجده يحدثك عن الجهاد والعدل في القسمة والتحزب لله ونبذ الخمول والدروشة والانزواء، بل يدعوك لرفع همتك للنموذج الأعلى، نموذج إمام العارفين ونبراس طريق السالكين محمد ﷺ، وصحبه الغر الميامين، رهبان الليل وفرسان النهار"³.

ويدور هذا الكتاب أيضا حول صلة العبد بربه، فيخاطب القلب والفطرة، يقول: "أريد في هذا الكتاب أخي وأختي، والله المستعان، أن أحدثك حديث القلب، حديث الفطرة، في موضوع هو أجل الموضوعات على الإطلاق، وهو موضوع صلة العبد بربه، وتقرب العبد من ربه، ووصول العبد إلى ربه،

¹ - عبد السلام ياسين، مقدمات في المنهاج، ص39.

² - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص18.

³ - عبد السلام ياسين، جماعة المسلمين ورابطتها، ص8.

وفوز العبد بربه. ويا خسارة من خرج من الدنيا وليس له حظ من الله ولا نصيب ولا علم ولا هدى ولا كتاب منير"¹.

6- كتاب "نظرات في الفقه والتاريخ": وهو كتاب فكري وفقهي وتاريخي، حيث يوضح فيه عبد السلام ياسين تأثير الفكر الإسلامي بالتطورات التاريخية وانعكاس ذلك على الاجتهادات الفقهية، ودعا فيه لقراءة تاريخ المسلمين، ومعرفة ما خلفه الانكسار التاريخي من تجارب وفتاوى واجتهادات موروثية، تستدعي نظرة علمية فاحصة وناقدة، قال فيها: "إننا إذ ننظر إلى الأحداث المائجة في عصرنا ونعيش مع الأمة أملها في أن يظهر الله دينه على الدين كله كما وعد ووعدته الحق، لن نعدو محطات الآمال المئحة الخائبة، تجنيحها وتحليقها فوق الواقع، تحليقا يعطي النشوة المخدرة لكنه لا يعطي التبصر، إن لم نتخذ هذا الحديث الجليل وأمثاله دليلا لمعرفة الانحراف التاريخي الذي حول مجرى حياتنا ففقدنا بالتدرج مقوماتنا. ذهبت الشورى مع ذهاب الخلافة الراشدة، ذهب العدل، ذهب الإحسان، جاء الاستبداد مع بني أمية، ومع القرون استفحل، واحتل الأرض، واحتل العقول، واعتاد الناس أن يسمعوا عن الخلافة الأموية والعباسية وهلم جرا. وعاشوا على سراب الأسماء دون فحص ناقد للمسميات. سماها رسول الله ﷺ ملكا عاضا وملكا جبريا وسماها «المؤرخون» الرعيون خلافة، فانطلت الكذبة على الأجيال، وتسلينا ولا نزال بأجماد هذه «الخلافة». وقد كانت بالفعل شوكة الإسلام وحاميه من العدوان الخارجي. لكن في ظلها زحف العدوان الداخلي لما أسكتت الأصوات الناهية عن المنكر، واغتيل الرأي الحر، وسد باب الاجتهاد. في ظلها وفي خفاء الصراعات تكونت المذاهب الدساسة، وتمزقت الأمة سنة وشيعة، وتشتت العلم مزعا متخصصا عاجز فيها أصحاب التخصص عن النظرة الشاملة. لا يجسر أحد على بسط منهاج السنة والقرآن مخافة السلطان"².

7- تنوير المؤمنات (في جزئين):

بين فيه عبد السلام ياسين قضية المرأة المسلمة ودورها في عملية البناء والتغيير، ودعاها إلى الانغماس

¹ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص66.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1989م، ص10.

في بيئة إيمانية مستوحاة من النموذج النبوي، والرجوع لنموذج الصحابييات، موضحاً خطورة اتباع زلقات الغريزة وخطوات الشيطان، ومبيناً الوضع المزري الذي آلت إليه المرأة، كاشفاً عن العقبات ومشيراً لطرق المعالجة وسبل النهوض والارتقاء.

يقول عبد السلام ياسين: "لا يجب هذا الكتاب ولا يريد أن يصنف في خزانة التوعيات: مجرد توعية بقضية المرأة المسلمة إلى جانب التوعية السياسية، والأخرى الثقافية، والثالثة الفنية الجمالية. وما شئت من حمولات تُفَرِّغ في أوعية الأدمغة وبواطن النفوس، تتفاعل أو لا تتفاعل، تتوالد ويتغذى بعضها ببعض، والوعاء زاجر عجاج بهوامة الأفكار ومُحَشَّر الهوس. أفرغت التوعيات الكونية الدماغ المثقف بثقافة العصر، والنفس المائجة مع حركات الدنيا، من هم الآخرة وهم المصير. وأخرست الصوت الفطري السائل عن معنى وجودي... سعادة هذا الكتاب أن يوقظ الواسن ويحرك الساكن لتمسك المؤمنة القارئة، والمؤمن الباحث، بتلايب نفسه وهواه، ويحمل فكره على المكروه الذي تحرب منه النفس الراكدة في خبثها. ألا وهو مواجهة الذات بالسؤال المليح الصريح: أي إيمان هو إيماني؟ وما قضيتي مع ربي؟ ضاعت ونُسيت في ضجيج الحركة فهل إلى تلافي الأمر من سبيل؟ أم إن المنطلق الأول كان خطأ حين اندفعت في حماس أزعم أنني مهاجر إلى الله ناصر لدين الله مجاهد في سبيل الله بينما قلبي هواء وخواء؟"¹

8- رسالة القرن: الملكية في ميزان الإسلام، 1980.

9- رسالة تذكير (الرسالة الأولى من سلسلة «رسائل الإحسان»)، 1995.

10- رسالة إلى الطالب والطالبة، إلى كل مسلم ومسلمة (الرسالة الثانية من سلسلة «رسائل

الإحسان»)، 1995.

11- سنة الله، 2005.

12- القرآن والنبوة، 2010.

13- يوم المؤمن وليلته.

14- حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين.

15- رسالة "وصيتي".

¹ - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م، ج1، ص5.

الفرع الرابع: آثاره في المجال الأدبي

الدواوين الشعرية، مثل:

- شذرات (ديوان شعر)، 1992.

- المنظومة الوعظية (الرسالة الثالثة من سلسلة «رسائل الإحسان»)، 1996.

- قطوف (ديوان شعر طبع منه ستة أجزاء)، 2000.

الفرع الخامس: آثاره في المجال التعليمي والبيداغوجي

مثل: - الرسالة العلمية.

- النصوص التربوية لمدارس المعلمين والمعلمات.

- كيف أكتب إنشاءً بيداغوجياً؟

- مذكرات في التربية لمدارس المعلمين والمعلمات.

الفرع السادس: آثاره في المجال الإعلامي

- المجلات والصحف، مثل:

- جريدة الصبح.

- جريدة الخطاب.

- مجلة الجماعة (من العدد الأول إلى العدد السادس عشر): وهي مجلة فكرية ودعوية، وظيفتها رفع

صوت الحق ونداء الجهاد¹، وهي أداة عمل كما يذكر عبد السلام ياسين: "وهنا أخلص إلى دور هذه المجلة

التي نريدها أداة عمل، أداة تعارف بين الإسلاميين أولاً، وأداة توعية عامة تتبعها يقظة: توعية للعقل ويقظة

للقلب. قراءة لكتاب العالم وقراءة لكتاب الله وقراءة مترامنة ينير فيها الإيمان القلبي الجهد الفكري، نريد

لهذه المجلة أن تكون الصوت المسموع للإسلاميين، فإننا لا ننسبها إلى أنفسنا إلا عنواناً للخدمة الواجبة

علينا نحو قضية ليست قضية فرد أو أفراد أو جماعة معينين محصورين تحت العناوين التي تفرقنا، بل هي

قضية كل من ينبض قلبه بالإيمان، لكن دور المجلة مهما كان أساسياً ومهما كان صوتها مسموعاً لا يبلغ

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع7، ص6.

الشعب الأمي المسكين، لذا نطالب بحقنا في غشيان المساجد التي ضربنا فيها موعدا لكل من يرجو الله وقارا ولنفسه دورا في مستقبل الإسلام الزاهر بإذن الله، إنهم طردونا من المساجد، وكأن الذي فعل لا يجب أن ينفذ أمر الله الذي أذن أن يذكر اسمه في بيوته: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹.

الفرع السابع: كتب باللغة الفرنسية:

(الثورة في زمن الإسلام) La révolution à l'heure de l'ISLAM, 1980

Pour un dialogue avec l'élite occidentalisée, 1980 حوار مع النخبة المغرّبة (مترجم)

Islamiser la modernité, 1998 الإسلام والحداثة

Mémorandum à qui de droit (Lettre ouverte à Mohamed IV, roi du Maroc), 1999

وترجمت بعض كتب ورسائل عبد السلام ياسين إلى عدة لغات، منها اللغة الإنجليزية، الفرنسية،

الألمانية، التركية، الإيطالية، الروسية، الإسبانية، الأوكرانية.³

المطلب الثاني: وفاته ووصيته

كان الشيخ في حياته حريصا كل الحرص على طاعة الله ومرضاته واتباع سنة رسوله الكريم ﷺ، وكان دائم التذكير باليوم الآخر، والمصير بعد الموت، غير أن موت أقرانه في سن الكبر كان له وقعا خاصا، ولم يمر عليه هكذا دون وقفة وتأمل، وراه إشارة على قرب الرحيل.

يحكي عنه صديقه بعدما زاره، قائلا: "كان أول ما سألني عنه حزب ذلك اليوم من القرآن، وكان هذا دأبه معي في كل زيارة، فأجبتة بأنه حزب كذا... فلما انتهينا من قراءته أخذ يسألني عن لا يزال حيا

¹ - سورة البقرة: 114

² - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع 1، ص 44.

³ - www.aljamaa.net، هيئة تحرير موقع ياسين.نت، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين 2، نوفمبر 2015، الساعة 21:10.

يرزق من أصحابنا الذين كنا نجالسهم ونسمر معهم من أصدقاء طفولتنا وشبابنا وزملاء مهنتنا... فأجيبه: مشى عند الله، الله يرحمه... حتى سألني عن عدد منهم، وأنا أجيبه الجواب نفسه: مشى عند الله، الله يرحمه. فقال لي: إذن، وجب علينا أن نستعد نحن أيضا للرحيل"¹.

توفي رحمه الله صبيحة يوم الخميس 28 محرم 1434هـ الموافق 13 دجنبر (ديسمبر) 2012م²، بعد مسيرة جهادية وعمل دعوي متواصل، خلف خلالها تراثا فكريا وعلميا، وحركة دعوية إسلامية توسعت في مختلف أنحاء المغرب، كان من ثمارها البارزة انتظام الآلاف من المؤمنين والمؤمنات في فلك جماعة ومدرسة العدل والإحسان في أقطار شتى من العالم"³.

وترك وصية مكتوبة ومسجلة بصوته ذكر فيها أن أولى غاياته ومقاصده ورجائه أن يُترحم عليه وهو ثاو في قبره، موضحا ومجملا خلاصة ما كان يدعو إليه وينشده طيلة مسيرته الحياتية، يقول في ذلك: "وأوصي كل ذي همة يقظة أن لا يكون له من دون وجه الله عز وجل مطلب يحجبه عن الله. طلب الثواب والأجر والجنة شرع من الشرع. وإرادة وجه الله، والسعي إلى مرضاة الله بما يرضي الله ويقربنا من الله مرمى الهمم العالية. بشرط العمل الدائب والنية المتجددة. وأوصي أن العدل قرين الإحسان في كتاب ربنا وفي اسم جماعتنا، فلا يُلْهنا الجهاد المتواصل لإقامة دولة العدل في أمتنا عن الجهاد الحثيث ليلوغ مراتب الإحسان. الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، ولا مدخل لك في هذا يا أخي ولا مدخل لك يا أختي في هذا المضمار إلا بصحبة تفتح أمامك وأمامك المغالق وتحذو بركبك إلى عالم النور والرفائق"⁴.

¹ - محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين.. الإمام المجدد، ط1، د.د، 1439هـ - 2017م، ج2، ص 467 - 468.

² - www.yassine.net، هيئة التحرير، وفاة الإمام المجدد، 2 نوفمبر 2015، الساعة 18:56.

³ - www.yassine.org، موجز سيرة الإمام عبد السلام ياسين، 2 نوفمبر 2015، الساعة: 18:56.

⁴ - عبد السلام ياسين، وصيتي، ط1، د.د، د.ب، 2013م، ص17-18.

الفصل الثاني:

النظر التأسيلي للمقاصد الدعوية

عند عبد السلام ياسين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد وتصنيفاتها عند عبد السلام ياسين

المبحث الثاني: مصادر معرفة المقاصد من وجهة نظر عبد السلام

ياسين

المبحث الثالث: مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

الفصل الثاني: النظر التأصيلي للمقاصد الدعوي عند عبد السلام ياسين

توطئة:

يهدف هذا الفصل إلى بيان مدى اهتمام وتركيز الشيخ عبد السلام ياسين بالجانب المقاصدي في مشروعه الدعوي، وكيف انسجمت دعوته مع مقاصد الشريعة الإسلامية؟ وكيف عالج القضايا الأساسية والجديدة؟، انطلاقاً من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي، ومن مستوى الدولة إلى مستوى الأمة، وكيف ركز في رؤيته المقاصدية على استيعاب التصور الشمولي الكلي؟، لتحقيق رسالة الإسلام الشاملة في أبعادها المختلفة (سياسية، اجتماعية، تربوية، روحية، فكرية، دعوية، إعلامية، اقتصادية، ...).

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المقاصد وتصنيفاتها عند عبد السلام ياسين

المبحث الثاني: مصادر معرفة المقاصد من وجهة نظر عبد السلام ياسين

المبحث الثالث: مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

المبحث الأول: مفهوم المقاصد وتصنيفاتها عند عبد السلام ياسين

يهدف هذا المبحث إلى تبيان مفهوم المقاصد عند الشيخ عبد السلام ياسين، والأسباب الداعية لتكوين هذه الرؤية، وبيان أقسام وتصنيفات المقاصد عنده.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مفهوم المقاصد عند عبد السلام ياسين

المطلب الثاني: تصنيف المقاصد وترتيبها عند عبد السلام ياسين

المطلب الأول: مفهوم المقاصد عند الشيخ عبد السلام ياسين

دعا الشيخ عبد السلام ياسين إلى إعمال العقل وإعادة النظر في اجتهادات السابقين، ومحاوله استيعاب وفهم العوامل والأسباب والمقتضيات التاريخية التي بنى من خلالها السلف اجتهاداتهم المقاصدية، ومقارنتها بما يتناسب مع مستجدات العصر.

واعتبر أن عاملي الزمان والمكان وفقه الاختلاف بين الواقع التاريخي والواقع الحالي، يفرض نظرة اجتهادية متجددة، وبرر ذلك بما سبق من اجتهادات السابقين، ومن بينهم الإمام الشاطبي في كتابه "الموافقات"، حين تألم من ضياع العلم بجمود الفقهاء، وضياع المقاصد بطغيان الحكام، يشير عبد السلام ياسين إلى ذلك قائلاً: "جاء عالمنا يوقظ النائمين فلم يجد مستجيباً، ومضى يسري في مهامه عزله الفيحاء، ينطق تارة ويسكت ويتحفظ ويرمز ويشتكى، فماذا نجد في زماننا من عماد نعتمده في علم هذا الرجل وأمثاله؟ أنردد تلك العبارات ونشرح تلك الإشارات عاكفين عليها وهي تنتمي إلى عصر ومصر استسلم فيه المسلمون لملوك العض لا من يحرك من سواكهم؟ إذن لكنا أشد غباء وأبلد بلادة من معاصري الشيخ الإمام الذين قعدوا يتفرجون على الأندلس تتسرب من أيدي الأمة لا يحسون جوى ولا يشتكون شجى. نكون - إن رددنا اجتهادات من سبقونا بالإيمان غفر الله لنا ولهم بدون أن نحدد لأنفسنا مطالب أو نرسم لأنفسنا خططا - أحط من الانحطاط"¹.

¹ - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص58.

بل ولام بعض العلماء المعاصرين الذين يرددون أقوال العلماء السابقين دون محاولة منهم لفهم مقتضيات التاريخية والسياق الزماني والظروف الواقعية والاجتماعية زمن الإمام الشاطبي وغيره، وفي ذلك يقول: "وبما أن طوق التقليد مازال مستحكماً، فإن علماءنا اليوم لا يفتؤون يرددون ما قاله الشاطبي، ومن قبله، من غير فهم واستيعاب للواقع الذي يعيشون فيه، وكأن واقع اليوم هو واقع الأمس، والظروف هي هي، سياسياً، اجتماعياً، شرعياً..."¹. بل حتى الشاطبي نفسه يشير إلى عدم اكتمال مراده وعدم ذكره لأمر وتفاصيل كثيرة، وفي هذا الصدد يقول: "وقد تم والحمد لله الغرض المقصود، وحصل بفضل الله إنجاز ذلك الموعود، على أنه بقيت أشياء لم يسع إيرادها، إذ لم يسهل على كثير من السالكين مرادها، وقل على كثرة التعطش إليها ورادها"².

وانطلاقاً من هذا الفهم حدد في صيغة مقاصد الشريعة، واقترح التعبير عنها بمطالب الشريعة، والتعبير كذلك عن الصيغة الحفظية للمقاصد بصيغة الطلب، قائلاً: "فجدير بنا أن نعبر عن مقاصد الشريعة في صيغ مطلية لا حفاظية، فنقول: مطالب الشريعة هي كذا وكذا"³.

ومن بين الدواعي والأسباب الرامية لهذا التجديد: فهم الأوضاع الاستبدادية (استبداد الحكام) من جهة، ووجود أزمة في الفقه السلطاني الجبري من جهة أخرى، والتي تسببت في ضياع مقاصد الشريعة، كل هذا وغيره جعله ينظر للتراث العلمي الشرعي، بنظرة الفاحص المدقق، وينظر للمقاصد بصيغة الطلب لا الحفظ.

وهذا ما ذكره في معرض قوله: " كان عند سلفنا رحمهم الله شيء يذكر على رقعة العالم، له حرمة وهيبته: كان لهم استقلال ودولة، فكانوا يحرصون على هذا الشيء، لا يعيونه في ظاهر سلوكهم وإن كان في قرارة النفس ما فيها. كانوا يريدون الحفاظ على ذلك الشيء لأنه كان حياتهم وسقفهم وبيتهم وسلاحهم. وفي ظله كانوا يحضنون ما تبقى متماسكا من عرى الإسلام. لذلك نقرأ عندهم في معرض الحديث عن المقاصد الشرعية صيغة محافظة. نقرأ أن مقاصد الشريعة حفظ كذا، وحفظ كذا، وحفظ كذا

¹ - أحمد بوعود، مقاصد الشريعة من النظر إلى السلوك، ص 91-92.

² - الشاطبي، الموافقات، ج 4، ص 340.

³ - المرجع نفسه، ص 55.

.. أما نحن فدويلات الجبر التي تبيعنا جملة وتفصيلا للجاهلية لا تعتبرها الأمة بيتها ولا سقفها ولا سلاحها ولا تستمر في العيش المهين تحت وطأتها إلا مكرهة كارهة مستعيذة بالله من الشيطان الرجيم...¹.

ومن خلال ما ذكر يتضح لنا أن مقاصد الشريعة حسب وجهة نظره كانت متحققة عند السلف، ولهذا استعمل العلماء والفقهاء السابقون مصطلح "حفظ مقاصد الشريعة"، مراعاة واستجابة لحاجيات واقعهم، وسعيهم للحفاظ على شيء كان موجودا بالفعل، وهذا ما أشار إليه قائلا: "عبر الإمام الشاطبي رحمه الله عن ذات صدر تلك الأجيال الصالحة بصلاح جمعها لهم الدنيا مع هم الآخرة حينما صاغ فهمه لمقاصد الشريعة مستعملا كلمة "حفظ". كان معهم رحمهم الله شيء يستحق في نظرهم أن يحفظ".²

أما في عصرنا - كما يذكر عبد السلام ياسين - فالظروف تغيرت واختلف الحال منذ قيام دويلات الجبر³، فضاعت الكثير من مقاصد الشريعة وأصبحت مفقودة وغائبة، مما يستوجب إعادة طلبها من جديد، وفي هذا الصدد يقول: "نحن في زماننا نقدر أن ما ضاع منا كثير وأن ما بقي آئل إلى ضياع إن لم ننهض للطلب، طلب الإسلام كله، طلب الإيمان بشعبه، طلب الخلافة على منهاج النبوة، طلب الشورى والعدل والإحسان"⁴، وكانت هذه من أولى وأهم المطالب التي سعى إليها في مشروعه الدعوي.

كما دعا لإعادة النظر في الأوامر الإلهية من زاوية مطلبية لا حفاظية، وضرورة تحقيق هذه المطالب الشرعية بشتى الوسائل المناسبة تربية كانت أو علمية أو مادية جهادية، وإيجاد شريحة من الكيان الجماعي هدفها النهوض بهذه المطالب مراعية في ذلك أولويات ومراحل الطلب حسب مقتضى الزمان، والعراقيل التي تقف عقبة في سبيل تحققها.⁵

1 - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص55.

2 - المرجع نفسه، ص67.

3 - يُنظر: المرجع نفسه، ص55.

4 - المرجع نفسه، ص67.

5 - يُنظر، المرجع نفسه، ص55.

وفي الأخير نشير إلى ما ذكره الدكتور محمد رفيع في كون ما جاء به الشيخ عبد السلام ياسين، قد سبق أن ذكره كبار العلماء أمثال الإمام الغزالي والإمام الجويني وغيرهم، فمثلا الإمام الجويني اقترح التعامل مع واقع الزمان بثنائية الطلب والحفظ: "طلب ما لم يحصل وحفظ ما حصل"¹، وبالتالي فالمقاصد الحاصلة وجب حفظها، والمقاصد الضائعة وجب طلبها.

المطلب الثاني: تصنيف المقاصد وترتيبها عند عبد السلام ياسين

ذكر عبد السلام ياسين تصنيفا للمقاصد الشرعية، وهذا التصنيف مشهور عند العلماء، ويختلف في نقطة رئيسية وهي استبدال المقاصد بصيغة المطالب، وكذلك الأمر بالنسبة للكليات الخمس والتي جاءت هي الأخرى بصيغة الطلب بدل الحفظ.

ومن خلال هذا المطلب سنشير إلى هذه التقسيمات، حسب الفروع التالية:

الفرع الأول: مقاصد دنيوية ومقاصد أخروية

باعتبار العلاقة الترابطية بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، ركز عبد السلام ياسين في كتاباته على الحديث عن الآخرة، وضرورة الجمع بين مقاصد الدنيا ومقاصد الآخرة، مشيرا في العديد من المواضع إلى فضل السابقين، وتميزهم بامتيازهم لهذه الخصلة الفاضلة، يقول في ذلك: "نجد أسلافنا أهل جمع، يحق لنا أن نغبطهم على جمعهم ذاك وانحياشهم إلى الله جل وعلا، ولهجهم بذكره، وانصياعهم للمصير الأخروي، واستحضارهم له. في كل فقرة من كتاب مثل كتاب الشاطبي ذكر لله سبحانه، في كل فصل من فصوله ربط لأشغال الدنيا بأشغال الآخرة، في كل باب اجتهاد كلي لا يفصل أمر الدنيا عن أمر الآخرة هم كانوا أعلى مرصدا، كانت شموليتهم شاملة حقا، جامعة حقا، لأنها لم تضيع الغاية الأبدية جريا وراء الأهداف العابرة الغائبة ولم تسكت عن الآخرة تضخيما لشؤون الدنيا"².

وقوله كذلك: "الدنيا عندهم مبنية على الآخرة، والآخرة محمولة على الدنيا، تضمن الشريعة وتطبيقها

¹ - يُنظر: <https://aljamaa.com>، محمد رفيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين، التاريخ: 21 أكتوبر، 2020.

² يُنظر: مقاصد الشريعة بين الحفظ والطلب، رد محمد رفيع على الريسوني.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص66.

مصالح العباد في شمولية لا تعرف الانقسام"¹.

- يقول أحمد بوعود: "إن الإنسان في هذه الدنيا أمام مقصدين: واحد دنيوي والآخر أخروي، فمقاصد الدنيا يجب أن تخدم مقاصد الآخرة، ومقاصد الدنيا يجب أن لا تخرج عن مقاصد الآخرة، فتقام ضرورات الحياة في خضم العبودية لله²."
- ويوضح الشيخ عبد السلام ياسين أن الشتات والضياع الحقيقي للإنسان يكمن في تركيزه على الأهداف الدنيوية التي يحققها الشرع مع إغفاله الغاية الأخروية³.
- يقول: "الحديث عن الأهداف الدنيوية التي يحققها الشرع مع إغفال الغاية الأخروية تشتت وضياع، بل تحريف للكلم عن موضعه"⁴.

كما يعيب على بعض المحللين الذين ينظرون للأمر من زاوية دنيوية بحتة، ويقول: "التحليل التاريخي الذي لا ينظر إلا بعين واحدة، نظرة عوراء دنيوية غابت عنها الآخرة، يحاكم تاريخ المسلمين إلى شمولية سياسية اجتماعية اقتصادية، يقيس بمعيار المادة في عالم الأسباب والمسببات، وهو عالم تجري أحكامه على الخلق أجمعين. هذا التحليل المادي الناقد يرسم في مقابل الماضي المنقود لوحة لمستقبل إسلامي أفرغ منه ذكر الآخرة وارتباط مصالحها بمصالح الدنيا. فإذا بالنموذج المقترح لمستقبل المسلمين نسخة بليدة من حاضر الحضارة الجاهلية، فيه التنمية والتصنيع، والإنتاج والتوزيع، وفيه "شورى" من نوع ما تشبه الديمقراطية، وعدالة ما تشبه الاشتراكية. وتغطي الألفاظ المسلمة أفكارا مطموسة لما عميت عن الآخرة قلوب الكتاب الحضاريين فطويت الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس وهي غاية عبادته"⁵

إذن: الغاية الأخروية لا تتمثل فقط في تحقيق الجانب العبادي بل تشمل جميع جوانب الحياة السياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... وغيرها.

1

- عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 65.

2

- يُنظر: أحمد بوعود، مقاصد الشريعة بين النظر والسلوك، ص 121-122.

3

- يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 65

4

- المرجع نفسه: ص 65.

5

- المرجع نفسه: ص 65

الفرع الثاني: قصد الله الكوني وقصده الشرعي

ميز عبد السلام ياسين بين قصد الله تعالى الكوني وقصده الشرعي، من خلال تدبره للقرآن الكريم والسنة النبوية، موضحا ذلك في قوله: "ونقف نحن وقفات نطل فيها من إزاء القرآن والسنة... وقفة أولى لنميز بين قصد الله الكوني وقصده الشرعي. قضاء الله جل شأنه قصد سابق في أزله، واقع لاحتمال بقدر. إرادة مدبر حكيم شاء أن تكون الدنيا دار امتحان، أسئلة هذا الامتحان عويصة، الأجوبة عنها من كسبك أنت المخلوق ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾¹. هلك القدرة لما عطلوا القضاء الإلهي، وهلك الجبرية لما أنكروا اختيار العبد، وهلك المرجئة لما لم يرتبوا على الكسب ما رتبته القرآن من جزاء، أما قصد الله تعالى الشرعي فهو أمره ونهيه كما جاء في القرآن والسنة. أمر ونهي تعتريهما أحكام الوجوب والاستحباب، أو الحرمة والكراهية، أو يوسع سبحانه على عباده بالإباحة والعفو، قصدان يلتقيان بحكمة في ملك الله وملكوته"².

الفرع الثالث: قصد المكلف وقصد الشارع

أما الوقفة الثانية التي اهتدى إليها عبد السلام ياسين فتتمثل في قصد المكلف، وما يتعلق بالنية، يقول: "ونقف وقفة لتأمل قصد المكلف، قصده بالنية والتوجه الصادقين أو الفاسدين إلى مولاه خالقه ورازقه يحدد مكانته الأصلية عند الله: إما مسلم مؤمن، أو مشرك كافر، أو منافق يتردى أسفل سافلين. والقصد الثاني يكون بالأعمال الفرعية صالحة أو سيئة. لكل منها جزاؤه، منها ما يوجب سخط الله ولا يخلد مسلم في النار، ومنها ما يقرب إلى الله العلي القدير في درجات الجنة إلى حيث الوجوه الناضرة إلى رها ناظرة. قصد المكلف بالقلب والتصديق، أو الإعراض عنه وتكذيب رسله هذه عقيدة وهي الأصل. وهي معقد السعادة أو الشقاء في الدار الآخرة"³.

ويطرح عبد السلام ياسين تساؤلا حول نقطة الالتقاء بين هذين المقصدين، ويجيب عنها بضرورة مطابقة قصد المكلف (القصد الاعتقادي والقصد العملي) لقصد الشارع ومراده، دون الالتفات للنتائج

1 - سورة النساء 79.

2 - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 61.

3 - المرجع نفسه، ص 62.

القدرية ما دام كان مجتهدا في تحصيل أوامر الله¹.

ويلفت أذهاننا إلى أن محاسبة الفرد في الدار الآخرة أساسه النية، ومدى مطابقتها أعماله للشرع نية وتنفيذا².

الفرع الرابع: تصنيف الكليات الخمس بصفتها مطالب

علمنا فيما سبق أن عبد السلام ياسين صنف المقاصد باعتبارها مطالب، ورفض ترديد عبارات الأجداد المتعلقة بحفظ الكليات الخمس دون وعي وإدراك، وأشارنا فيما سبق أن واقع اليوم مختلف، والدين ليس حاكم سلطانه في بلاد المسلمين، مما جعل عبد السلام ياسين يقر بضرورة الطلب في زمن ضاع فيه ما كان يحفظ بالأمس البعيد³.

يقول عبد السلام ياسين: "إن من سبقونا بإيمان، غفر الله لنا ولهم وألحقنا بهم على سرر متقابلين، رتبوا المقاصد العليا وحصروها في خمسة مقاصد اتفقوا على وجوب الحفاظ عليها حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال. زاد بعض المتأخرين حفظ العرض. لا نفتات على اتفاقهم رحمهم الله ولا ننازع. لكن نرجع إلى تأصيلاتهم ناظرين إليها من إزاء القرآن والسنة، ناظرين إليها أيضا من زاوية واقعنا وظروفنا وما يتاح لنا من طلب كانت أبوابه موصدة في عصور الابتلاء القدري بالعض والجبر"⁴.

ومن جهة أخرى يذكر الشيخ عبد السلام ياسين مدى جدارة المجتهدين السابقين في وضعهم لهذه التقسيمات الشاملة والدقيقة، وذلك في قوله: "ألّفنا في زمننا تقسيمات العصر إلى مجالات منها الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي. وليس تقسيم علمائنا رحمهم الله أقل شمولية ولا أقل جدارة بالاعتبار، ومن الإنصاف المحض أن نحكم بأن تقسيماتهم كانت أوفى وأدق وأحكم لأنها تدخل في معادلاتها الإنسان فتجعله مركز الدائرة، إلى مصلحته في الدنيا والآخرة يرجع كل شيء من أشياء الحياة

1 - يُنظر، عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 63.

2 - يُنظر، المرجع نفسه، ص 74.

3 - يُنظر: المرجع نفسه، ص 70.

4 - المرجع نفسه، ص 75.

وأنظمتها وصناعتها. لا جرم يكون ذلك كذلك وفي مقدمة اهتمام الفقيه الأصولي "حفظ الدين". ومن واجب حفظ الدين، وفي خدمة حفظ الدين، تتفرع واجبات حفظ النفس والعقل، وحفظ النسل والمال".¹

وفي حالة تعارض المقاصد والمطالب فيما بينها، فالشيخ عبد السلام ياسين يوافق رأي الكثير من جمهور العلماء، حيث يرى ضرورة الترجيح فيما بينها، وذلك في معرض قوله: "إن أحكام الشريعة مراتب، وإن للشريعة مقاصد، وإن مصلحة العباد والاجتهاد في تحصيلها علّة تستهدي بالدليل، وأن الأدلة قد تتعارض فيلزم الترجيح، وأن ما شأده سألنا الصالح من قواعد الأصول سنأخذ لا غنى لنا عنه".²

¹ - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 68.

² - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 58.

المبحث الثاني: مصادر معرفة المقاصد من وجهة نظر عبد السلام ياسين

اعتمد عبد السلام ياسين على المصادر الأصلية (القرآن والسنة) واجتهادات العلماء في بناء تصوراته الفكرية والأصولية والدعوية، وفيما يلي توضيح ذلك.

المطلب الأول: القرآن الكريم وعلاقته بفقاه المقاصد عند عبد السلام ياسين

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأساس الأول الذي يجب الاعتماد عليه في تأصيل مختلف القضايا، كما ينبغي جعله القاعدة الرئيسة التي لا بد أن ينطلق منها الداعية لتشكيل الرؤية والتصور المقاصدي لمختلف المسائل الدعوية، فالقرآن الكريم كما قال عبد السلام ياسين: "هو مرجع المتعلم، ومدونة القاضي، ودليل المجتهد، ووثيقة المؤرخ، ودستور الحاكم، وقانون الأخلاق، ومحاسبة الاقتصاد، وضابط العلاقات البشرية، وعقد السلم، وإعلان الحرب"¹، كما يذكر كذلك أن القرآن الكريم هو: "ملاذك ومرجعك ومعين علمك وضابط عملك"².

ومن خلال القرآن الكريم بنى الشيخ عبد السلام ياسين مشروعه الدعوي التجديدي القائم على كليات معيارية تستجيب لمطالب القرآن³، ونظمها في نسق مترابط ومتكامل، كمقصد العدل والإحسان والشورى، حيث أدرك أنها كليات تنتظم تفاصيل الشريعة من جهة، وإجابات كلية عن عمق الأزمة في واقع الأمة من جهة أخرى، فاتخذها معايير قرآنية كلية ثابتة لمراجعة وتقويم تراث الأمة وواقعها⁴.

كما اعتبر القرآن الكريم أداة تحكيم وتقويم ومراجعة للتراث المقاصدي، على ضوءه نفحص اجتهاداتنا، في نشوئها وتسلسلها، وتعاقب أشكالها ومناهجها، وتأثرها بحركة الحياة العامة وتأثيرها فيها، وإقدامها وإحجامها، ونتائج صوابها وخطئها⁵.

ودعا إلى ضرورة امتلاك فقه مجدد وفهم للقرآن الكريم فهما كلياً، يربط فيه الكليات بالجزئيات،

¹ - عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، 2009م/1430هـ، ص160-161.

² - عبد السلام ياسين، رسالة إلى الطالب والطالبة، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م، ص36.

³ - يُنظر: Yassine.net، محماد رفيع، معالم التجديد العلمي، التاريخ: 13 ديسمبر، 2013.

⁴ - يُنظر: <https://aljamaa.com>، محماد رفيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين.

⁵ - يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص33.

ويربط الظاهر بالباطن، والمنطوق بالمفهوم، والأصول بالفروع... وغير ذلك، ويسمي هذا الفقه بالفقه الجامع النابع من الرؤية الكلية الشمولية للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول في ذلك: "لابد لنا من فقه مجدد نابع من الأصول القرآنية النبوية الراشدية لنعرف موقع أقدامنا في بناء دولة القرآن على نمط يستفيد من تجارب الأمم في تنظيم الدولة الحديثة المتعددة الوظائف، وينطلق من الدين لا من الموروث المحبوث ولا من فلسفة الغير، وتحتكم تعددية الدعوة إلى أمر الله بالولاية والأخوة بين المؤمنين، كما تحتكم تعددية غيرنا إلى الديمقراطية، وقيم العدل في المجتمع المسلم ثم في الأرض كافة"¹.

ومن هنا، فإن الاحتكام للقرآن يمنح القدرة على الاستنباط والنظر والتبصر في المعارف والعوالم والأطر المرجعية للقيم، ويجندها لنصرة الدين ورفع لوائه²، كما أنه يمكن من مسألة مهمة ألا وهي التمييز بمعيار القرآن الكريم بين ما هو من أصيل الدين وما هو من دخيله كالتراث الفقهي التاريخي، الذي فيه ما لا بد أن نقبله ونعمل به، وما لم يعد مناسباً لكونه بني على زمن وظروف مختلفة، كما وضح الشيخ عبد السلام ياسين أن مسألة التحكيم القرآني تقوم على شرطين أساسيين، وهما: التحرر أولاً من عائق الكفر، والتحرر ثانياً من سلطان التقليد³.

¹ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م، ج 2، ص135.

² - يُنظر: المؤتمر الدولي للأبحاث والدراسات التربوية والعلمية والمعهد الأوروبي للعلوم الإسلامية، كتاب أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول، مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين، ص13.

³ - يُنظر: <https://aljamaa.com>، محمد رفيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين.

المطلب الثاني: السنة النبوية وعلاقتها بفقهاء المقاصد عند عبد السلام ياسين

يعتمد الشيخ عبد السلام ياسين على السنة النبوية الشريفة في الفقه المقاصدي باعتباره المصدر الأساس الثاني للتشريع الإسلامي، فالاعتصام بالسنة النبوية المطهرة واجب لا يمكن إنكاره، ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾¹ ، وقوله أيضا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾² .

ويذكر عبد السلام ياسين أن هذه المحبة ليست قلبية فقط بل تشمل العمل بما جاء به الرسول الكريم في المجالات المتعددة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يلزم هذا الاتباع تبصر بفقهاء سنة رسول الله ﷺ وفقه واقعا وفقه مهمتنا التي تنتظرنا³ .

كما أوضح عبد السلام ياسين أن الدين الإسلامي قائم على الشرعة وهي ما جاء به القرآن، والمنهاج وهو ما جاءت به السنة، كما فسر ذلك حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وبالتالي يكون المنهاج التطبيق العملي المفصل المنظم المتدرج للشرعة، وإنزالها على أحداث التاريخ في الإطار الزمني والمكاني والاجتماعي الاقتصادي السياسي المتغير المتطور، الذي تمثل السيرة النبوية نموذجا حيا قابلا للتجدد في روحه وإن تنوع الشكل، فما كان تعبدا من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته ثوابت لا يجوز عليها التحويل. وما كان منها سلوكا سياسيا ومعالجة لحياة الناس وسياسة للمال والجهاد دخل في حيز الصناعة التي تستقي الحكمة من معين الوحي والنبوة، والحكمة العملية من خبرة التاريخ⁴ .

وتفيد السنة النبوية كما يرى عبد السلام ياسين إما إفادة في التذكير بموعد النبي ﷺ بعودة الخلافة على منهاج النبوة، وهذا ما يشكل دافعا وحافزا للسعي لإقامة الخلافة الموعودة، يقول عبد السلام ياسين:

¹ - سورة الأنفال 20.

² - سورة آل عمران 31.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين: كيف نجدد إيماننا؟ كيف ننصح الله ورسوله؟، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م، ص34.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين: محنة العقل المسلم، ط1، مؤسسة التغليف والطباعة والتوزيع للشمال، طنجة، 1994م، ص31/ عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ص25-26.

"على ماذا تدلنا السنة النبوية، وهي الركن الركين الذي لا تُنقض قواعدها إن أسسناها عليه؟ ... يدلنا¹
قبل كل شيء على الصبر الطويل لبناء الأمة، لإعادة بنائها على المنهاج النبوي وإقامة الخلافة الموعودة"².
وتدخل كلمة منهاج لتؤدي وظيفتها الحركية، إذ تربط تاريخ انبعاث الأمة بعد أطوار الخلافة الراشدة
الأولى، فالملك العاض، فالملك الجبري، باتباع المنهاج النبوي³.

ومن هنا نجد الإمام المجدد عبد السلام ياسين يعتمد على السنة النبوية الشريفة في توضيح معاني
القرآن وبيانه، وفي تصويب ما يحتاج إلى تصويب من الأفكار والمواقف، ومن المعاني والدلالات، وفي بناء
الأحكام الكلية التي غفل عنها الأئمة وتاهوا عن إثباتها في ظل حكم عاض وجبري⁴.

¹ - يدلنا: يتحدث هنا عن القرآن الكريم والسنة النبوية.

² - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 614.

³ - عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ص 27.

⁴ - الحسن السلاسي، الجهاز المفهومي في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين، د.ط، مؤسسة الإمام عبد السلام ياسين،
د.ب، د.س، ص 24.

المطلب الثالث: فقه التاريخ وعلاقته بفقه المقاصد عند عبد السلام ياسين

يشكل الوعي التاريخي أهمية بالغة حسب وجهة نظر الشيخ عبد السلام ياسين، وذلك لمدى الترابط الوثيق بينه وبين فقه الدين عامة، وبينه وبين فقه المقاصد خاصة، ذلك أن فقه التاريخ يساعد في فهم السياق التاريخي لتشكيل المعرفة الدينية، والذي من خلاله تتضح الكثير من مجريات التاريخ الإسلامي وأنساق التفكير والبيئة

المكانية والزمانية وطبيعة المجتمع التي تم من خلالها تنظير العلماء لفقه المقاصد، كما تساهم في معرفة الاكراهات والقيود التي فرضت على العلماء الدينيين منذ نهاية زمن الخلافة الراشدة وبداية الملك الجبري العاض والتي أثرت بشكل كبير في الكثير من القضايا والمسائل الدينية، وبالتالي فإن عملية فحص وتقويم التراث الإسلامي تطرح الكثير من الخرافات والأباطيل المنسوبة للدين، يقول الدكتور إدريس مقبول: "والوعي التاريخي في نظر المنهاج هو وحده الكفيل بطرح كل المفاهيم والخرافات والأساطير التي أسسها الحكم المستبد لإحكام قبضته على الرقاب والعقول"¹.

يقول عبد السلام ياسين: "أغلقوا باب الاجتهاد زمن الانحطاط الذي مرت به هذه الأمة، زاعمين أن أدوات الاجتهاد غير ميسورة بعد القرن الفلاني. ووقف المسلمون موقف العاجز اليائس لا يجرؤ أحد إلا على الاقتداء بمجتهد سبق. وبهذه الكيفية يحكم كل جيل منحط بمقاييس الأجيال الغابرة المنحطة هي أيضا بالنسبة للنموذج العالي نموذج الرسول وصحبه"².

وبناء على هذا الاستيعاب قام ياسين بمراجعة التراث العلمي الإسلامي مراجعة تجديدية فاحصة قاصدة، التزم فيها منهجا وسطا بين الغالين المقدسين لهذا التراث وبين المنتحلين المسفهين له، فكان للرجل وفتات عميقة مع مختلف معارف التراث في غاية العدل وتمام الإحسان، حيث راجع هذا التراث في سياقه التاريخي الذي أنتج فيه إنصافا له وتمييزا بين ما فيه من مقاصد ثابتة مستمرة ووسائل نسبية متغيرة، فلم يكن ممن ينظر للمسائل العلمية بعيدا عن واقع الأمة ومستقبلها، بل ظل وفيا لمنهج القائم على تقويم

¹ - إدريس مقبول، سؤال المعنى في فكر عبد السلام ياسين، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014م، ص160.

² - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1973م، ص89.

واقع الأمة وتاريخها بمقاصد الوحي كتابا وسنة¹.

إن فقه الدين بما هو فقه للحياة وتمثيل لدرجة الاستيعاب والوعي بالحياة في جميع تفاصيلها وأطوارها التي يشملها الدين ويستوعبها إذا انحرف فإن انحرافه في الشق المفهومي المتصل بالزمن مبني على انحراف فقه التاريخ الذي يفترض في منظار القرآن أن يكون مؤسسا على قواعد شرعية وسننية في فهم أحوال الناس وما يجري بينهم حال اجتماعهم منشطا ومكرها، كما أن فقه الدين بما هو معارف متناهية عن اللامتناهي والمطلق لا ينفصل عن تاريخه حين نرغب في فهمه كما يقرر بيكون إذ المعارف كالأهرامات وقاعدتها التاريخ، والتاريخ والدين لشدة الاتصال والتلازم بينهما فكلاهما يتكلم أو يجيب حين يسكت كل ما عداهما كما يعبر أندري مالرو².

إن الفهم التاريخي يفيد أيما إفادة في العملية الاجتهادية، بينما سوء الفهم يجعل التاريخ واسطة وحجابا بيننا وبين القرآن، وإن سوء قراءة التاريخ والنظرة التقديسية لأحداثه سيعيق كل سعي لإعادة البناء والتغيير في الواقع الراهن³.

يقول عبد السلام ياسين: "الإسلام كلمة إيجابية من عند الله بلغها للإنسان رسول الله. بيد أن قراءتنا لكلمة الله في كتابه المنزل دون قراءة كلماته في العالم وتاريخ الإنسان، وفلسفات المستكبرين في الأرض من بني الإنسان، تكون قراءة منطوية مبتورة. تعجز عن الفهم فتعنف، أو تعجز عن العمل فتتهم العالم وكلام سكان العالم بأنه عين الباطل، وتاريخ الإنسان بأنه جيد الزمان العاقل"⁴.

إن القراءة التاريخية عند عبد السلام ياسين لا تفصل بين النظرة القرآنية والنبوية، ويوضح ذلك إدريس مقبول بقوله: "وجدنا في دراستنا لفكر وفلسفة الأستاذ عبد السلام ياسين خير نموذج معرفي للتفكيك والتركيب المطلوبين لهذه العلاقة بما يوضح روح القرآن الكريم في تفسيرها لعلاقة الإنسان بالفعل والزمن

1 - <https://aljamaa.com>، محمد رفيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين.

2 - إدريس مقبول، سؤال المعنى في فكر عبد السلام ياسين، ص 144.

3 - يُنظر: yassine.org، ندوة التغيير في نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله، أحمد الزقاني، التغيير: مفهومه ومرجعياته، التاريخ: 13 ديسمبر، 2014.

4 - عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م، ص 168.

والأثر والغاية والنتيجة"¹.

ومن هنا نجد أن الرؤية التاريخية الواعية تشكل استيعابا كلياً في فهم الأسباب والعوامل التي ساهمت في بناء مختلف الأحكام والمواقف والقضايا الدينية المراعية لمعطيات الواقع آنذاك، كما أن فقه التاريخ لا يمكن تجاهله بتاتا لأنه يفيد في معرفة بعض الخبايا والمساوئ التاريخية التي وقع فيها بعض علماء البلاط التابعين للملوك والسلاطين في ظل الحكم العاض والجبري، والذين لعبوا دوراً كبيراً في تحريف بعض المسائل الدينية، فلزم مراجعتها وإعادة غربلتها.

المطلب الرابع: فقه الواقع وعلاقته بفقه المقاصد عند عبد السلام ياسين

إن فقه المقاصد في الدعوة الإسلامية يستوجب الإحاطة بالفهم الشامل والدقيق لمتغيرات وملازمات الزمان والمكان والأحوال، ولا يمكن تغييب فقه الواقع والجهل به لأنه يعتبر أساساً وعاملاً مهماً في جعل الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

ومحاولة الربط الوثيق بين الأصل والعصر - كما يشير الشيخ عصام البشير - ليس بالعمل الهين بل يحتاج لجهد دؤوب وذهن متقد حتى يتمكن الداعية من تحقيق معادلة مستقرة لا تهر الثوابت للتغيير ولا تجمد الحياة وتوقف تجددتها.²

وفي هذا المضمار نجد أن الشيخ عبد السلام ياسين اعتمد في مشروعه الدعوي على نوعين من المعارف: معارف الوحي تأصيلاً، ومعارف الواقع تنزيلاً، فعالج الواقع بمعيار القرآن، وفسر القضايا وفق سياقها الذي اقتضاها، وراعى حال الزمان المعاصر وأهله في تلمس أوجه المصلحة، والأخذ بأصل التدرج في تغيير الواقع ومعالجة إشكالاته، وكان منهجه جامعاً بين فقه الواقع وفقه المقاصد.³

يقول عبد السلام ياسين: "ننظر في فقه أئمتنا وعلمائنا نستأنس به لكي ننتقل في فهمنا نحن، فإن فهم الذين سبقونا بالإيمان فقه نافع لا شك، لكن إن نحن عرفنا كيف نستفيد منه، إن نحن أضفنا إلى

¹ - إدريس مقبول، سؤال المعنى في فكر عبد السلام ياسين، ص 140

² - ar.islamway.net، موقع طريق الإسلام، عصام البشير، حول فقه الواقع، التاريخ: 2019/7/2م.

³ - يُنظر: <https://palscholars.org/>، موقع هيئة علماء فلسطين، محماد رفيع، معالم فقه الواقع في مشروع نظرية المنهاج النبوي لعبد السلام ياسين، التاريخ: 7 أوت، 2020.

فقههم، الواقف في زمنهم، المظروف بطروفهم، المتأثر ببيئتهم. يجب أن لا نقف متحجرين عند هذا الفقه فلن نتقدم إن فعلنا خطوة واحدة للأمام. لا بد أن نستفيد من فقه من سبقونا بإيمان لكي نضيف إليه فقهنا نحن، خاصة فقهنا للواقع، لأن تجديد الدين لا يكون في الهواء، بل يكون في الواقع¹.

إن إعادة النظر في اجتهادات القدماء بموجب تغيير الاعتبارات والخلفيات والمعطيات المحيطة بالنازلة لا يعني الخروج عن النص والمس بقدسيته ولا يعني كذلك تخطي أصول وثوابت النص الشرعي وإنما هو مراعاة لمناط الحكم².

يقول عبد السلام ياسين: "لكي يسمع العالم كلمة الله، ولكي تكون على الأرض كلها كلمة الله هي العليا. لا بد لنا إذن بعد التبصر وبعد النظر في فقه من سبقونا بإيمان، أن نفهم عن الله مباشرة. إذا كان الإنسان لا يملك أدوات الاجتهاد فإنه لا يستطيع أن يبصر في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ مناط التكليف، فيطبق ما أمر به على الواقع. إذا كان الإنسان لا يملك هذا ولا يملك أن يجتهد في هذا فهو يقلد"³.

لا سبيل إلى فقه واقع الأمة بغير التمكّن من مكونات الوضع الموضوع، والتتبع الأفقي والعمودي لما يجري في الظرف المعيش ويتفاعل في المجال المحيط. ولا جرم أن هذا العبء ضخّم، وأن التخطيط له يحتاج إلى صفوة من أولي العزم. فقه الواقع ضروري لأي تخطيط، وإلا ضاع الهدف لعدم تحديد المنطلق. وفقه الواقع ضروري لأي تشريع أو تنزيل، وإلا وُضع الشيء في غير موضعه، ووسد الأمر إلى غير أهله. وما بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام في أقوامهم، إلا مراعاة لفقه الواقع، وما تطور تنزيل الدين عبر التاريخ، إلا مراعاة لتطور الواقع⁴.

1 - عبد السلام ياسين، كيف نجدد إيماننا؟ كيف ننصح الله ورسوله؟، ص 24.

2 - محمد بنعمر، من الاجتهاد في النص إلى الاجتهاد في الواقع (نحو مساهمة في تأصيل فقه الواقع)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ص 77.

3 - عبد السلام ياسين، كيف نجدد إيماننا؟ كيف ننصح الله ورسوله؟، ص 25.

4 - ينظر: <https://www.quranicthought.com>، الشاهد البوشيخي، فقه واقع الأمة.. دراسة في المفهوم والشروط، التاريخ: 25 نوفمبر، 2020، ص 1، 8.

يقول عبد السلام ياسين: "إن شرع الله أينما كانت مصلحة المسلمين. ومن لا يعرف واقع المسلمين ومنابع الفتنة في تاريخه، وحاضرهم في العالم وحضورهم، وطبيعة الصراع الدائر بين الإسلام والصلبية اليهودية، لا يستطيع أن ينزل شرع الله على واقع"¹.

ومن هنا نجد أن تشخيص الواقع ضروري عند عبد السلام ياسين ولا سبيل لمراعاة فقه المقاصد إلا إذا استوعبنا السياق التاريخي واستوعبنا الواقع المكاني والزمني، واستوعبنا حاجات العصر ومتطلباته، منطلقين من تصور شامل ورؤية كلية وفقه عميق للوحي، وفي هذا المعنى يقول عبد السلام ياسين: "نرجع إلى تأصيلاتهم ناظرين إليها من إزاء القرآن والسنة، ناظرين إليها أيضا من زاوية واقعنا وظروفنا"².

"فالوحي يقدم التصور العام الشامل عن كل من الكون والإنسان والحياة، أما تفاصيل الأمور ودقائقها، فمتروك للإنسان اكتشافها ومعرفتها من خلال اتصاله بهذه العناصر وإقباله عليها، وباستفراغ جهده ووسعه وتوظيف حواسه وقدراته المعرفية في الإحاطة بها"³.

¹ - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج1، ص64.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 109.

³ - <https://www.arrabita.ma>، نعيمة لبدوي، مفهوم القراءة في القرآن الكريم، التاريخ: 2011/11/23.

المبحث الثالث: الداعية ودوره في تحقيق مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

يعتبر عبد السلام ياسين قضية المقاصد والأهداف من بين الركائز الرئيسية التي يقوم عليها العمل الدعوي المعاصر، فالعمل العشوائي غير المبني على تصورات وأهداف واضحة وخطط محكمة يعيق العمل الدعوي المعاصر.

إن مهمة الدعوة إنشاء حياة إسلامية وتشبيد أركان الدين، مهمة الدعوة أن تخدم المطالب الدينية والدينيوية من جانبي الوجود والعدم، مهمة الدعوة ترشيد وتوجيه الدولة¹، مهمة الدعوة تعزيز الصف الواحد، شرطها الإخلاص والعمل الدؤوب، وواجبها السعي إلى التقرب من الله، مهمة شريفة من أعلى شعب الإيمان ومن أسبق سابقات الجهاد، مطمح عال يجمع بين الذكر الدائم لله وتبليغ رحمة الإيمان².

مقاصد العمل الدعوي عند عبد السلام ياسين شاملة لمختلف الجوانب: سياسية واجتماعية، اقتصادية، جهادية، علمية وتربوية.

وقد قسمت هذا المبحث إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

المطلب الثاني: دور الداعية في تحقيق مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص84.

² - يُنظر: <https://yassine.net>، هيئة التحرير، من رسائل الإمام .. الدعوة إلى الله، التاريخ: 25 يوليو، 2016.

المطلب الأول: مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

إن الحديث عن مقاصد الإسلام ومقاصد الدعوة أخذ حيزا واسعا واهتماما بالغيا في فكر الشيخ عبد السلام ياسين، ويدل على ذلك ما جاء في خضم كلامه عن الإسلام: "إنه بعث لروح جديد، إنه رسالة يحملها المسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لا يرد على تحدي الجاهلية فقط، بل يرمي إلى هداية الخلق وتحرير الإنسان. هذه حقيقة تاريخية ولا ريب، وليس يزيدنا الإلحاح عليها معرفة بالإسلام، بالإسلام الحق الذي يكون حياة على الأرض قبل أن يكون حياة في الروح، ويزيدنا الإلحاح عليها فهما لمقاصد الإسلام ووسائل العمل الإسلامي"¹.

أشرنا فيما سبق لتصورات الشيخ عبد السلام ياسين حول موضوع "المقاصد" واستبداله بصيغة "المطالب"، ووضحنا أن العوامل التاريخية دعت إلى الحفاظ على مقاصد كانت موجودة فعلا، أما في الوقت الراهن فالأمر مختلف تماما، وأصبحت قضية طلب الشريعة أمرا إلزاميا في زمن غابت وفقد فيه ما كان بالأمر "يحفظ".

ومن بين المطالب المفقودة التي حرص عبد السلام ياسين على طلبها في العمل الدعوي المعاصر، ما يلي:

(طلب الإسلام كله، طلب الإيمان وشعبه، طلب الخلافة على منهاج النبوة، طلب العدل والشورى، طلب الإحسان، طلب تحقيق العبودية لله)، وغير ذلك من المطالب.

يقول في ذلك: "نحن في زماننا نقدر أن ما ضاع منا كثير وأن ما بقي آتلا إلى ضياع إن لم ننهض للطلب: طلب الإسلام كله، طلب الإيمان بشعبه، طلب الخلافة على منهاج النبوة، طلب الشورى والعدل والإحسان... ولنتبع تقسيمهم لمقاصد الشريعة لنكتشف في كل موقع دعوا إلى حفظه مضيعة يجب علينا طلبها ولينتفح لنا باب الفهم لمطالب أخرى لم تخطر لهم على بال لأنها في نظرهم كانت حاصلة، منها توحيد الأمة مثلا"².

¹ - عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ص 12.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 67-68.

وحتى تتحقق هذه المطالب في العمل الدعوي المعاصر يشترط عبد السلام ياسين وجود الداعي إلى الله الوارث الصادق، إذ أن إقامة هذه المطالب يكمن في اتباع طريق النبوة الممتدة في هذه الأمة في شخص الداعية الصادق، وحتى يكون الداعية فاعلا في أمته لا بد أن يكون نموذجا مشرقا¹، ولا يمكن للداعية أن يكون نموذجا مشرقا إلا إذا أشرق قلبه واكتمل بنور الإسلام والإيمان والإحسان.

يقول عبد السلام ياسين: "إن ميراث رسول الله ﷺ والنبئين حق مقسم لك منه نصيب إن تعرضت. وما تتعرض لعبادتك وحدها وعلمك إلا لمقام الإسلام والإيمان، أما الإحسان فاطلبه عند داع إلى الله صاحب بصيرة. فمن هذا الداعي ومنك نفسك يبدأ بعث الإسلام. فإن كان الداعي وارث نبوة ذلك على خلاصك الفردي وأوصلك إلى مقام الرجال وإن كان وارث رسالة ونبوة معا أهاب بك إلى الرباط لتجاهد في سبيل الله وتموت موة معنوية تحرك لتكون في الدنيا حامل رسالة رسولك ﷺ، ولتكون في الآخرة عند ربك في مقعد الصدق بعد أن تقربت إليه في الدنيا بالفرض والنفل حتى أحبك، فكان سمعك وبصرك، ويدك ورجلك. وما يدلك دعاة الإسلام إلا على عمل هل يوصلك إلى غاية حتى؟ لأن من ليس داعيا إلى الله على بصيرة وورثة لا يعرف محبة الله لعبده وكمال العبد بالسلوك إلى سيده والعبودية بين يديه. لا يعرف ذلك ولو كان يدعو لفرض ونفل مع دعوته لإسلامه الفكري. ولن يتم بعث الإسلام إلا باكتمال الدعوة إسلاما وإيمانا وإحسانا"².

كذلك يقر عبد السلام ياسين أن إقامة هذه المطالب يحتاج إلى وسائل تحقق الهدف، ويدل على ذلك ما عرضه في قوله: "وعن هذا نبحت: وسائل العمل الإسلامي، مقاصد الدعوة الإسلامية... كل مسلم قرأ ولو قليلا عن الإسلام يعرف سمو المقاصد الإسلامية، لكن الذي لا يعرفه اليوم حتى علماء المسلمين ومفكروهم هو وسائل العمل الإسلامي الذي يكفيننا الشرف الذي دفعنا فيه، ويضمن لنا النهضة التي ننشدها"³.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ص24.

² - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص788-789.

³ - عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ص12-13.

وبالنظر إلى تجارب الحركات الإسلامية وما أسفرت عنه من اجتهادات ونجاحات واخفاقات، ركز الشيخ على مسائل جوهرية في تفعيد الحركة الإسلامية، معتمدا على السيرة العملية والتطبيقية التي اتبعها الرسول ﷺ أثناء قيامه بتأسيس الأمة الإسلامية، ويعتبر كتاب "المنهاج النبوي"، وتأسيس الجماعة هو التجسيد الفعلي للتجديد في المجال الحركي¹.

لقد بنى عبد السلام ياسين مشروعه الدعوي على رؤية "إيمانية تحريرية شاملة، فاحصة ومتكاملة وأصيلة للدين والإنسان والتاريخ والتراث والحضارة المعاصرة، وتغطي مجالات التربية والتنظيم والعلم والمعرفة، في أفق تحقيق التغيير والنهوض والبناء، كما تستشرف مستقبل الأمة نحو الأفضل بكل يقين وإرادة"².

يقول عبد السلام ياسين: "ما حديثنا عن مقاصد الشريعة، وعن الطلب والمطالب، وعن العدل والشورى، وعن الأهداف الدنيوية، وعن الغاية الأخروية إلا أحلام طائشة إن لم يشتد قلب الأمة باشتداد قلوب المؤمنين على عزمة إيمانية وإرادة إحسانية تنهد أمامها العقبات وتفتتح أبواب الأرض والسموات"³.

وقد طرح عبد السلام ياسين عدة تساؤلات، محاولا البحث عن إجابة لها، ومن بين هذه الأسئلة: ما هو هدف العمل الإسلامي ووسائله؟ أبناء الحضارة المادية، فنكسب التنظيم الاجتماعي والمادي؟ ما يطلب كسب التكنولوجيا والتقنية. أم أن هذا الظل المظل من عمل الإسلام في عهد الصحابة فلتة لن تتكرر؟⁴

ويجيب عن ذلك قائلا: "لا يمكن الفصل بين العمل على كسب العلم التكنولوجي والتربية والتزكية في عمل الإسلام المنبعث. العمل الإسلامي سعي لبناء حضارة تخدم قيمة الإنسان وغايته الإحسانية، فلا يتترف

¹ - يُنظر: <https://yassine.net>، هيئة التحرير، الإمام مُفَكَّرًا .. حوار مع الدكتور عبد الصمد الرضى، التاريخ: 10 ديسمبر، 2013.

² - <https://yassine.net>، محمد حمداوي، مفهوم التجديد عند الأستاذ عبد السلام ياسين، فلسفته، أصوله ومجالاته، التاريخ: 13 ديسمبر، 2013.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص26.

⁴ - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص95.

في عالم الكم ناسيا تركية نفسه ليلقى الله وهو راضٍ ويخلد في قرب ربه في الجنة" ¹.

من أين نبدأ؟ بل من يبدأ ومن يعمل؟ ²

ويجيب عن ذلك بقوله: "نبدأ العمل الإسلامي بدعوة عامة؛ باستصلاح كل القوى في دار الإسلام إن قبلت التوبة والعمل لبناء الإسلام. ويتبلور هذا العقد مع الله تعالى بالمبايعة العامة للقائد المجاهد، ويتوبوا إلى ربهم، وأن يطيعوه بطاعة الله ورسوله. هذا هو الهدف الإسلامي العام في بدء العمل الإسلامي" ³.

كيف نتعلم إسلامنا وفي أي اتجاه؟ كيف نفهم الوسط الذي نعيش فيه؟ وكيف نتصرف تجاه فتنة الدنيا وفتنة العنف؟ ومن أين نبدأ ومن يبدأ؟ وإلى أين نسير ولم نسير؟ وكيف نتقل من عالم الكم لحياة الكيف ومن الفتنة الجاهلية إلى الإسلام؟ وما هي بنية الجماعة وربطها ومراتب الإسلام والإيمان والإحسان؟ ⁴.

كيف نخرج بالمسلم من إسلامه الفردي ليصبح عضوا في جماعة المسلمين؟

كيف نحرر المسلم وكيف نعبي جماعة المسلمين ليصبحوا حملة الرسالة؟ ⁵

ويراد بالتعبئة حسب منظوره: تربية الفرد تربية إسلامية ليصبح عضوا في جماعة المسلمين وملتزما بعمل الجماعة على نسق المنهاج الإسلامي، ليكون فيما بعد مؤهلا للدعوة وحاملا للرسالة، وقد عبر عن ذلك بقوله: "عندما نبحت عن تعبئة إسلامية نقصد تربية إسلامية والتزاما من الفرد لعمل الجماعة على نسق المنهاج الإسلامي الذي لا يعرف العنف، وليس على غرار العمل الجاهلي المؤسس على العنف" ⁶.

1 - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص96.

2 - المرجع نفسه، ص97.

3 - المرجع نفسه، ص97-98.

4 - المرجع نفسه، ص88.

5 - عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ص14.

6 - المرجع نفسه، ص14-15.

هذه التربية الإيمانية تسعى لتحرير الإنسان والارتقاء به روحيا وفكريا وسلوكيا وحضاريا، تربية مبنية على العمق المعرفي والعملية.

التزام الفرد في ميدان العمل الدعوي الجهادي التنظيمي يكون مبنيا على السلمية لا على العنف، ومبنيا على العمل الأعمق في التأثير: "تغيير المفاهيم" و"تحويل القلوب" و"إبدال ضعف الأمة قوة وشتاتها جمعا"، وهذه المهمة لا يمكنها أن تتحقق إلا بشائية الدعوة الصادقة والقيادة الجهادية¹.

المطلب الثاني: دور الداعية في تحقيق مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين

إن الداعية في فكر عبد السلام ياسين هو الركن الأساس في العمل الدعوي المعاصر، فهو حامل رسالة التبليغ وهو حامل لمطالب الدعوة، ولذلك اقتضى ضرورة إعداده وتأهيله جيدا من أجل القيام بهذه المهمة العظيمة والشريفة، فالرسالة العظيمة تحتاج إلى دعاة عظام.

ولكي يكون الدعاة "جند الله" مؤهلين يجب أن يتم تربيتهم معرفيا وسلوكيا وجهاديا وتنظيميا، وذلك من أجل حمل مطالب الدعوة وتحمل أعباء الطريق، يقول: "جند الله لا ينشأون نشأة عفوية على أخلاق الرجال وإيمان الرجال وعزائم الرجال وعبودية الرجال لله عز وجل. إنما تؤلفهم التربية، ويؤلفهم التنظيم، ويجمعهم ويوحدهم آصرة الإحسان... تربية جند الله وتأليفهم مقدمة لكل عمل جهادي ينبري للعظام"²، هذه التربية تكون مع الحق والصواب لا مع الهوى والتعصب³.

جند الله لا يكفي أن يكونوا مسلمين بل لا بد من استكمال إيمانهم والترقي إلى مرتبة الإحسان، وبدونه ترتخي صلة العبد بالله عز وجل.

يجب أن يربى جند الله على حضور القلب ولزوم باب العبودية، امثالاً لأمر الله عز وجل، فيكون

ذاكرا ومناجيا، قائما بين يدي ربه، هذا القيام هو لب القومة ومغزاها وروحها⁴.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ص 35

² - عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ص 43.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 22.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 38-39-40.

يقول عبد السلام ياسين: "إن تحقيق العبودية لله عز وجل، والتحرر الكلي من سلطان الهوى هو الشرط الأول الضروري لتأهيل الفرد المؤمن للانخراط في صف جند الله. وإن جند الله لا يكون جندا لله إلا إن سلمت القلوبُ فصلحت لتكون وعاء لرحمة الله عز وجل الجامعة المؤلفة"¹.

إن وراثته الأنبياء هي وراثته لمقامات الإحسان، وهو اختصاص إلهي لا يدخل كسب العبد فيه إلا من حيث كون التحصيل العلمي الضروري والتربية يهيئان للدخول على باب دخل منه إلى حضرة القلب من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

يجب على جند الله أن يناجوا ربهم في الصلاة وفي أوقات الذكر مع إحيات القلب والتدلل، واستكثار قول لا إله إلا الله أعلى شعب الإيمان.²

قال تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾³.

إن مهمة جند الله المنظمين تتمثل في: الجهاد التربوي والتنظيمي والميداني والمالي والقتالي والسياسي حتى تقوم دولة الإسلام الخليفة على منهاج النبوة.

هذا الاقتحام يختلف عن اقتحام عقبة الفرد المؤمن، المتمثلة في جهاد النفس كي تستقيم على طاعة الله، والجهاد مع المؤمنين المتواصين الصابرين المتراحمين لإقامة دين الله في الأرض.

مهمات جند الله بدءاً من أسفل العقبة، وهو واقعنا كأمة متخلفة مقهورة، وانتهاءً إلى قمة العقبة بإقامة الأمة الوارثة في مقام الخلافة عن الله ورسوله، هي بالترتيب الذي لا يمنع التداخل والتزامن متى كانا حكمة، هذه المهمات باختصار وإجمال هي:

● تأليف جماعة المسلمين القطرية وتربية رجالها وتنظيمهم

● إقامة الدولة الإسلامية القطرية

¹ - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 63.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص 38-39-40.

³ - سورة النور 37.

● توحيد الأقطار الإسلامية

● الخلافة الوارثة

وفي كل مرحلة من مراحل الزحف إلى الحكم، ومن مراحل البناء تربية وتنظيمًا ودولة، ينبغي أن يمتاز جند الله بالفقه والفهم العميق لوظائفهم ومهامهم المستقبلية، فيستعدوا لها ويتهيؤوا ويتحركوا في يومهم بما لا يعرقل حركة غدهم.

هذه المهمات مسؤولية عظيمة وجبارة في ظل الأوضاع المزرية التي تعاني منها الدول الإسلامية: تفكك الشعوب، التخلف الاقتصادي والعلمي والعسكري والحضاري.

هذه المشاكل العظيمة تحتاج جيلا مؤمنا من نوع جديد من الرجال، وتريد جماعة عضوية متماسكة بالإيمان، قوية بالخبرة والأمانة على البلوغ بركب الدعوة والدولة الإسلاميين، بالمنهاج النبوي، إلى الهدف المنشود.

وتريد كتائب منظمة، تريد الضبط، تريد الفهم الواضح لعقبة السير، تريد فهما لأمر الله ورسوله، وفقها للعالم ونواميسه وما يضطرب فيه من قوى معادية للإسلام أو مستعدة لمسالته، وتريد رجالا أحرارا من طاغوت الهوى وطاغوت الناس، عبادا لله، يربون تربية المؤمن المسؤول أمام الله والناس.

إن نجاح القومة الإسلامية في القطر والعالم مرهون بنوعية تربية عضو جماعة المسلمين المجاهد إذا كان في مستوى الإيمان والإحسان هو لبنة البناء.

وشروط القومة، بعد قوة إيمان المؤمن، تتلخص في:

1- إحكام التنظيم على شريعة الله

2- المحبة بين المؤمنين

3- الشورى

4- التناصح

5- الطاعة

وتتلخص في القدرة الجماعية على التفاعل مع الظروف الداخلية والخارجية، قدرة تريد علما، ووسائل، وتخطيطيا، ومرونة.¹

إن الدعوة إلى الله "جند الله" متميزون في المراتب، كلما زادت فضائلهم وفعاليتهم، وكلما ترقوا في شعب الإيمان وجمعوا الخصال العشر، كلما علت وارتفعت منزلتهم ومكانتهم في التنظيم، يقول عبد السلام ياسين: "نرى أن الإكثار من المراتب أمر لا حاجة إليه، كما أنه لا حاجة إلى رتب أصلا لولا ضرورة أن يعرف كل مؤمن مكان رباطه ومستوى مسؤولياته في الهيكل التنظيمي والتنفيذي. فابتداء من إسلام عام، من مجتمع لا مقاييس إسلامية فيه، نربي ونمتحن من كان قابلا للتربية ومن يقترح نفسه حتى نأنس أنه أصبح نصيرا للدعوة فنسميه عضوا نصيرا، فإذا زاد على المشاركة الناصرة وحصل على مجموع جيد من الفضائل العلمية العملية الخلقية التنفيذية سمناه عضوا مهاجرا، استثناسا وتفاوتا لبهذين اللقبين الكريمين عند الله. ثم بعد النصر والهجرة لا بد من مؤمنين ممتازين بإحسانهم وكفاءتهم التربوية، نسميهم نقباء، يكلفون بتربية المؤمنين وتنظيمهم. لا يفيد أن تحدد مقاييس علمية تحصيلية لكل مرتبة، لكن المجموع لا يكون مجموعا صالحا إن لم يجمع في المؤمن الخصال العشر على درجة من الإيمان..."²

إن جند الله يكونون جماعة المسلمين، وهذه الجماعة لا بد أن تكون متماسكة كالجسد الواحد يشد بعضه بعضا، حتى يكتمل البناء العضوي القادر على العمل الجهادي الجماعي.

ومن الشروط والخصائص التي يجب أن تتصف بها جماعة المسلمين، ما يلي:

1- خاصية: الحب في الله

2- خاصية: التعاون

3- خاصية: التواضع

وحتى يكتمل البناء التنظيمي لجماعة المسلمين، لا بد أن تسيره ثلاث نواظم:

الناظمة الأولى: الحب في الله

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 60.

² - المرجع نفسه، ص 44.

الناظمة الثانية: التناصح والتشاور في الله

الناظمة الثالثة: الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر

هذه النواظم لا تقوم إحداها مقام الأخرى، ولا يقوى جسم إسلامي على جهاد إسلامي إلا بها¹.
ومن خلال ما سبق نستخلص أن للداعية دورا كبيرا في تحقيق مقاصد الدعوة إلى الله، فهو حامل
هذه المقاصد ومبلغها، والساعي إلى تحقيقها.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص82.

الفصل الثالث:

النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية

عند عبد السلام ياسين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مطلب الإحسان وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

المبحث الثاني: مطلب العدل وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

المبحث الثالث: مطلب الوحدة وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

الفصل الثالث: النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين

توطئة:

من خلال استقراء القضايا الدعوية العملية التي بناها عبد السلام ياسين وفقا للرؤية الكلية الشمولية المقاصدية، نجد أنه لم يكتب بنقل ما وصل إليه العلماء السابقون، بل كانت له تأملات فكرية ورؤى تجديدية، جمع فيها بين الموروث الفكري المقاصدي الأصيل وضرورات الواقع الحاضر.

وقد أشرنا إلى رؤيته المفاهيمية التجديدية للمقاصد، والتي عبر عنها بتعبيرات جديدة، فنجد "مقاصد الشريعة" قد عوضها بـ "مطالب الشريعة"، وما يعرف بمصطلح "الحفظ" صاغه بكلمة "طلب"، فمثلا: بدل القول بـ "حفظ الكليات الخمس" يقول "طلب الكليات الخمس"، وقد برر هذه الرؤية بناء على مؤشرات ومعطيات الواقع الحالي من غياب جزئي أو كلي لما كان موجودا في زمن السلف.

ويهدف هذا الفصل إلى إبراز المقاصد والمطالب الكبرى التي بنى عليها عبد السلام ياسين فكره ومشروعه الدعوي، واستكشاف المناهج والأساليب والآليات التي تكفل تحقيقها، وذلك من خلال المزج بين فكره النظري والعملية.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مطلب الإحسان وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

المبحث الثاني: مطلب العدل وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

المبحث الثالث: مطلب الوحدة وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

المبحث الأول: مطلب الإحسان وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

إن المطلب الإحساني من أهم ما ركز عليه الشيخ عبد السلام ياسين في مشروعه الدعوي، حيث جعله قضيته الكبرى، واعتبره غاية الغايات الدعوية، يقول في ذلك: "إننا إخواني وأخواني نبقي هملا متسكعين في شارع الدعوة، ونبقى سائمة تائهين في سوق السياسة إن لم نتبن قضيتين هما أم القضايا وأبوها في الدين والدنيا، في الدعوة والدولة، في المصير السياسي والمصير الأخروي قضيتنا العدل والإحسان"¹.

وتتحلى أهمية هذا المطلب في جعله شعارا لبرنامجهم وجماعته، يقول: "يكون حملنا لشعار عظيم، وما يكنه من برنامج واسع عريض مجرد ضوضاء وغوغاء إن فقدنا المطلب الإحساني أو اندثرت معانيه في قلوبنا"².

ونظرا لأهمية مقصد الإحسان في فكر الشيخ عبد السلام ياسين، ارتأيت تقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: معاني الإحسان وأبعاده عند عبد السلام ياسين

المطلب الثاني: أهمية مطلب الإحسان في الدعوة إلى الله

المطلب الثالث: مجالات الإحسان عند عبد السلام ياسين

المطلب الرابع: آليات تحقيق مطلب الإحسان عند عبد السلام ياسين

¹ - <https://yassine.net>، الإمام عبد السلام ياسين، شتنبر 1987... كتب الإمام رسالة "العدل والإحسان"، 2 سبتمبر، 2021.

² - <https://yassine.net>، الإمام عبد السلام ياسين، العدل والإحسان شعار وبرنامج، التاريخ: 16 فيفري 2022.

المطلب الأول: معاني الإحسان وأبعاده عند عبد السلام ياسين

إن موضوع الإحسان مهما بذلت من جهد في دراسته قد لا أصل إلى وزنه الحقيقي الذي أظهره الشيخ عبد السلام ياسين في كتاباته.

كتب الشيخ عبد السلام ياسين كتابه "الإحسان" الذي يعد من أهم الكتب بالنسبة إليه، حيث أكد أنه ما خلق إلا لكتابة هذا الكتاب، وجعل مطلب الإحسان والعدل أساسا في برنامجه الدعوي، وذلك اتباعا لما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾¹.

قال الحسن البصري عن هذه الآية: "إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ لَكُمْ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَالشَّرَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ شَيْئًا مِّنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَمَعَهُ، وَلَا تَرَكَ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغْيَ مِّنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ"².

ذكر الشيخ عبد السلام ياسين أن لفظ الإحسان ورد في القرآن الكريم بمعنى: "التزكية"، أما في الاصطلاح التاريخي فسمي "بالتصوف"، أما عند ابن تيمية فسماه "فقه السلوك"، وكذلك له مسميات أخرى مثل "التربية الروحية".

يقول عبد السلام ياسين في الفصل الأول من كتابه الإحسان عند حديثه عن التصوف والسلوك الصوفي: "ما هو التصوف وما بينه من علاقة وبين الألفاظ القرآنية النبوية مثل: إحسان، تزكية، أولياء، تقرب إلى الله، سابقون، مقربون، محبون، محبوبون؟ وهل بعد العلم يرويه العلماء عن العلماء بما قال الله وقال رسول الله من مطلب؟"³.

وإن اختلفت المصطلحات وتعددت فإن الشيخ عبد السلام ياسين يختار اللغة القرآنية، يقول: "لست أدعو إلى التصوف ولا أحب الاسم والشكل لأني لا أجدهما في كتاب الله وسنة رسوله بعد أن

¹ - النَّحْل: 90.

² - أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د.ط، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، ج2، ص158.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص8.

اخترت جوار القرآن والجلوس عند منبر المصطفى ﷺ. لا، ولا حاجة لي بالمصطلحات المحدثّة، فلي غنى عنها بلغة القرآن وبيان إمام أهل الإحسان¹، وهذا لا يعني إنكاره للتصوف جملة وتفصيلاً، وإلى ذلك يشير بقوله: "لكن الحق الذي مع الصوفية، حق حب الله تعالى وابتغاء وجهه وإرادة الوصول إليه والتماس الطريق لمعرفته وما يكرم به الحنان المنان المصطفين من عباده، حق ثابت في القرآن والسنة"².

إن لفظ الإحسان كما يورد ذلك الشيخ عبد السلام ياسين، يدل على ثلاثة معان، دل عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

- الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
- الإحسان إلى الناس، كالأقارب والأيتام والمساكين والمحتاجين والمسلمين وسائر المخلوقات.
- إحسان العمل وإتقانه وإصلاحه، سواء كان عملاً تعبدياً أم عادياً أم معاملاتياً³.

إن الجمع بين هذه المعاني الثلاثة في شخص المسلم، يعطينا مواصفات المؤمن الصالح في نفسه ومع ربه وبالناس والأشياء⁴.

إن حقيقة الإحسان وكونه أعلى مدارج الترقى الإيماني، يدل عليه حديث جبريل عليه السلام لما أتى ليعلم الناس دينهم، وهذا الحديث أورده الشيخ عبد السلام ياسين في كتابه "الإحسان"، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)، قال: صدقت، قال: فمعجبنا له يسأله، ويصدقّه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: صدقت، قال:

¹ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص19-20.

² - المرجع نفسه، ص20.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص15.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ج1، ص15.

فأخبرني عن الإحسان، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) ¹.

إن الإحسان معناه عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ²، ولقد وضع النبي ﷺ ذلك في هذا الحديث، ويظهر أن للإحسان مقامين:

المقام الأول: مقام المشاهدة، "أن تعبد الله كأنك تراه"، أي: المشاهدة القلبية.

المقام الثاني: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضر مشاهدة الله ³.

المشاهدة معناها: "أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان" ⁴.

يقول عبد السلام ياسين: "الإحسان، وهو طلب وجه الله تعالى ومعرفته وعبادته كأننا نراه، هو الركن الأشرف في الدين" ⁵.

والمراقبة معناها: "دوام علم العبد، وتيقنه بإطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه" ⁶.

1 - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.س، ج1، ص36.

2 - يُنظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، د.س، ج1، ص10/ يُنظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ت: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1422هـ - 2001م، ج1، ص126.

3 - يُنظر: أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقده، مختصر معارج القبول، ط5، مكتبة الكوثر، الرياض، 1418هـ، ج1، ص309-310.

4 - زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، ط1، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، 1422 - 2001م، ج2، ص68.

5 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج2، ص82.

6 - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416 هـ - 1996م، ج2، ص65.

إن استحضار مشاهدة الله لنا ومراقبته وقربه منا يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، وقد قال¹

الرسول ﷺ: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت).²

وفي فضل حديث الرسول ﷺ عن الإحسان وأهميته، يقول عبد السلام ياسين: "أتنا أحاديث رسول الله ﷺ مروية عنه في جلساته وخطبه ووعظه ووصاياه. لكن حديث جبريل المشهور الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عمر جاءنا في حلة من التشويق والغرابة والتفصيل التربوي. جاء جبريل فرآه الصحابة وسمعوه وتلقوا حوار الغريب مع رسول الله ﷺ، ما ذاك إلا لأهمية هذا التفصيل الذي لا نجد في حديث غيره"³.

إذن: يمكننا القول أن الوصول إلى درجة الإحسان يدل على الرقي والارتقاء، فالإحسان قيمة دينية وفضيلة إنسانية، ومكانة صعود إلى الله، ودرجة سمو، وسلم لبلوغ الكمال الروحي، ودلالة على العلو الفكري والوجداني.

قال ابن القيم: "وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁴، مَنَزَلَةُ الْإِحْسَانِ. وَهِيَ لُبُّ الْإِيمَانِ، وَرُوحُهُ وَكَمَالُهُ، وَهَذِهِ الْمَنَزَلَةُ تَجْمَعُ جَمِيعَ الْمَنَازِلِ. فَجَمِيعُهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا"⁵.

إن الإحسان هو أعلى درجات العبادة، يقول الشيخ عبد السلام ياسين: "الإحسان أن نعبد الله كأننا نراه درجة ثالثة بعد الإسلام والإيمان، فوقهما، بناء عليهما لا تحليقا، لا إيمان بلا إسلام، ولا إحسان بلا إيمان"⁶.

وهنا تطرق عبد السلام ياسين إلى مراتب الدين الثلاث، المتمثلة في: الإسلام، الإيمان، الإحسان.

¹ - يُنظر: مختصر معارج القبول، ص 309-310.

² - سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط1، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1405 - 1984، رقم الحديث: 535، ج1، ص305.

³ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص52.

⁴ - الفاتحة: 5.

⁵ - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ص429.

⁶ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص17.

وقد وضع الشيخ حقيقة الإسلام فجاء في قوله: "لكلمة إسلام معنى عام يشمل في مدرجته كل معاني العبودية لله تعالى، وله معنى خاص عندما يطلق على درجة من درجات العبودية"¹، أما عن حقيقة الإحسان والإيمان، فيقول: "عن الإيمان والإحسان نبحت، فنجد أنهما عقد بالقلب يتبعه نطق باللسان وعمل بالجوارح"².

يقول ابن تيمية: "وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان. والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام. فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين"³.

والدين جامع لهذه المراتب الثلاث، فهو كل لا يتجزأ ولا يتبعض، وقد بين ذلك عبد السلام ياسين في قوله: "الدين إسلام وإيمان وإحسان وترقب للساعة، والدين الذي يجدده الله للأمة بمن يصطفيه من خلقه هو كل هذا، لا يتبعض"⁴.

والمطمح الإحساني يجمع بين هذه المعاني الثلاث، يقول الشيخ ياسين: "إن كان إسلامنا نائما عن معاني الإيمان فلن نعلن ولن نصرح ولن نقاتل حتى يستيقظ فينا الإيمان. وإن كان إيماننا قاصرا عن مطمح الإحسان فلسنا أولئك الذين يؤيد الله عز وجل بهم دينه. لسنا من حزب الله حتى نجتمع الدين إسلاما وإيماننا وإحسانا"⁵.

¹ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص51.

² - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص22.

³ - ابن تيمية، الإيمان، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، 1416هـ/1996م، ص11.

⁴ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، العدد الثامن، د.ط، د.د، د.ب، شعبان 1401هـ، ص37.

⁵ - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص161.

المطلب الثاني: أهمية مطلب الإحسان في دعوة الشيخ عبد السلام ياسين

هناك علاقة وطيدة بين الدعوة الإسلامية ومقصد الإحسان، إذ أن الإحسان في الدعوة من أهم الغايات التي ينبغي أن يحرص الداعية على تحقيقها أثناء تبليغ رسالة الدعوة، وقد أثنى الله عز وجل على الدعاة المحسنين في القول والعمل، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾¹.

فالدعوة الإسلامية رسالة سامية، تحتاج إلى المطلب الإحساني لئتم عرضها بأحسن الخطابات وأحسن الأساليب والوسائل، وحتى يتم ذلك، لا بد أولاً أن يتحلى الدعاة بهذا الخلق العظيم، ويتعاملوا به أثناء احتكاكهم بجمهور المدعوين، حتى يتحقق الأثر الإحساني ويكسبوا محبة الناس وقلوبهم ويؤثروا في نفوسهم.

إن طلب الإحسان أمر أوصانا به النبي ﷺ، وحرى بالدعاة أن يكونوا من أوائل العاملين به، فعن أبي الأشعث عن شداد بن أوس قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَّحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ، وَلِئِجْدَ أَحَدِكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرْخِ ذَبِيحَتَهُ"².

وإذا كان الإحسان في الذبيحة مطلوباً، فإنه في الدعوة غاية الغايات التي تطلب، فيكون الإحسان في النيات وفي الأقوال وفي الأعمال، وقد ذكر الله عز وجل الإحسان في العديد من الآيات القرآنية وامتدح أهل الإحسان وبشرهم بالجنة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾⁴، وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَىٰ

¹ - فصلت 33.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، رقم الحديث: 1955، ج3، ص 1548.

³ - يونس 26.

⁴ - الذاريات 15-19.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ¹ ، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾² .

وقال رسول الله ﷺ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا
لَمْ تَرَوْهُ، فَقَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُزَحِّحْنَا عَنِ النَّارِ وَتُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ،
فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ"³ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁴ .

وقد ذكر عبد السلام ياسين أن الاهتداء بالقرآن والاستدلال بآياته الحكيمة وآيات الله في الكون لا
يجق لنا منه نصيب إلا بمقدار ما معنا من إحسان⁵ .

يقول عبد السلام ياسين: "الإحسان بواعث تسمو بالهمة، وخير يبذل، ووضع للأمر مواضعها
حكمة وإتقاناً ومداراة وسياسة يكتفيها الصدق"⁶ .

إن الإحسان في فكر عبد السلام ياسين هو الفضيلة الغائبة في هذا الزمن الذي يستوجب إعادة
طلبها، ودولة القرآن كما يذكر عمادها وأساسها الإحسان، ومطلب الإحسان هو أولى الأولويات، وعلم
القلوب هو أهم عمل، يقول: "في عصرنا توشك العروة القلبية أن تتلاشى، لذلك يكون المطلب الإحساني
أسبق المطالب في سلم الأولويات، ويكون طب القلوب أهم علم وتطبيقه أهم عمل"⁷ .

1 - المائة 93.

2 - الأعراف 56.

3 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، باب: حديث صهيب، رقم الحديث:
23925، ج 39، ص 347.

4 - سورة يونس: 26.

5 - عبد السلام ياسين، القرآن والنبوة، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2010م، ص 25.

6 - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج1، ص 219.

7 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان، 1439هـ/ 2018م، ج1، ص 20-21.

يقول الإمام محمد الغزالي: "إن الدين إذا لم يكن ارتفاعاً بمستوى الإنسان فما يكون؟ وفي هذه الأيام العجاف أرى جماهير من المسلمين، أبعدهم أهل الأرض عن حقيقة الإحسان؛ بيوتهم رديئة، وطرقهم رديئة، وسيرهم رديء، وإذا صنعوا سلعة خرجت من بين أيديهم دون غيرها مما يصنع الناس، وإذا أرادوا عملاً استغرق الكثير من الأوقات والجهود، ولم يبلغوا به درجة الاكتمال التي يحققها من بذل جهداً أضعف ووقتاً أقل كأنهم من طينة غير طينة البشر خلقوا"¹.

إن الإحسان كما يورد الشيخ عبد السلام ياسين غاية الغايات، ومطمح القلوب المتقدمة ومحط نظر ذوي الهمم العالية من الرجال، وهو أعلى المراتب في سلم الأولويات وأسبق المطالب وهو الغاية وأسمى وأشرف مقام لمن اصطفاه الله به، فالإحسان هو الولاية الكبرى، ولاية فتح واصطفاء، ولاية فتح البصائر ونورانية الشهادة بين الناس بالقسط، وهو درجة خاصة يمتاز بها عباد الله المصطفون².

"الإحسان جزء من فقه المقاصد والتي في بعدها الضروري تحافظ على الحياة، وفي بعدها الحاجي تحافظ على نظام الحياة، وفي بعدها التحسيني تحافظ على جمال الحياة"³.

وينبغي على الداعية المعاصر أن يركز على خصلة الإحسان، لما فيها من ثمار وفوائد جمّة، فيطبق الإحسان في مجال الدعوة.

والإحسان في الدعوة يشمل عدة جوانب، منها:

● **الإحسان إلى المدعوين:** فيكون الداعية محسناً أثناء تعامله مع المدعوين مهما كانت اختلافاتهم الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية.. وغيرها.

● **الإحسان في الخطاب:** فيختار الداعية أحسن وأجود أنواع الخطاب، فكراً ولفظاً، معتمداً على الإقناع العقلي بالحجة والبرهان، ومعتمداً تارة أخرى على الجانب القلبي الوجداني حتى تلامس خطبته القلوب.

¹ - محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، د.ط، دار الشروق، د.ب، د.س، ص164.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص18/ يُنظر: عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع 8، ص37.

³ - <https://islamonline.net>، الإحسان .. مفهوم الجودة الحضارية، التاريخ: 28 نوفمبر 2023م، الساعة: 10:00.

• الإحسان في الأسلوب: يختار أحسن الأساليب الدعوية، ولعل أهمها ما ذكر في القرآن الكريم؛ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

• الإحسان في الوسيلة: يحرص الداعية على اختيار أحسن الوسائل الدعوية، مستفيداً من التقنيات الحديثة.

إن الإحسان بالنسبة لعبد السلام ياسين هو أساس العمران والحضارة، وهو قيمة إنسانية سامية، لذلك يجب أن يتخذ منهاجاً وأسلوباً ومطلباً، يقول: "ما الإحسان سبغ في عالم الروح، بل تحسین مستمر متصاعد للعمل الصالح"¹.

هذا التحسين المستمر للعمل هو ما يسمى بالإتقان، "والإتقان في المفهوم الإسلامي ليس هدفاً سلوكياً فحسب، بل هو ظاهرة حضارية تؤدي إلى رقي الجنس البشري، وعليه تقوم الحضارات، ويعمر الكون، وتثري الحياة، وتنعش، ثم هو قبل ذلك كله هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به في مرضاة الله والإخلاص له لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يكون إلا بإتقانه"².

إن علم الإحسان كما ذكر عبد السلام ياسين في قوله: "هو علم عاقبة المرء وعلم الآخرة"³، والتربية الإسلامية تعمل على تنمية خصلة الإحسان في شخصية الأفراد والجماعات لأنها من الطرق الموصلة للآخرة.

فالإحسان طريقه الجهاد والاجتهاد المستمر من أجل تحقيق الأحسن والأجود في كل الأعمال، سواء كانت تعبدية أو حياتية، وذلك أمر تقتضيه العبودية الإلهية.

وقد تغنى عبد السلام ياسين بهذا المطلب الغائي، وأبرز حسنه وجماليته في أبيات شعرية، يقول فيها:

1 - عبد السلام ياسين، مقدمات في المنهاج، ص 19.

2 - <https://mutqen.org>، عباس محبوب، إتقان العمل ثمرة الإحسان، التاريخ: 28 نوفمبر 2023م، الساعة: 10:05.

3 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ - 2018م، ج1، ص 97.

سَمِعْنَا نِدَاءَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ ذَائِعٌ فَأَيُّظُنَّا قَوْلُ: اسْتَقِيمُوا وَصَارِعُوا
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِالْأَمْرِ صَادِعًا أَنْ اقْتَحِمُوا وَأَعْدُوا وَزُوحُوا وَصَارِعُوا
فَمَا بَلَغَ الْغَايَاتِ إِلَّا مُجَاهِدًا إِلَى قِمَّةِ الْإِحْسَانِ بِالْعَزْمِ طَالِعًا¹

المطلب الثالث: مجالات الإحسان عند عبد السلام ياسين

قسم الشيخ عبد السلام ياسين الإحسان إلى ثلاثة مجالات، ولا بد أن يجمع الداعية في دعوته بين هذه الأصناف الثلاثة: (الإحسان العبادي، الإحسان للخلق، الإحسان في العمل).

القسم الأول: الإحسان في العبادة:

الإحسان في العبادة يكون كما أوضحه الرسول الله ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، أي: "أن تعبد الله كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترى الله عز وجل عيانا، والمرتبة الثانية: وهي أقل منها، أن تعبد الله وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تخالف أمره سبحانه وتعالى"².

ويكون الإحسان بين العبد وربه عن طريق الاشتغال بالجانب العبادي كأداء الفرائض والنوافل، ولزوم الأذكار والأوراد، وقيام الليل، والإكثار من الاستغفار والدعاء والمناجاة، والاشتغال بشعب الإيمان جميعها، وغير ذلك.

يقول عبد السلام ياسين: "علاقته بربه تكون إحسانية إن حافظ على ذكره لا يفتر عن مراقبته وخشيته ورجائه ودعائه ومناجاته. بهذا الإحسان في عبادة ربه يطيب قلبه وتجميل أخلاقه وتصلح نواياه وأفعاله فيكون للخلق رحمة يعم نفعه العالم الأقرب فالأقرب. ونفعه للمجتمع وللناس كافة لا يتوقف على حسن النية وجمال القصد والإسراع إلى الفعل فقط، بل يتوقف أيضا، وبالمكانة المؤكدة، على خبرته ومهارته وقدرته على إتقان ما هو موكول إليه من أعمال"³.

¹ - عبد السلام ياسين، شذرات، د.ط، د.د، د.ب، د.س، ص9.

² - صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1427 هـ - 2006 م، ص224.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص15.

روى الطبراني عن أبي سلمة¹ عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: (اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله عند كل حجر، وعند كل شجر، وإذا عملت سيئة فاعمل بخيرها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية)².

والإحسان في العبادة شامل لكل جوانب الحياة؛ إحسان العبد ذاكرا وخاشعا، إحسانه في صلاته وصومه وإنفاقه وبذله، إحسانه في الدعوة إلى الله، إحسانه في دراسته ووظيفته، يعبر عن ذلك الشيخ عبد السلام ياسين، فيقول: "فما بال بعض المراقبين لنا والوافدين علينا يلوموننا أن نعبد الله، وأن نجعل عبادتنا كلا لا يتجزأ. سواء عمل المؤمن في يومه وليلته، وثباته وتميزه، وخلقه وإنفاقه، ودراسته وتجارته، ومرابطته لذكر الله ودعوته، وقيامه بالقسط في الخلاء والملاء"³.

والإحسان في العبادة يشمل كل الأعمال المشروعة خاصة تلك الأعمال التي يحبها الله تعالى، وإحسان الإتيان في الفروض العينية والفروض الكفائية"⁴.

وحتى تكون الأعمال العبادية إحسانية لا بد أن تتوفر فيها عدة شروط، منها: صحة العمل، الإخلاص لله عز وجل، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم⁵.

القسم الثاني: الإحسان إلى الخلق

إن الإحسان يشمل جميع الخلق ابتداء من إحسان الإنسان إلى نفسه ثم الإحسان إلى الوالدين، الإحسان للأقارب والجيران والأصدقاء، الإحسان لليتامى والمساكين، الإحسان لكل البشر، الإحسان لكل المخلوقات.

وطريق الإحسان إلى الناس يكون بحبهم وحب الخير لهم، ومساعدتهم ومساندتهم ماديا، ودعمهم

¹ - أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو محدث ومن كبار التابعين.

² - أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.س، ج20، ص175.

³ - <https://yassine.net>، يوليو 1987.. رسالة العدل والإحسان، التاريخ: 26 جويلية 2022.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ج2، ص106.

⁵ - يُنظر: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، ص222.

نفسيا ومعنويا، والدعاء لهم في ظهر الغيب، والإصلاح بينهم عند النزاعات... وغير ذلك.

قال ﷺ: (من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)¹.

وقال أيضا: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)².

وإن أهم أنواع الإحسان وأعظمها، الإحسان إلى الوالدين: قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾³، وقال أيضا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾⁴.

وأحسن صحبة هي صحبة الوالدين، يقول عبد السلام ياسين: "ومتى كانت الأم صالحة فهي أول
صحبة نافعة أمر الشارع ﷺ برعايتها"⁵، واستدل في ذلك بحديث النبي ﷺ لما سئل: «من أحق الناس بحسن
الصحبة؟» قال: (أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك)⁶، ومعنى ذلك كما قال عبد السلام
ياسين: "أي الأقرب فالأقرب. هذا إن كانوا صالحين وصحبة الأخيار هي المعتمد على كل حال"⁷.

¹ - جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، ت: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى
عبد الظاهر، ط2، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1426 هـ - 2005 م، باب: حرف الميم، رقم الحديث
20584 / 2088، ج8، ص570.

² - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، رقم الحديث 6793، ج11،
ص400.

³ - الإسراء 23.

⁴ - لقمان 14-15.

⁵ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع 8، ص142-143.

⁶ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم
2548، ج4، ص1974.

⁷ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ع8، ص142-143.

الإحسان بين الزوجين: المعاشرة بين الزوجين يجب أن تكون معاشرة حسنة، يسودها الحب والمودة، والعطف والحنان، واللفظ والرفق والرحمة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾¹ ، وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيركم خيركم لنسائهم)².

وتعاون الزوجين فيما بينهما وصبرهما على الشدائد والتجاوز عن العثرات يجعل العلاقة بينهما تسودها السكينة، ويصف القرآن ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾³ ، أي: "جعل كلا من الرجل والمرأة لباساً للآخر لتجردهما عند النوم واعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور... أو المعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن"⁴.

إن هذه الدنيا مليئة بالتحديات والابتلاءات كما بين ذلك الشيخ عبد السلام ياسين، وما يخفف من وطأة البلاء تعاون الزوجين فيما بينهما، وقوة صمودهما أمام الشدائد، وتحليلهما بخصال الإحسان والبر والتسامح والإسعاف والحنون والمودة والرحمة، تشد المرأة عضد الرجل وإن اقتضى الأمر تنازلها عن بعض حقوقها تكريماً منها، ويعترف الرجل بفضلها فيسابقها إلى الإحسان⁵. إن المرأة هي الركن المتين في البناء الأسري، فإن أكرمها الزوج وأحسن إليها إحساناً روحياً يغدقها بالحب والعطف، أحست بالثقة معه والأمان فتكون له خير محض وخير أنيس، وتصبر معه وتحمل وتكافئ إحسانه بإحسان، وبالتالي تتأسس اللبنة الأم في البناء الاجتماعي والتي تعتبر أهم قاعدة في بناء المجتمع⁶.

الإحسان إلى الأبناء: لا بد من معاملة الأبناء بالحسنى، وذلك بتقديم الرعاية لهم والاهتمام بهم،

¹ - النساء 19.

² - الترمذي، سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاكر وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395 هـ - 1975م، رقم الحديث 1162، ج3، ص 458.

³ - البقرة 187.

⁴ - إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي، روح البيان، د.ط، دار الفكر - بيروت، د.س، ج1، ص299.

⁵ - يُنظر: عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج1، ص216.

⁶ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 216 - 219.

والحفاظ على صحتهم، وتربيتهم أحسن تربية، وحسن تعليمهم، والعدل بينهم... وغيرها، قال ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة)¹.

الإحسان لجميع الناس: يعد الإحسان إلى الناس كما يذكر الشيخ عبد السلام ياسين نوعاً من أنواع البر والمعروف، وهو قوام المجتمع الأخوي، ويعتبر من أفضل وأعلى وأحب الأعمال الإحسانية التي يجبها الله تعالى².

يقول عبد السلام ياسين: "السالك إلى الله على مدارج الترتي يجب الله ورسوله مع الطاعة. ويجب المؤمنين بفيض من المحبة الإلهية"³.

إن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان لا بد أن تكون إحسانية، فيساند إخوانه وقت الحاجة، ويفرج عنهم وقت الكرب، ويدعمهم معنوياً أو مادياً إن أمكنه ذلك، ويشعرهم بحبه لهم.

قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)⁴، فحب الخير للناس من أقوى الدلالات التي تشير إلى المحبة والود والصفاء، وهذا الخلق العظيم يجعل المؤمنين كالجسد والنفس الواحدة.

وقد أوصانا الرسول ﷺ بحسن التعامل مع الناس في العديد من المواضع، ومن بين الأمثلة على ذلك:

قوله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)⁵.
وقوله ﷺ: (كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 142، ج 1، ص 125.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ج 2، ص 106.

³ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص 185.

⁴ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، باب: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الحديث: 13963، ج 21، ص 389.

⁵ - الترمذي، سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاکر وآخرون، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395 هـ - 1975 م، رقم الحديث 1987، ج 4، ص 355.

إناء أخيك) ¹ ، وكذلك أوصانا بقضاء حوائجهم وبين فضل هذا العمل النبيل، قال عليه الصلاة والسلام: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) ² .

وقد دعا الشيخ عبد السلام ياسين إلى الإيمان الجامع القائم على مجتمع المحبة والسلام والتطوع والعطاء والرخاء والعدل والإحسان، وحذر من الإسلام الفردي الأناني الانعزالي المليء بالكراهية والقسوة والشتات، وسوء الظن والشح والجبن، ومعاملة الحذر وسوء الأخلاق، والقعود عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ³ .

وقد جعل الشيخ عبد السلام ياسين محبة المؤمنين والإحسان إليهم علامة من علامات محبة العبد لله ورسوله، ويدل على ذلك قوله: "إذ محبة الله ورسوله ومحبة المؤمنين متلازمتان" ⁴ . يقول سيد قطب: "إننا نعيش لأنفسنا حياة مضاعفة، حينما نعيش للآخرين، وبقدر ما نضعف إحساسنا بالآخرين نضعف إحساسنا بحياتنا، ونضعف هذه الحياة ذاتها في النهاية" ⁵ .

القسم الثالث: الإحسان في العمل

أمرنا الله عز وجل بالإحسان في كل الأعمال التي نقوم بها، ويكون ذلك عن طريق الاجتهاد والتفاني في تقديم العمل على أحسن وجه، واستشعار مراقبة الله لنا في كل وقت يجعل الفرد حريصا على أداء العمل بمنتهى الدقة والإتقان والجودة.

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 1970، ج4، ص347.

² - الترمذي، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395 هـ - 1975 م، باب: ما جاء في الستر على المسلم، رقم الحديث: 1930، ج 4، ص 326.

³ - يُنظر: العدل (الإسلاميون والحكم)، ص217/ ينظر: عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، د.ب، شهر صفر 1402 هـ - 1981م، ع 9، ص48.

⁴ - المرجع نفسه، مجلة الجماعة، العدد التاسع، ص48.

⁵ - سيد قطب، أفراس الروح، د.ط، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433 هـ - 2012م، ص11.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾¹ ، ويكون الدافع إلى المزيد من العمل الحسن، علم العبد أن العمل عبادة وأن الله سيجزيه على ذلك خير الجزاء في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَضُرُّ بِهِمْ عَنِ الْقَتْلِ، يُطِيلُ أَعْمَارَهُمْ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ، وَيُحْسِنُ أَرْزَاقَهُمْ، وَيُحْيِيهِمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ فِي عَافِيَةٍ عَلَى الْقُرْشِ، فَيُعْطِيهِمْ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ)² ، وقوله: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بְهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)³ .

إن العمل في الإسلام له قيمة عظيمة، ومما يدل على أهميته، قوله ﷺ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا)⁴ ، وهذا حديث عظيم يبين قيمة العمل حتى في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان التي قد تبدو غير مجدية.

وسعي العبد وقيامه بالأعمال أمر يحبه الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)⁵ ، وكذلك كان يفعل جل الأنبياء، يكسبون قوتهم من عمل أيديهم، رغم مكائتهم المرموقة، فنجد أن النبي إدريس عليه السلام كان خياطا، والنبي نوح عليه السلام كان نجارا، وعمل النبي ﷺ في عدة مهن، فكان راعي الغنم في صغره ثم عمل في التجارة في مرحلة الشباب، ثم انتقل إلى مهنة الدعوة إلى الله.

فالعامل في الإسلام مقدس مهما كان نوعه، وفلسفة العمل في الإسلام عميقة، فليس فضل العمل بالشكل والمسميات والشهادات، بل يقاس بمدى الإخلاص فيه، ومدى موافقته للشرع، وبالجدوة والإتقان

1 - التوبة 105.

2 - الطبراني، المعجم الكبير، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.س، رقم الحديث 10371، ج10، ص176.

3 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ، رقم الحديث 2320، ج3، ص103.

4 - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الأدب المفرد، ت محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409 - 1989م، حديث رقم 479، ص168.

5 - صحيح البخاري، رقم الحديث 2072، ج3، ص57.

والكفاءة والإنتاج.

إن الإحسان في العمل مرتبط ارتباطا وثيقا بمسألة الاتقان، يقول عبد السلام ياسين: "الإحسان: أي الدقة والاتقان فيما ننجزه من عمل"¹.

والدقة تكون من جانبين:

الأول: الدقة في أوصافه الإحسانية من حيث الإيمان، ومعياره: أن يكون العمل موافقا للشريعة الإسلامية.

الثاني: الدقة في مواصفاته العملية: بأن يكون ملائما للأهداف والغايات المرجوة منه.²

فالإحسان في العمل لا بد أن يجمع بين أمرين أساسيين سماهما عبد السلام ياسين: "معيار الصواب الديني، ومعيار الصلاحية التقنية"³.

وقد قسم عبد السلام ياسين العمل إلى عدة أنواع: عمل عبادي، عمل عادي، عمل معاملاتي، وجميع هذه الأعمال لا بد أن تكون ذات جودة وإتقان حتى تصل إلى مستوى الإحسان.

ومن أمثلة الإحسان في الجانب العبادي: إحسان الصلاة: والدليل على ذلك طلب النبي ﷺ بإعادة الصلاة لرجل لم يتقن صلاته، قال ﷺ لذلك الرجل: (ارجع فصلّ، فإنك لم تُصَلِّ)⁴.

ومن أمثلة الإحسان في الجانب العادي: تحويل العادات والشهوات مثل: (الأكل والشرب، النوم، الجنس...) إلى عبادات عن طريق النية.

مثلا: إذا نويت الأكل والشرب وممارسة الرياضة من أجل المحافظة على صحتك، لأن الحفاظ عليها مقصد من مقاصد الشارع، فهنا حولت هذه العادات إلى عبادات.

1- عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص238.

2 - يُنظر: المرجع نفسه، ص238.

3 - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص238.

4 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م، ج15، رقم الحديث: 9635، ص400.

كذلك بالنسبة لممارسة العلاقة الحميمة، فإنها تتحول من عادة إلى عبادة إذا كان الغرض منها التعفف والإحسان من الوقوع في الحرام وإنجاب ذرية تطيع الله ورسوله. وقد سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) ¹.

إن صفة الاتقان خصلة فاضلة يجبها الله تعالى، قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ) ²، وخير الأعمال أنفعها للناس، وخيرها ما كان دائما غير منقطع، لقوله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل) ³.

وهذه الصفة يجب أن يربى عليها الفرد المسلم عموما والدعاة إلى الله خصوصا، وقد أشار إلى ذلك عبد السلام ياسين، بقوله: "فعلى الإحسان نربي أجيالنا، وعليه ننظم صفوفنا" ⁴.

إن عبادة العمل إن أداها الإنسان على أكمل وأحسن وجه، نال الحسنات الكثيرة، وعد عمله في سبيل الله، فقد ورد عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْطُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) ⁵.

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم 1006، ج2، ص697.

² - البيهقي، شعب الإيمان، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1423 هـ - 2003 م، حديث رقم 4929، ج7، ص232.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، رقم الحديث 783، ج1، ص541.

⁴ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص238.

⁵ - الطبراني، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، د.س، رقم الحديث 6835، ج7، ص56.

إن الاتقان مطلوب في العمل، وذلك لما ينتج عنه من منافع عظيمة، فالإتقان أساس في البناء الحضاري، وأساس في أمة الاستخلاف.

وحتى نصل بالأمة إلى مرحلة الاستخلاف، يجب ألا نكتفي فقط بإصلاح نياتنا بل لا بد أن نهتم كذلك بإصلاح أعمالنا في جميع المجالات، والارتقاء بها إلى مستوى يؤهلها لسد ثغرات العجز التكنولوجي، والإداري، والتنظيمي، والسياسي، والاقتصادي¹، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾².

وقد كان النبي ﷺ يسعده كل عمل صالح حسن، فعن أبي هند³ قال: قَالَ: حَمَلَ تَمِيمٌ - يَعْنِي الدَّارِيَّ - مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَادِيَلِ وَزَيْتًا وَمُقْطًا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَدِينَةِ وَافَقَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَأَمَرَ غُلَامًا يُقَالُ لَهُ أَبُو الْبَرَادِ فَقَامَ فَشَطَّ⁴ الْمُقْطَ وَعَلَّقَ الْقَنَادِيلَ وَصَبَّ فِيهَا الْمَاءَ وَالزَّيْتَ وَجَعَلَ فِيهَا الْفَتِيلَ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ أَبَا الْبَرَادِ فَأَسْرَجَهَا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِهَا تُزْهِرُ، فَقَالَ: (مَنْ فَعَلَ هَذَا)؟ قَالُوا: تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: (نَوَّرْتَ الْإِسْلَامَ نَوَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ لَزَوَّجْتُكَهَا)⁵.

وهذا الحديث عظيم يلخص لنا مكانة وأهمية الإحسان والإتقان وجماليته.

1 - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيمًا وزحفاً، ص238.

2 - الكهف:110.

3 - أبو هند الداري، وهو مولى تميم الداري.

4 - نشط: المقصود بها ربط.

5 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964م، ج12، ص274.

المطلب الرابع: آليات تحقيق مطلب الإحسان عند عبد السلام ياسين

إن مشروع عبد السلام ياسين يرمي إلى بناء دولة القرآن، دولة العدل والإحسان، دولة السمو والارتقاء، وإن الوصول إلى طريق الإحسان له ارتباط وثيق بالإيمان، فكلما زاد إيمان الفرد زادت رغبته في نيل الكمال.

إن بلوغ أعلى مقام وأعلى منزلة عند المولى عز وجل ليس أمرا سهلا، بل هو مراقٍ يصعد إليها، وهذا العروج العلوي يحتاج إلى عزيمة وهمة، جهاد واجتهاد، صبر وقوة اقتحام، ويحتاج إلى الصدق والإخلاص وصفاء القلوب¹.

إن التربية الإيمانية أهم ما يحتاجه المسلم والمسلمة في الصعود إلى مقام الإيمان، وهي ما يحتاجه المؤمن والمؤمنة للتقدي إلى ذرى الإحسان، التربية الإيمانية الإحسانية يعود مردودها في صلاح الفرد والجماعة.

التربية الإيمانية يجب أن تربي الفرد والجماعة على الفرائض والنوافل الفردية، وتتعداها للنوافل والمنافع الجماعية كالتربية على الصدقة والرفق بين الناس، ومحبة الناس وخدمتهم، والسعي في مصالحهم، والحنو على الضعيف والمريض والمحروم، وإطعام الجائع، وتعليم الجاهل وإقراء الأمي، وإيواء المشرّد، وكفالة اليتيم، وزيارة الوحيد، وتسليّة اليائس، وإغاثة الملهوف، وجمع شمل الأرملة، فهذه كلها من الدين الذي يجب غرسه في عقول ونفوس المسلمين².

المسلمون اليوم كما يقول عبد السلام ياسين بحاجة "لاكتشاف المنهاج النبوي كي يسلكوا طريق الإيمان والجهاد إلى الغاية الإحسانية التي تعني مصيرهم الفردي عند الله في دار الآخرة، وإلى الغاية الاستخلافية التي ندبوا إليها ووعدوا بها متى سلكوا على المنهاج واستكملوا الشروط. إنه طريق واحد يسمو به العبد إلى الوقوف، بل السجود، بين يدي ربه متذللا مطيعا باذلا ماله ونفسه في الله، وتسمو به الأمة من كبوتها، واستعباد الأعداء لها في الأرض، وذلتها في نفسها، وتحلفها الحضاري والاقتصادي والعسكري، إلى حيث تنال شرف وراثته من خاطبه الله في هذه الآية من سورة المائدة بأن يحقق هيمنة القرآن على كل

1 - يُنظر: عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج2، ص9.

2 - يُنظر: عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ص158-159.

فكر، وأمر الله على كل أمر، وحاكمية الله على كل حاكمية"¹.

ولقد قسم عبد السلام ياسين وسائل الإحسان المقربة إلى الله تعالى إلى قسمين رئيسين، وهما:
(الوسائل القلبية، الوسائل السلوكية)، وكلا هاتين الوسيلتين يجب أن تجتمعا في سلوك الفرد والجماعة.

وسنوضح ذلك في العناصر التالية:

أولاً- الوسائل القلبية:

ذكر عبد السلام ياسين أن النبي ﷺ شخص داء الأمة حين تصبح غثاء كغثاء السيل، والمتمثل في داء حب الدنيا وكرهية الموت.

ووصف العلاج المتمثل في: "الصلاح القلبي"²، والذي ذكره في حديثه ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)³، ففي هذا الحديث "إشارة إلى: أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرّمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه. فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يُحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرّمات كلّها، وتوقّي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرّمات"⁴.

كما أن من الأمراض التي تنخر جسم الأمة "الإسلام الثقافي" مع "خواء القلوب"، إسلام العقل والقراءة والقلوب فارغة من خشية الله.⁵

¹ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيمًا وزحفاً، ص 17.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ - 2018م، ج1، ص21.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.س، رقم الحديث 1599، ج3، ص1219.

⁴ - زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط1، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، 1422 - 2001 م، ج2، ص53.

⁵ - يُنظر: الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ - 2018م، ج1، ص21.

يقول عبد السلام ياسين: " أفيمكن للأمة والجسد واه غثائي أن تستجمع قواها وتجاهد أعداءها وتعز على المستكبرين إن لم يصلح القلب وتتوثق عرا الإحسان؟ القلب مكمّن الداء، فإن صح وسلم فهو مركز الإشعاع. وهو العنصر الحاسم في معادلة وجود الأمة وانبعاثها"¹.

وعلاج قلوب المسلمين يكون عن طريق ربطها بكتاب الله، "إيقاظ وازع القرآن في قلوب المسلمين، وتقويته، وتسليحه بعلم ما فرض الله عز وجل وما أمر ونهى لهو العمل الوحيد لتجاوز ما في عقول المسلمين من تناقضات، وما في نفوسهم من هزيمة"².

يقول عبد السلام ياسين: "نعطي للقلب المكانة الأولى لأن بصلاحه يصلح الكل وبفساده يفسد الكل"³، "هذا القلب الذي فطره الله عز وجل على الاستقامة وسخر لخدمته جوارح البدن ووسائل المال والمتاع، وجعل الأعمال كلها إنما تصح وتقبل بصلاح نيته، هذا القلب الذي ينظر إليه الحق عز وجل، يجب على المسلم المتطلع للإيمان الذي يريد أن يرقى من مرحلة الإسلام إلى مرحلة الإيمان أن يطهره حتى لا يرى الله عز وجل فيه هذه الكدورات، وهذه القاذورات، وهذه الظلمات المترتبة على الغفلة عن الله، وعلى المعاصي وعلى الاشتغال بما لا يعيننا"⁴.

إن القلوب تعتربها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: حالة القلب الحي

الحالة الثانية: حالة القلب المريض

الحالة الثالثة: حالة القلب الميت

وهذه الحالات الثلاث قد تجتمع في القلب الواحد، فيتقلب من حال إلى حال، وقد تلازم حال منها

بعض القلوب دائماً⁵.

¹ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص22.

² - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص217.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج2، ص113.

⁴ - عبد السلام ياسين، الفطرة وعلاج القلوب، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م، ص29.

⁵ - يُنظر: عبد الله بن عبد الرحمن الجريوع، أثر الإيمان في تحيين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م، ج1، ص325.

إن القلب الحي يمثل قلب المؤمن، قال سعيد بن المسيّب: "القلب السليم هو الصحيح، وهو قلب المؤمن لأنّ قلب الكافر والمنافق مريض"¹.

يقول ابن الجوزية: "فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيها شركة بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة، ومحبة وتوكلا، وإنابة، وإخبارات، وخشية، ورجاء. وخلص عمله وأمره كله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن بغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى الله، وإن منع منع الله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكم لكل من عدا رسول الله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدا محكما على الائتمام والاقتران به وحده، دون كل أحد في الأموال والأعمال: من أقوال القلب، وهي العقائد. وأقوال اللسان، وهي الخبر عما في القلب وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهية وتوابعها، وأعمال الجوارح، فيكون الحكم عليه في ذلك كله دقة وجله"².

إن التقرب من الله تعالى والوصول إلى مرضاته، يحتاج إلى بذل كل الأساليب والوسائل التي توصلنا إليه، هذه الوسائل القلبية محلها القلب والفؤاد وتتفرع عنها أعمال قلبية وسلوكية، يقول عبد السلام ياسين: "عن الإيمان والإحسان نبحت، فنجد أنهما عقد بالقلب يتبعه نطق باللسان وعمل بالجوارح... ذكر الله ووجل القلب والتوكل على الله أعمال قلبية يتفرع عنها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر أركان الإسلام وشعب الإيمان"³.

وستنطرق باختصار إلى بعض هذه الوسائل القلبية، ونذكر منها ما يلي:

1- محبة الله ورسوله ﷺ: الحب في اللغة كما جاء في لسان العرب يدل على: الوداد والمحبة، وهو نقيض البغض⁴، والودود اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: كثير المودة، الذي يُحِبُّ أَوْلِيَاءَهُ وَيُحِبُّونَهُ، وهي

¹ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، ج6، ص149.

² - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط1، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ص414-415.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ - 2018م، ج1، ص22.

⁴ - يُنظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر - بيروت، 1414هـ، ج1، ص289.

أعلى درجات المحبة¹.

والمحبة تقتضي "أَنْ تَهَبَ إِرَادَتَكَ وَعَزْمَكَ وَأَفْعَالَكَ وَنَفْسَكَ وَمَالَكَ وَوَقْتَكَ لِمَنْ تُحِبُّهُ وَتَجْعَلَهَا حَبْسًا فِي مَرْضَاتِهِ وَمَحَابَّةٍ"²، وتقتضي أيضا "بَدْلُ الْمُجْهُودِ، وَتَرْكُ الإِعْتِرَاضِ عَلَى الْمُحْبُوبِ"³، "ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله"⁴، يقول عبد السلام ياسين: "محبة الله، طلب رضاه"⁵.

"وَحِبُّ اللَّهِ تَعَالَى بِقَدْرِ الْمَعْرِفَةِ"⁶، قال ابن القيم: "إِذَا غُرِسَتْ شَجَرَةُ الْمَحَبَّةِ فِي الْقَلْبِ، وَسُقِيَتْ بِمَاءِ الإِخْلَاصِ، وَمُتَابَعَةِ الْحَيِّبِ، أَثْمَرَتْ أَنْوَاعَ الثَّمَارِ. وَأَتَتْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا. أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَرَارِ الْقَلْبِ. وَفَرْعُهَا مُتَّصِلٌ بِسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى"⁷، "إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة"⁸.

إن معرفة الله تقودنا إلى محبته، ومحبة الله تقودنا إلى طريق اتباعه، "ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن يتعجب بما يوجب له الزلفى لديه، جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه"⁹.

¹ - يُنظر: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ت: عمر بن محمود أبو عمر، ط1، دار ابن القيم - الدمام، 1410 هـ - 1990 م، ج1، ص51/ فالخ بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري، التحفة المهديية شرح العقيدة التدمرية، ط3، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1413هـ، ج1، ص34.

² - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ص14.

³ - المرجع نفسه، ص16.

⁴ - أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ت: عبيد بن علي العبيد، ط112، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421هـ، ص243.

⁵ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، د.ب، ربيع الأول وربع الثاني 1400هـ - 1980م، العدد الخامس، ص56.

⁶ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط2، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1975، ص160.

⁷ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج3، ص11.

⁸ - المرجع نفسه: ج3، ص15.

⁹ - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، ج2، ص55.

ومما يقوي المحبة سببان: "أحدهما: خلو القلب عما سواه، فإن الإناء كلما خلا عن شيء اتسع لغيره، فقطع العلائق سبب التجريد والتفريد... والسبب الثاني هو: المعرفة. فالأول: مثاله تطهير الأرض عن الشوك والحشيش، والثاني: مثاله وضع البذر في الأرض، لينموا فيتولد منه شجرة المعرفة وهي الكلمة الطيبة"¹.

قال محمد بن الفضل: "المعرفة حياة القلب مع الله تعالى"².

2- التوبة والإنابة: جاء في لسان العرب أن معنى الإنابة هو: "الرجوع إلى الله بالتوبة. وفي التنزيل

العزیز: منيبين إليه؛ أي راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره"³.

قال الطبري: "مَعْنَى التَّوْبَةِ مِنَ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ: إِنَابَتُهُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَأَوْبَتُهُ إِلَى مَا يُرْضِيهِ بِتَرْكِهِ مَا يُسْحِطُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مُقِيمًا مِمَّا يَكْرَهُهُ رَبُّهُ، فَكَذَلِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ هُوَ أَنْ يَرْزُقَهُ ذَلِكَ، وَيَتُوبَ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْهِ إِلَى الرِّضَا عَنْهُ، وَمِنَ الْعُقُوبَةِ إِلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْهُ"⁴.

فيجب على السالك إلى الله أن يجدد توبته إلى الله دوماً، ويحدث توبة انقلابية كما يعبر عن ذلك الشيخ عبد السلام ياسين، يقول: "توبة انقلابية لا التوبة الجزئية الآنية الطارئة من ذنب يقترف ومعصية تؤتى. هذه لازمة مواكبة لحياة المؤمنين والمؤمنات: يُخَطِّئُونَ ويَأْتُمُونَ، فيستغفرون الله فيغفر لهم... أما التوبة الانقلابية... فهي تلك التي تنقل نفسه... إلى عالم اليقظة والتهمم بلقاء الله عز وجل. تنقله من معاصي المخالفات واللامبالاة إلى الطاعة والعمل الصالح. تنقله من لعنة الاستخفاف بدين الله والانتقال إلى المشاركة في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف"⁵.

¹ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ت أحمد عبد الرازق البكري، ط3، دار السلام، مصر، 1429هـ/2008م، ص284.

² - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، ت الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص483.

³ - محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر - بيروت، 1414 هـ، ج1، ص775.

⁴ - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ - 2001 م، ج1، ص587.

⁵ - عبد السلام ياسين، حوار مع الفضلاء الديموقراطيين، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م، ص102-103.

3- النية والإخلاص: جاء في اللغة أن معنى "خلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم. وأخلصه وخلصه وأخلص لله دينه: أمحضه. وأخلص الشيء: اختاره، وقرئ: (إلا عبادك منهم المخلصين)، والمخلصين؛ قال ثعلب: يعني بالمخلصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى، وبالمخلصين الذين أخلصهم الله عز وجل"¹.

يقال: "خلص الشيء خلوصاً فهو خالص، وخلصته: صفيته... ومن المجاز: أخلص له المودة، وأخلص لله دينه، وخلص لله دينه، وهو عبد مخلص ومخلص"².

ويقال: "الإخلاص في الطاعة: ترك الرياء، وقد أخلصت لله الدين. واستخلص الشيء: كأخلصه. والخالصة: الإخلاص. وخلص إليه الشيء: وصل. وخلص الشيء، بالفتح، يخلص خلوصاً أي صار خالصاً. وخلص الشيء خلاصاً، والخالص يكون مصدراً للشيء الخالص"³.
وتطلق كلمة المخلصون ويراد بها المختارون، والمخلصون: الموحّدون⁴.

ولقد أمرنا الله عز وجل بالإخلاص فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾⁵.

وقال رسول الله ﷺ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا، وَلِسَانَهُ صَادِقًا، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً، وَعَيْنَهُ نَاطِرَةً، فَأَمَّا الْأُذُنُ فَفَمِعْ، وَالْعَيْنُ مُقَرَّةٌ بِمَا يُوعَى الْقَلْبُ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا)⁶.

¹ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج 7، ص 26.
² - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1419 هـ - 1998 م، ج 1، ص 262.
³ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج 7، ص 26.
⁴ - يُنظر: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط 1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001 م، ج 7، ص 65.
⁵ - الزمر: 2.
⁶ - أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، رقم الحديث 21310، ج 35، ص 239.

وقد ضرب العلماء لنا أروع القصص في الإخلاص، فهذا "أبو الحسن الماوردي: شيخ الشافعية، قيل: إنه لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: الكتب في المكان الفلاني، كلها تصانيفي، وإنما لم أظهرها؛ لأني لم أجد نيّة خالصة، فإذا عاينت الموت ووقعت في النزاع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يُقبَل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قد قُبِلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية.

قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي على يساره، فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده"¹.

4- الذكر: جاء في تهذيب اللغة أن الذكر معناه: الحفظُ للشَّيءِ تَدْكُرُهُ أو حَرِي الشَّيءِ على لسانك، ويراد به كذلك الصَّلَاةُ لله تَعَالَى، والدعاءُ والثناءُ والتسبيحُ، والشُّكْرُ، والطَّاعَةُ، ويطلق الذكرُ أيضاً على: الكتابُ الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ الدِّينِ، وكلُّ كتابٍ من كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ذِكْرٌ²، يقال: "فلانٌ يذكُرُ اللهَ أَي يَصِفُهُ بِالْعِظْمَةِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُوَحِّدُهُ"³.

قال ابن عطاء الله السكندري: "الذكر هو ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان، وسواء في ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته، أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو استدلال على شيء من ذلك، أو دعاء، أو ذكر رسله، أو أنبيائه، أو أوليائه، أو من انتسب إليه، أو تقرب إليه بوجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو فعل من الأفعال: بنحو قراءة أو ذكر، أو شعر أو غناء، أو محاضرة أو حكاية"⁴.

وقد أشار الشيخ عبد السلام ياسين إلى معنى الذكر بقوله: "الذكر توحيد المعبود، وإفراده بالعبادة،

¹ - <https://www.alukah.net>، الشيخ وحيد عبد السلام بالي، الإخلاص: تعريفه وفضله وحكمه، التاريخ: 20 فيفري 2018.

² - يُنظر: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م، ج10، ص94.

³ - المرجع نفسه، ص95.

⁴ - أحمد بن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1961، ص4.

المواظبة على العبادة، والخشوع في العبادة"¹.

قال النبي ﷺ: (مثل الذي يذكُر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت)².

يقول ابن قيم الجوزية: "والذُّكْرُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ، بَلْ هُمْ مَأْمُورُونَ بِذِكْرِ مَعْبُودِهِمْ وَحُبُّوهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ. فَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ وَهُوَ غِرَاسُهَا، فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بُورٌ وَخَرَابٌ وَهُوَ عِمَارَتُهَا وَأَسَاسُهَا. وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا وَدَوَائُهَا إِذَا غَشِيَهَا اغْتِلَافُهَا، وَكَلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِعْرَافًا: ازْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا، وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلْسَانِيهِ: نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"³.

إن المداومة على الأذكار والالتزام بالأوراد أمر يلح عليه الشيخ عبد السلام ياسين، ويبين ضرورة اتخاذ أوراد يداوم عليها الفرد في أوقات معينة، يقول: "المداومة في أوقات معينة على أذكار معينة هي ما يسمى في اصطلاح القوم بالأوراد. والأوراد أوتادٌ راسية عليها يبني المؤمن خيمة الذكر في أرجاء وقته وعامته نشاطه وسؤويداء قلبه. الأوراد هي الطريق إلى الله عز وجل لا يستغني عنها مبتدئ ولا يزهد فيها واصل"⁴.

وللذكر مراقي ودرجات ومنازل، يترقى المرید من الذكر الظاهر وهو ذكر اللسان إلى الذكر الباطن، وهنا يجمع فيه بين ذكر القلب واللسان⁵.

5- الدعاء: يعتبر الدعاء وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى، وهو في اللغة يدل على:

الاستغاثة والرغبة إلى الله عز وجل⁶، أما حقيقة الدعاء كما ذكره فخر الدين الرازي فهو: "استدعاء العبد

1 - عبد السلام ياسين، رسالة تذكير، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م، ص14.

2 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، رقم الحديث 6407، ج8، ص86.

3 - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1416 هـ - 1996م، ج2، ص396.

4 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص 297-298.

5 - يُنظر: المرجع نفسه، ص 297-298.

6 - يُنظر: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر - بيروت، 1414 هـ، ج14، ص257.

رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عِنَايَةً وَاسْتِمْدَادُهُ إِيَّاهُ الْمَعُونَةَ" ¹.

يقول محمد رشيد رضا: "وحقيقة الدعاء هي شعور القلب بالحاجة إلى عناية الله تعالى فيما يطلب، وصدق التوجه إليه فيما يرغب، ولا يتوقف على تحريك اللسان بالألفاظ، فإن الله ينظر إلى القلوب وما أسرت، فإن وافقتها الألسنة فهي تبع لها، وإلا كان الدعاء لغوا يبغضه الله تعالى، فالدعاء الديني لا يتحقق إلا بإحساس الداعي بالحاجة إلى عناية الله تعالى، وعن هذا الإحساس يعبر اللسان بالضراعة والابتهاال" ².

وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ³.

وعن أهمية الدعاء وأفضليته، يقول النبي ﷺ: (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ) ⁴، ويقول أيضا: (أفضل العباداة الدعاء) ⁵، ويقول كذلك: (لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر) ⁶.

والدعاء ينقسم إلى قسمين، وكلاهما متضمن للآخر:

دعاء السؤال: وهو دعاء الطلب والابتهاال إلى الله تعالى كقول الداعي: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني.

دعاء العباداة: وهو دعاء الطاعة والذكر، ويكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب

وهو الاشتغال بعبادة الله وذكره ⁷.

¹ - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، ج5، ص262.

² - محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج2، ص13.

³ - البقرة: 186.

⁴ - محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، رقم الحديث 3371، ج5، ص316.

⁵ - الحافظ جلال الدين السيوطي والعلامة محمد ناصر الدين الألباني، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، ط3، دار الصديق، 1430 هـ - 2009م، باب فضل الدعاء، رقم الحديث 7065، ج2، ص1120.

⁶ - محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، باب ما جاء لا يُرَدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ، رقم الحديث 2139، ج4، ص16.

⁷ - يُنظَر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1417 هـ - 1996 م، ج1، ص20.

ومن بين شروط الدعاء حتى يكون مقبولاً: الإخلاص لله تعالى، الخشوع، اليقين في الإجابة، الإلحاح في الطلب، الجِد والعزم في الدعاء.¹

وينبغي الحرص على الدعاء في أوقات وأحوال وأماكن معينة لاستجابة الدعوة فيها، منها: الدعاء عند نزول المطر، دعاء المسافر، الدعاء ليلة القدر، الدعاء في شهر رمضان، الدعاء في السجود، الدعاء في جوف الليل الأخير، دعاء المُضْطَرِّ، دعاء الوالد لولده، دعاء المظلوم، وغيرها.

ثانياً- الوسائل السلوكية:

يعد علم السلوك من العلوم النافعة التي لا بد أن يستفيد منها الداعية، وذلك لما يحتويه من معاني سامية، يقول عبد السلام ياسين: "ننظر في علم السلوك لنأخذ أحسن ما خلفه الصالحون من معاني التعلق بالمولى جل وعلا، ومن معاني ترقيق القلوب، ومن معاني تهذيب النفس والأخلاق، ومن معاني الصدق في طلب وجه الله عز وجل، ومن معاني العزوف عن دار الغرور، ومن معاني الإنابة إلى الرب الكريم وإلى الدار الآخرة"².

إن ركائز السلوك التي يعتمد عليها الطامح إلى مقامات الإحسان، تعتمد على شعب الإيمان. وتمثل وسائل السلوك في التربية على الخصال العشر والتحلي بالشعب الإيمانية، وهذا ما ذكره عبد السلام ياسين قائلاً: "هذه الشعب من شعب الإيمان، وسائر شعب الإيمان البضع والسبعون، ركائز سلوكية لا يمكن لطماح في مقامات الإحسان وسلوك طريق العرفان أن يتجاوزها أو أن يتكبتها وإلا كان كمن يبني على غير أساس"³.

وشعب الإيمان هي عبارة عن "روافد يتألف منها نهر الإيمان. فإن تصورناها خيوطاً إيمانية تربط العبد بربه فهي تكون، إن فتلت وأتقن تأليف رجالها حتى أصبح خلقهم القرآن، حبل الله المتين الممتد من السماء رحمة إلى الأرض، حيث تظهر عملاً حكيماً وجهاداً مجدداً. وعندئذ فالتمسك بجماعة المسلمين

¹ - يُنظر: خالد بن سليمان بن علي الربيعي، مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ، ط1، دار القاسم للنشر، الرياض، 1423 هـ - 2002 م، ج1، ص9.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص16-20.

³ - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص253.

في الأرض استمسك بالعروة الوثقى" ¹.

قام عبد السلام ياسين بترتيب شعب الإيمان السبعة والسبعين ترتيباً مرحلياً وتدرجياً، وهي كلها مستوحاة من كتاب الله وسنة رسول الله، وقسم هذه الشعب إلى عشر فئات أسماها الخصال العشر، وجمعها في كتاب يضم ألفي حديث نبوي، هذه الخصال العشر تتدرج من الخطاب القرآني للإنسان وندبه إياه لاقتحام العقبة والكينونة مع المؤمنين الصالحين ².

يترقى الإنسان عبر هذه الخصال العشر وما تجمعه من شعب الإيمان، فيحصل "الخصلة الأولى: الصحبة والجماعة، ثم يترقى من خصلة إلى خصلة حتى يحصل الخصلة العاشرة وهي: الجهاد. وبذلك تكون تربيته تمت، وعضويته في تنظيم جند الله استوثقت. وبتحصيل جند الله جماعة لفضائل شعب الإيمان يكون التنظيم قد استوفى خصائص حزب الله المنصورين الغالبين" ³.

وتتمثل الخصال العشر التي ذكرها عبد السلام ياسين في كتبه مرتبة فيما يلي:

1- الصحبة والجماعة، 2- الذكر، 3- الصدق، 4- البذل، 5- العلم، 6- العمل، 7- السمات الحسن، 8- التؤدة، 9- الاقتصاد، 10- الجهاد.

وقد ذكر الشيخ عبد السلام ياسين أن هناك ثلاثة نماذج للسلوك الرباني النوراني: لا إله إلا الله ونورانيته - وللهذيب الوجداني الحياء والخير الذي يأتي به - وللمشاركة الفعلية في الحياة العامة الجماعية: إمطة الأذى عن طريق المسلمين" ⁴.

وقد قسم الشيخ الوسائل السلوكية إلى قسمين هما: (وسائل السلوك الفردي، ووسائل السلوك الجماعي)، سنتطرق إليها فيما يلي:

¹ - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيمًا وزخفاً، ص 41.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 40.

³ - المرجع نفسه، ص 40-41.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 38-40.

أ- وسائل السلوك الفردي:

1- محبة الله ورسوله:

محبة الله ورسوله وسيلة قلبية وسلوكية، فالحبة القلبية لله عز وجل يتبعها سلوك وينجر عنها فعل يدل على هذا الحب.

ومن الوسائل السلوكية التي يجب أن يسلكها الفرد للتقرب من الله تعالى، ما يلي:

• أداء الفرائض والقيام بالنوافل: ومن بينها أداء الصلاة والصوم والزكاة والحج بكامل شروطها وأركانها وسننها وآدابها، والقيام كذلك بالنوافل كنوافل الصلاة أو الصيام أو الصدقات وغيرها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وُلِّي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا) ¹.

أما عن أهمية الزيادة في العبادات سواء نوافل الصلاة أو الصيام أو الزكاة، فقد ذكر فضلها في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة)، قال: "يقول ربنا جل وعز لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم) ².

• كذلك من بين وسائل السلوك: اتباع سنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلاوة القرآن الكريم، طلب العلم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إتقان العمل، ويتجسد كذلك في البذل والعطاء والسمت الحسن والتؤدة والصدق... وغيرها.

¹ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث 1397، ج2، ص105.

² - أبو داود، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د.ط، صيدا، بيروت، د.س، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه»، رقم الحديث 864، ج1، ص229.

ويوضح عبد السلام ياسين أن هذه الخصال جميعها هي وسائل سلوكية وفي نفس الوقت لا يمكن فصلها عن القلب، فبالقلب تتحول الأعمال إلى عبادات، وكل هذه الوسائل تلزمها النية والإخلاص والصدق مع الله تعالى، وهنا يكون الفرق بين عمل المسلم وعمل غير المسلم.

يقول عبد السلام ياسين: "ويتجسد الإحسان القلبي في مظهرين يسميان لغة وشرعا إحسانا. أحدهما البرُّ والعطاء والسخاء والمواساة والإسعاف والعطف والحنان. والآخر إتقان العمل، كل عمل. إتقانه نيةً ليتقبله الله الذي إنما يتقبل من المتقين، وإتقانه إنجازاً وتنظيماً ليحصل الأثر النفسي في العبادة الفردية والأثر السياسي الاقتصادي الاجتماعي في العبادات الجهادية. هذا الإحسان الإِتقاني يريد علوماً كونية مستندة إلى العلم بالله والعلم بشريعة الله وإلا كان كـبعض أعمال البشر الكافرين"¹

إن كل هذه المسالك التي ذكرناها والتي لم نذكرها في بحثنا ليست سهلة المرام بل تحتاج إلى جهاد وصبر واحتمال للأذى والمكروهات، وبمقدار محبة الله يدوق المؤمن حلاوتها، فتصبح مصدراً للراحة والسعادة.

2- البحث عن ولي مرشد:

أولاً - معنى الشيخ المرشد:

لغة: كلمة الرشد تدل على "صلاح الأمر وكونه على الوجه الصحيح"²، "وَالرُّشْدُ وَالرَّشَادُ الهدى والاستقامة"³.

وكلمة المرشد حسب المعاجم اللغوية تدل على الدلالة والهداية والوعظ، فقول المرشد هو "الدال"⁴،

¹ - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج1، ص218.

² - محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010 م، ج2، ص804.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964 م، ج9، ص77.

⁴ - يُنظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.س، ج28، ص501.

وقيل هو "الواعظ"¹، وقيل "المرشد الهادي للخير والدال على طريق الرشد"²، والمرشد "هو الذي يدل على الطريق المستقيم قبل الضلالة"³.

قال الإمام أحمد: "فالدال: الله تعالى، والدليل: القرآن، والمبين: الرسول، والمستدل: أولو العلم، هذه قواعد الإسلام"⁴.

اصطلاحاً: المرشد - في الاصطلاح - المراد به الشيخ الذي "يقود السالك في طريق الحق"⁵، أو هو من "هذبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه"⁶، أو هو "المرشدُ الرُّوحِيُّ والزَّعيمُ الذي يشرف على الحياة الروحية لفرد أو جماعة"⁷.

ثانياً- أهمية الشيخ المرشد في فكر عبد السلام ياسين:

اهتم الشيخ عبد السلام ياسين ودعا إلى ضرورة وجود المرشد الروحي⁸، أي المرشد الذي يدللك ويرشدك على الله ويعلمك سبل الوصول إليه ويربيك على ذكر الله⁹.

- 1 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، د.ط، دار الدعوة، د.س، ج1، ص346.
- 2 - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، د.ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.س، ج1، ص209.
- 3 - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1403 هـ - 1983 م، ص208.
- 4 - تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط2، مكتبة العبيكان، 1418 هـ - 1997 م، ج1، ص55.
- 5 - أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م، ج2، ص895.
- 6 - الشيخ ابن عباد الرندي، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، ت: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، مصر، ج2، ص174.
- 7 - يُنظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م، ج2، ص895.
- 8 - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإسلام والحداثة، ط2، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 2000 م، ص244.
- 9 - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص29.

ويعتبر النبي ﷺ أول مرشد في الإسلام، ويعتبر الداعية إلى الله مرشداً إلى طريق الله لأنه يبصر الناس ويرشدهم إلى طريق الحق والهداية.

وقد بين الكثير من العلماء أهمية الشيخ المري المرشد، فقال أبو حامد الغزالي: "فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة؛ فمن سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير قد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المري بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا ييقي في متابعته شيئاً ولا يذر"¹.

وقد نقل الشيخ عبد السلام ياسين قول الإمام أبي حامد الغزالي والشيخ عبد القادر الجيلاني عن ضرورة مصاحبة الشيخ المرشد لما له من دور في الدلالة والسير إلى الله وفي الارتقاء بالنفس وبناء الأخلاق الحسنة.²

جاء في كتاب الرسالة القشيرية أن الأستاذ أبا علي الدقاق قال: "الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المري إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته"³.

ومن صفات المرشد أن يكون مؤمناً تقياً ورعاً صالحاً عارفاً بالشرعية، قال ابن تيمية: " فإن من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً"⁴.

ويجب على المرشد أن يعالج قلوب المريدين بحسب حالتهم، فيكون "معيار الدواء مأخوذاً من معيار

¹ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.س، ج3، ص76.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ص129-130.

³ - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، ت: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س، ج2، ص574.

⁴ - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط1، د. دار النشر، 1418 هـ، ج1، ص226.

العلة¹، ويجب على المرید أن لا یخالف أو یعترض علی شیخه²، فمثلاً: "إن كان المرید مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فیعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإن كان مشغولاً بمال حرام أو مقارفاً لمعصية فیأمره أولاً بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وظهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فیأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة"³.

ب - وسائل السلوك الجماعي:

أما بالنسبة لوسائل السلوك التي يجب أن تسلكها الجماعة، فتتمثل في:

1- الصحة والجماعة:

أولاً - معنى الصحة:

يقال في اللغة: "أصحابٌ وأصحابيبٌ وصُحبانٌ وصُحبانٌ وصُحبانٌ وصُحبانٌ وصُحبانٌ" ، ومعنى الصحة "وإن كانت تعم القليل والكثير لكن العرف خصصها [لمن كثرت ملازمته وطالت صحبته]"⁵، ومعنى الصاحب كما ذكره الراغب الأصفهاني: "الملازم إنساناً كان أو حيواناً، أو مكاناً، أو زماناً. ولا

¹ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.س، ج3، ص61.

² - ينظر، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، ت: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س، ج2، ص574.

³ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، د.ط، دار المعرفة - بيروت، د.س، ج3، ص61.

⁴ - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م، ج1، ص104.

⁵ - أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش - محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.س، ص558.

فرق بين أن تكون مُصَاحِبَةً بالبدن- وهو الأصل والأكثر-، أو بالعناية والهمّة"¹.

ثانيا- أهمية الصحبة والجماعة في فكر الشيخ عبد السلام ياسين:

إن أول الصحبة هي مصاحبة الله تعالى، وتكون باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، وغيرها. ثم تأتي الصحبة مع الرسول ﷺ وتكون باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه، ثم الصحبة مع الصحابة وأهل البيت وتكون بالترحم عليهم وقبول قولهم في الأحكام والسنن.

كذلك الصحبة مع أولياء الله وتكون باحترامهم وتصديقهم في أخبارهم عن أنفسهم ومشايخهم، والصحبة مع السلطان بالطاعة في غير معصية لله تعالى، والصحبة مع الأهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وحملهم على الطاعات وغيرها.

والصحبة مع الوالدين بودهما وخدمتها والدعاء لهما وإكرام أصدقائهما، والصحبة مع الإخوان ببذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح.

والصحبة مع الضيف بطلاقة الوجه وطيب القول وحسن إكرامه وغيرها"².

إن أول الخصال التي ينبغي سلوكها في الطريق لمقام الإحسان كما ذكر ذلك الشيخ عبد السلام ياسين ملازمة الصحبة والجماعة؛ صحبة شيخ عارف، ومصاحبة الصالحين، يقول: "أول خطوة في طريق الإحسان مجالسة، صحبة، محبة ترفع همتك، وتحذو سيرك، وتكنفُ يقظتك إلى المصير الأخروي، كيلا تفصل في وعيك وفقهك وعملك مصير الأمة الذي يطلب جهادا عن مصيرك الإحساني الذي يطلب مجاهدة نفسك"³.

¹ - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412 هـ، ص475.

² - يُنظر: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، آداب الصحبة، ت: مجدي فتحي السيد، ط1، دار الصحابة للتراث - طنطا - مصر، 1410 - 1990، ص117-118-119-120-121.

³ - عبد السلام ياسين، رسالة إلى الطالب والطالبة، ص38.

ويقول أيضا: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، ولا مدخل لك في هذا يا أخي، ولا مدخل لك يا أخي في هذا المضمار إلا بصحبة تفتح أمامك وأمامك المغالق وتحذو بركبك إلى عالم النور والرقائق. لذا أوصي بالصحبة والجماعة، بالصحبة في الجماعة"¹.

إن الصحبة الحسنة من أولى الخطوات التي تعيننا في طريقنا إلى الإحسان، وقد حث الشيخ عبد السلام ياسين على مجالسة الصالحين الناجحين، وحذر من مخالطة أصحاب السوء والمثبطين، ودعا إلى ضرورة الابتعاد عنهم، ويدل على ذلك قوله: "على أن المشايخ مجتمعون على فطام المرید عن رفقة السوء، وهي عدوة الصحبة في الله الأولى"²، هؤلاء المثبطين هم: "المتكلمون بغير علم ولا تثبت في الولاية، المشككون في طريقها"³.

إن الصحبة في الله تقتضي حب الأصحاب لبعضهم، والتحلي بالصفات والأخلاق الفاضلة فيما بينهم، وذلك أمر أساسي في تنظيم الجماعة، يقول عبد السلام ياسين: "ليست الصحبة تطبيقا مجردا للنصوص وامثالها جافا عسكريا للأوامر، إنما هي محبة تثبت وترسخ وتنمو وتتجذر في القلوب بالمشاركة والمخالطة والمعارضة"⁴.

ويقول أيضا: "الصحبة في الله محبة في الله وتآخ وتراحم يرتفع بها الوافد علينا في درجات حب الله وحب رسول الله ﷺ، والجماعة تنظيم، لا يمكن أن تجابه قوى الكفر والظلم وأنت شتات ورفات"⁵.

والصحبة الصوفية كما ذكر الشيخ عبد السلام ياسين نوعان: "صحبة للتزكية، وأسمي أصحابها صوفية زاوية، وصحبة للتزكية الفردية بنية الجهاد لتحديد الإسلام وهم صوفية رباط"⁶.

¹ - عبد السلام ياسين، وصيتي، ص18.

² - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج2، ص363.

³ - المرجع نفسه، ص363.

⁴ - المرجع نفسه، ج1، ص86.

⁵ - عبد السلام ياسين، رسالة تذكير، ص13.

⁶ - عبد السلام ياسين، رسالة الإسلام أو الطوفان، ص134.

وينبغي على الفرد الساعي لبلوغ مرتبة الإحسان أن ينضم إلى سلك الجماعة، لأن الجماعة تقويه وتعينه على السير في طريق الإحسان، يقول عبد السلام ياسين: "الأسس العملية التي ينبغي أن ينخرط فيها الفرد حتى يتدرج في مدارج الإيمان وصولاً إلى درجة الإحسان، وتلك هي الخصال العشر، والتي تبدأ بالصحبة والجماعة حيث في حضنها يتربى على خصال الخير كلها وفي الوقت نفسه هو يمارس الدعوة إلى الله عز وجل بما يسر الله له"¹.

وقد ركز الشيخ على الصحبة والجماعة وجعل "الصحبة في الله المؤدية إلى جماعة في الله هي مبدأ الحركة ووسطها ومعادها"².

إن الصحبة والجماعة شرط من شروط التربية الإيمانية³، فلا بد أن يرى الفرد تربية تقوي رابطته بالصحبة والجماعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب التركيز على تربية الجماعة تربية إيمانية إحصانية، بحيث يتم الربط فيها بين التربية الفكرية والتربية الوجدانية والتربية الحركية، يقول في ذلك: "التربية الإسلامية تخاطب أعمق ما في الإنسان وهو شعوره بالخواء والعبث ما دام بعيداً عن الله. ثم ترفعه في صحبة المؤمنين المتواصين الصابرين المتراحمين إلى طلب أسمى غاية وهي وجه الله والاستواء مع أصحاب الميمنة. الالتزام الإسلامي الإيماني الإحصاني ليس كالاتزام السياسي؛ فهذا لا يحتاج إلا لتربية الفكر، أما الدخول مع المؤمنين فيريد اندماجاً عاطفياً وفكرياً وحركياً في جسم الجماعة، اندماجاً لا ينقطع بانتهاء الحياة الدنيا بل يمتد إلى الحياة الأبدية"⁴.

التربية الإيمانية الإحصانية تتطلب العلم والعمل، وتتطلب التركيز على الإنسان وترويضه على الحق، كما أنها تستوجب تأسيس التنظيم المنهجي في حركته الأفقية اليومية والتاريخية على الشوق الذي يدفع

¹ - <https://yassine.net>، هيئة التحرير، حوار في الدعوة إلى الله في تراث الإمام وسيرته العطرة، التاريخ: 30 جانفي 2014م، الساعة: 10:00.

² - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج 1، ص 162.

³ - ينظر، عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص 72.

⁴ - المرجع نفسه، ص 29.

العبد على المكابدة واقتحام العقبة¹.

إن التربية الإيمانية الإحسانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلم، بل إن من عوامل الإخلال التربوي الجهل وعدم المعرفة الإسلامية، ولقد بين الشيخ عبد السلام ياسين ضرورة الفقه المنهاجي في سيرورة العمل الإسلامي، يشير إلى ذلك قائلا: "إن حاجتنا إلى علم إسلامي كحاجتنا إلى تربية إسلامية، بل إن علم الإسلام وفهمه مقدمة ضرورية للعمل الإسلامي. يظن بعض رجال الدعوة من المسلمين أن ضعف المسلمين في قصور اجتهادهم الفقهي. وهذا حكم سطحي لأنه يقدر أن البعث الإسلامي يكون بالتجديد القانوني وكأنه ليس بيننا إلا ضمائر مؤمنة متعطشة للمعرفة الإسلامية والعمل بها. والعلم الذي نحن بحاجة إليه هو (الفقه المنهاجي)"².

الفقه المنهاجي معناه: "فتح للتدبر والفهم بفتح القرآن، وفي ضمنه يتاح الاجتهاد الفقهي الشرعي والاجتهاد التربوي وهو أسبق، والاجتهاد الغائي المحول لمعاني الحياة على الأرض في معاملة المسلمين مع الطبيعة ومع الجاهلية ومع الفتنة بمعنيها"³.

إن الجماعة لها أهمية كبرى في فكر عبد السلام ياسين فهي تساعد على رفع الهمة وتخلص العبد من أنانيته الفردية وتربيته على الاندماج في المجتمع⁴، يقول الشيخ عبد السلام ياسين: "الصحبة تربي الفرد من أنانيته وتفتح له قابليات الاندماج في المجتمع... الصحبة تذهب الأنانية المتحجرة وتفتح قابليات العمل الجماعي بما تبذره من جذوره. وكفي تنبني على الصحبة جماعة لا بد أن يضاف إلى المحبة آخرا: أولهما الطاعة؛ طاعة محبة وثقة، وثانيها النصيحة"⁵.

يجب أن يجتمع في الصحبة والجماعة حسب ما ذكره الشيخ عدة أمور، منها: المحبة، الطاعة، النصيحة. وقد جعل الشيخ تحت خصلة الصحبة عدة شعب وهي:

محبة الله ورسوله ﷺ

1 - ينظر، عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 31.

2 - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص 88.

3 - المرجع نفسه، ص 88.

4 - ينظر، المرجع نفسه، ص 54.

5 - المرجع نفسه، ص 55.

التحاب في الله عز وجل
صحبة المؤمنين وإكرامهم
التأسي برسول الله ﷺ في خلقه
التأسي به ﷺ في بيته
الإحسان إلى الوالدين وذوي الرحم والصديق
الزواج بأدابه الإسلامية وحقوقه
قوامة الرجل وحافظية المرأة
إكرام الجار والضيف
رعاية حقوق المسلمين والإصلاح بين الناس البر وحسن الخلق

المبحث الثاني: مطلب العدل وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

توطئة:

يهدف هذا المطلب إلى إبراز قيمة مطلب العدل وألويته وتطبيقاته في دعوة الشيخ عبد السلام ياسين، وكما سبق وأشرنا فإن هذا المطلب يأخذ أهميته من حيث كونه يعد شعارا لبرنامج وحركة الشيخ عبد السلام ياسين.

يعتبر مطلب العدل بالنسبة للشيخ عبد السلام ياسين من أهم القضايا المقاصدية التي ركز اهتمامه عليها، بل اعتبره القاعدة المتينة والركن الركين في إقامة صرح الدولة الإسلامية، وعلى مداره صلاح الأمر كله¹، يقول: "العدل أم المصالح التي يقصد إليها الشرع؛ هو صُلب الدين، وحوله تُطيفُ همومُ المسلمين، وبه بعث الله الرسل والنبيعين، مبشرين ومنذرين"².

ويؤكد على مركزية العدل في برنامجه الدعوي، فيقول: "تتمزق أوصالنا إن تعرضنا لأول صعوبة وليس معنا الإحسان، تفشل محاولتنا إن غاب العدل في برنامجنا، بل إن لم يكن العدل أول بند وأوسطه وأبرزه في برنامجنا"³.

ويقول أيضا: "نريد في قومتنا عدلا بالإسلام والإيمان والإحسان لا بالكسْطِ الثوري تمارسه طبقة اجتماعية - اقتصادية على طبقة عدوة. في التصنيف القرآني يفترق الناس ثروة وفقرا، فيدفع الإثراء الظالم الاستغلالي إلى الترف الذي لا يحبه الله، ويدفع التفقيُرُ الظالمُ الفقراء إلى ما يشبه الكفر"⁴.

إن العدل قيمة إنسانية عظيمة، وقد حظي بمكانة عليا في الإسلام، وذلك لأن مصالح الخلق تتحقق بوجوده، وغيابه مؤذن بخراب وفساد العمران وانقطاع النوع البشري كما قال ابن خلدون في مقدمته⁵.

1 - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م، ص192.

2 - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص221.

3 - <https://yassine.net>، الإمام عبد السلام ياسين، العدل والإحسان شعار وبرنامج.

4 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج 2، ص442.

5 - ينظر، عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص322.

ومن كلام بعض الحكماء: "الأَدَبُ أَدَبَانِ: أَدَبٌ شَرِيعَةٌ وَأَدَبٌ سِيَاسَةٌ؛ فَأَدَبُ الشَّرِيعَةِ مَا أَدَّى الْفَرَضَ، وَأَدَبُ السِّيَاسَةِ مَا عَمَرَ الْأَرْضَ. وَكِلَاهُمَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَدْلِ الَّذِي بِهِ سَلَامَةُ السُّلْطَانِ، وَعِمَارَةُ الْبُلْدَانِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَرَكَ الْفَرَضَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَمَنْ خَرَّبَ الْأَرْضَ فَقَدْ ظَلَمَ غَيْرَهُ"¹.

وسنحاول من خلال هذا المبحث أن نبين مدلول العدل، وأنواعه، وأهميته، ثم نذكر الطرق الموصلة لتحقيقه في واقع العمل الدعوي المعاصر من خلال تصور ومنهج الشيخ عبد السلام ياسين.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف العدل

الفرع الأول: العدل لغة:

تدل لفظة العدل عند علماء اللغة على عدة معان، منها: الانصاف، القسط، الاستقامة، الحق، الاعتدال، والعدل ضد الجور والظلم والطغيان والميل والانحراف.

جاء في لسان العرب أن العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، والعدل اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل هو الحكم بالحق، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه²، "وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ"³.

وذكر الجرجاني أن العدل: "عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط"⁴، والاعتدال هو: تَوْسُطٌ حَالٍ بَيْنَ حَالَيْنِ، وَالْعَدْلُ: الْإِسْتِقَامَةُ، والعدل هو: المساواة في المكافأة، ويأتي العدل كذلك بمعنى الإقامة، يقال: عَدَلَ الْحُكْمَ، تَعْدِيلاً: أَقَامَهُ، والعدل: المثل، والنظير، الْعَدْلُ: الْكَيْلُ، وَقِيلَ: الْجَزَاءُ، وأيضا

¹ - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص134.

² - ينظر، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر - بيروت، 1414 هـ، ج11، ص430.

³ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الأهلوال، ت: مجدي فتحي السيد، د.ط، مكتبة آل ياسر - مصر، 1413 هـ، ص195.

⁴ - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1403 هـ - 1983م، ص147.

قد يأتي العدل بمعنى: الْفَرِيضَةُ، فَسَّرَ ابْنُ شُمَيْلٍ الحديثَ: (لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ)¹، ويُقال: هُوَ النَّافِلَةُ، وقيل: هُوَ الْفِدَاءُ، ويُقال: الْعَدْلُ: السَّوِيَّةُ، وَعَدَلَ عَنْهُ، يَعْدِلُ، عَدْلًا، وَعُدُولًا: حَادًا²، وقال الفراء: (العدل) بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه، و(عدل) عن الطريق؛ جار، و(عدلت) فلانا بفلان؛ إذا سويت بينهما³.

الفرع الثاني: العدل اصطلاحاً:

فسر ابن عباس كلمة العدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾⁴، بأن: "العدل شهادة أن لا إله إلا الله"⁵.

وجاء عن قتادة ومجاهد ومقاتل أن العدل سمي "مِيزَانًا لِأَنَّ الْمِيزَانَ آلَةُ الْإِنْصَافِ وَالتَّسْوِيَةِ"⁶، وجاء عن "سفيان بن عيينة أن العدل استواء السريرة والعلانية في العمل"⁷، والعدل "مَأْخُودٌ مِنَ الْإِعْتِدَالِ، فَمَا جَاوَزَ الْإِعْتِدَالَ فَهُوَ خُرُوجٌ عَنِ الْعَدْلِ"⁸.

- 1 - رواه الطبراني في الكبير برقم: (7547)، والبيهقي في القضاء والقدر برقم: (432)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (323)، والرويان في مسنده برقم: (1191).
- 2 - ينظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.س، ج29، ص 443-444-446-448-449.
- 3 - يُنظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ / 1999م، ص202.
- 4 - النحل: 90.
- 5 - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيشي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، ج3، ص95.
- 6 - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417 هـ - 1997 م، ج7، ص188.
- 7 - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ، ج7، ص454.
- 8 - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص141.

وقد ذكر ابن عطية في تفسيره قول القاضي أبي محمد في تعريفه للعدل بأنه "فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق"¹.
وعرفه ابن تيمية بأنه: "وضع كل شيء في موضعه"²، و"إعطاء كل ذي حق حقه"³.
وحد العدل كما عرفه ابن حزم: "أن تُعْطِي من نَفْسِكَ الْوَأَجِب وتَأْخُذُهُ، وحد الجور أن تَأْخُذَهُ وَلَا تعْطِيه"⁴.

قال الراغب الأصفهاني: "العدل لفظة تقتضي معنى المساواة، ولا تستعمل إلا باعتبار الإضافة، وهي في التعارف إذا اعتبرت بالقوة فهية في الإنسان يطلب بها المساواة، فإذا اعتبرت بالفعل فهو التقسيط القائم على الاستواء، وإذا وصف الله تعالى بالعدل فليس يراد به الهيئة وإنما يراد به أن أفعاله واقعة على نهاية الانتظام، فالإنسان في تحري فعل العدالة يكون تام الفضيلة إذا حصل مع فعله هيئة مميزة لتعاطيه، فقد يقع فعل الإنسان موصوفاً بالعدل ولا يكون ممدوحاً به نحو أن يقسط مرآة أو توصلاً إلى نفع دنيوي أو خوف عقوبة السلطان"⁵.

أما بالنسبة لتعريف العدالة في الشريعة كما أوردها الجرجاني فهي: "عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور ديناً"⁶.

¹ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1422 هـ، ج3، ص416.

² - ابن تيمية، الاستقامة، ت: د. محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، 1403، ج1، ص464.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص168.

⁴ - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1399 هـ - 1979 م، ص33.

⁵ - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، د.ط، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م، ص249.

⁶ - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ت: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1403 هـ - 1983 م، ص147.

أما بالنسبة للظلم فقد عرفه الراغب الأصفهاني بأنه: "الانحراف عن العدل، ولذلك حدَّ بأنه: وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به"¹، وذكر أيضاً أن "الجور: هو الخروج عن الوسط بزيادة أو نقصان"².

وقد حدد الشيخ عبد السلام ياسين وحركته الدعوية مفهوم العدل بأنه: "إحقاق لحقوق الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما يضمن التوازن والقسط في المجتمع ليكون البساط الملائم والمهياً لتلبية نداء الإحسان بما هو توبة مستمرة، وعبودية كاملة لله عز وجل، ورفي فردي في معارج القربى من الله سبحانه، وترق جماعي في سلم القيم الفطري"³.

إن مفهوم العدل نسبي، تختلف موازينه من بلد إلى آخر حسب النظام العام لذلك البلد، ولكن توجد أمور مشتركة يمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: العدل الوضعي وهو الذي تحكمه سلطة البشر، فالمجتمعات تحدد مصالحها الفردية أو الجماعية، فهم يستطيعون أفراداً وجماعات إقامة نظام عام يمكن أن ينشأ في ظله ميزان أو أكثر للعدل، وهذا الضرب من العدل هو نتاج التفاعل بين التوقعات والظروف القائمة، ويخضع هذا النوع من العدل لعملية التغيير الاجتماعي فينمو ويحسن بإسهامات الأجيال المتعاقبة.

القسم الثاني: العدل الإلهي وهو يمتزج بالدين والأخلاق ويتطابق مع العقل، وهذا النوع تحكمه السلطة الإلهية، وهي سلطة أعلى من سلطة البشر، وهذا العدل نابع من مصدر سام، وهو صالح للتطبيق على كل البشر، وله التأثير الأقوى والدائم في إقامة العدل.⁴

وقد ذكر الشيخ عبد السلام ياسين مفهوماً خاصاً للعدل، يقول: "وقد اكتسب العدل معنى متخصصاً هو إعطاء الحقوق لأهلها. ونستعملها نحن بمعنى موسع مأخوذ من أصله اللغوي، فالعدل ميل

¹ - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص253.

² - المرجع نفسه، ص250.

³ - <https://www.aljamaa.net>، هيئة التحرير: جماعة العدل والإحسان (7)، الفصل الرابع: المنهاج الدعوي، التاريخ: 29 نوفمبر 2018م، الساعة: 10:00.

⁴ - يُنظر: مجدي خدوري، مفهوم العدل في الإسلام، ط1، دار الحصاد، دمشق، سوريا، 1998م، ص15-16.

عن الشيء إلى غيره وهو توازن وقسط. بهذا المعنى الحركي نستعمل العدل، ويقابله الظلم بمعناه اللغوي الأصلي وهو وضع الأشياء في غير مواضعها¹.

المطلب الثاني: أهمية مطلب العدل ومكانته في فكر عبد السلام ياسين

للعدل قيمة كبرى ومكانة رفيعة، وأهميته تتجلى في تخصيصه بالعديد من الآيات القرآنية، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾². وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾³. وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁴.

وورد في السنة النبوية قوله ﷺ: (إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين)⁵. كما ذكر النبي ﷺ أن العدل من أعظم أنواع الجهاد، قال ﷺ: (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)⁶.

قال رسول الله ﷺ: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنَّا، يَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ حَوْرًا)⁷.

1 - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص 65-66.

2 - سورة النساء، الآية: 58

3 - سورة الحجرات، الآية: 9

4 - سورة النحل: 76.

5 - المحافظ جلال الدين السيوطي - العلامة محمد ناصر الدين الألباني، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، ط3، دار الصديق، 1430 هـ - 2009 م، رقم الحديث 5214، ج2، ص 852.

6 - الترمذي، الجامع الكبير - سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، رقم الحديث 2174، ج4، ص 41.

7 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، رقم الحديث 773، ج2، ص 163.

وروي عن النبي داود عليه السلام أنه قال: (أَوْصَانِي رَبِّي

عَزَّ وَجَلَّ بِتَسْعِ حِصَالٍ: أَوْصَانِي بِحَشِيَّتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الْعُضْبِ وَالرِّضَا، وَالْإِقْتِصَادِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ نَظْرِي عِبْرًا، وَصَمْتِي تَفَكُّرًا، وَقَوْلِي ذِكْرًا) ¹.

وقد بين النبي ﷺ منزلة المقسطين عند الله، فقال ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن

يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) ².

وقد ذكر بعض البلغاء كلاما معبرا عن العدل جاء في قولهم: "إِنَّ الْعَدْلَ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ لِلْخَلْقِ، وَنَصَبَهُ لِلْحَقِّ، فَلَا تُخَالِفُهُ فِي مِيزَانِهِ، وَلَا تُعَارِضُهُ فِي سُلْطَانِهِ، وَاسْتَعِنَ عَلَى الْعَدْلِ بِخُلَّتَيْنِ: قَلَّةُ الطَّمَعِ، وَكَثْرَةُ الْوَرَعِ" ³، فالمزيد من الورع والتقوى يجعل المؤمن حريصا على تطبيق العدل وتجنب الجور والظلم لأنه جرم كبير عند الله تعالى، والمزيد من القناعة والاكتفاء والرضا بما قسمه الله، تجعل المؤمن عادلا لأنه لا يبتغي شيئا من أحد، بل طلبه تحقيق الحق ونصرة المظلوم ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء ثوابه.

ومن بين أهم الأمور التي يجب أن يكرس فيها مبدأ العدل في الإسلام هو مجال القضاء: والدليل على ذلك قوله ﷺ: (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ف قضى به. ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار) ⁴.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيا، فقلت: يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السنن ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: (إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس

¹ - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ت: محمد عبد القادر عطا، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1414هـ - 1993م، ص328.

² - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث 1827، ج3، ص1458.

³ - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص139.

⁴ - أبو داود، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، باب في القاضي يخطئ، رقم الحديث 3573، ج3، ص299.

بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء¹. قال: فما زلت قاضيا، أو ما شككت في قضاء بعد"، وهذه قاعدة في العدل، إذ ليس من العدل الحكم على الآخر دون السماع منه، وقال الإمام الشافعي: "الحكم بين الناس يقع على ما يسمع من الخصمين بما لفظوا به، وإن كان يمكن أن يكون في قلوبهم غير ذلك"².

ووظيفة القضاء من أثقل المسؤوليات وأشقها، ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ: (لتأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط).³ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ويل لديان من في الأرض، من ديان من في السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل، وقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغب، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه"⁴.

إن العدل والانصاف من أعظم القيم الإسلامية والحضارية، ودولة الإسلام لا بد أن تقيم العدل في الأرض، وتحرص حرصا بالغا على تحقيق هذا المطلب السامي، فينتشر العدل في الأرض ويعم السلام والأمان، "وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ، الْأَمْنُ أَهْنَأُ عَيْشٍ، وَالْعَدْلُ أَقْوَى جَيْشٍ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَفْبِضُ النَّاسَ عَنِ مَصَالِحِهِمْ، وَيَحْجِزُهُمْ عَنِ تَصَرُّفِهِمْ، وَيَكْفُهُمْ عَنِ سَبَابِ الْمَوَادِّ الَّتِي يَمَّا قِيَامُ أَوْدِيهِمْ وَأَنْتِظَامُ جُمَلَتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَدْلِ، وَالْجُورَ مِنْ نَتَائِجِ مَا لَيْسَ بِعَدْلٍ"⁵.

إن العدل يولد المحبة والتآخي بين الناس، والعدل يحقق مجتمع الأمن والسلام، والعدل سمة وشرط من

¹ - أبو داود، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، باب في القاضي يخطئ، رقم الحديث 3582، ج3، ص 301.

² - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1379، ج13، ص175.

³ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1421 هـ - 2001 م، رقم الحديث 24464، ج41، ص11.

⁴ - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م، باب إثم من أفتى، أو قضى بالجهل، رقم الحديث: 20359، ج10، ص200.

⁵ - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص142.

شروط النهضة والتطور في جميع الميادين.

وقد اهتم عبد السلام ياسين بقضية العدل والانصاف، العدل الشامل كما يسميه، "القسط العدل بمعناه الشامل: الاستقامة في حقوق الله وفي حقوق العباد"¹، "والقسط إلى كل الناس مهما كانت عقيدتهم مبدأ قرآني، من حقهم المضمون شرعا، المأمور به، أن لا يظلم منهم أحد، بل يبر ويحسن إليه"².

لقد جعل عبد السلام ياسين مبدأ العدل مقصدا ومطلبا يتصدر كل المطالب، فالعدل كما يعبر عنه مطلب رباني ومطمح تتطلع إلى تحقيقه كل طوائف الأمة الإسلامية المستضعفة³، يقول: "يتصدر مطلب العدل كل المطالب في البرامج السياسية الجادة. والعدل الذي أمر الله به -إقامته والتهيء لقيامه- أهم ما تتطلع إليه الأمة المسلمة وتشرب إلى تحقيقه طوائف الأمة المستضعفة في الأرض، أمة الإسلام"⁴.

وإنه من حقوق المسلم على الدولة رعاية مقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيق العدل، يعبر عبد السلام عن ذلك بقوله: "حقوق المسلم على الدولة العدل والأمن وضمأن مقاصد الشريعة وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العرض، وحفظ المال، وحفظ النسل. حقوق ضرورية هي الحد الأدنى مما يستحقه المسلم على دولة الإسلام. وفي تكارم المسلمين وتوادهم وتعاطفهم وأخوتهم مجال للرخاء المادي والمعنوي. فحقوق المسلم الفرد على المسلمين أفرادا تفصلها الشريعة، فهي من الدين، هي دين"⁵.

إن العدل من أولويات العمل الدعوي المعاصر في فكر الشيخ عبد السلام ياسين، يقول: "فالعدل عقيدتنا وديننا"⁶، ويقول: "إنما ندعو إلى عدل الإسلام وأخوة الإسلام وتكافل المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى كما أمر الله عز وجل"⁷.

1 - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 221.

2 - عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ص 127.

3 - يُنظر، عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 5.

4 - المرجع نفسه، ص 5.

5 - عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ص 126.

6 - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 500.

7 - المرجع نفسه، ص 8.

إن العدل أساس في مشروع الخلافة وفي بناء مجتمع العمران الأخوي، يقول الشيخ عبد السلام ياسين: "العدل هو عماد العمران، أخويا كان أو مدنيا قانونيا"¹، وقد خصص كتابا كاملا أسماه "العدل: الإسلاميون والحكم"، الذي يعتبر من أمهات كتبه، وقد بين فيه أهمية العدل والانصاف في الإسلام، وسطر فيه أهدافه ومقاصده العدلية، والتي ذكر منها: مطلب إقامة حكم إسلامي أساسه وقاعدته "العدل" وجماله "الإحسان"²، وذلك في جميع الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك، وهذه النظم لا بد أن تمتاز بخاصية التجديد حتى تكون مواكبة للزمان، يقول عبد السلام ياسين: "ليس التجديد تغييرا للثابت من شرع الله، فإن أحكام الكتاب والسنة ماضية إلى يوم القيامة... لا نرتاب أن الاجتهاد ضروري لتكييف حياة العصر مع شرع الله، فهو تسليم العصر لا عصرنة الإسلام"³.

نظام الحكم في الإسلام - كما يقول عبد السلام ياسين - لا بد أن: "يؤسس نظاما اقتصاديا سياسيا أخلاقيا إيمانيا متجددا بتجدد إيمان المسلمين، فاعلا ناجعا في إقامة صرح الإسلام من ركام الخراب الديني والمادي والنفسي الذي يُعانيه المسلمون من جراء هزيمتهم التاريخية أمام الغزو الجاهلي الشامل الذي تتمثل صيغته الحالية في حقائق العولمة"⁴.

إن العمل الدعوي عند الشيخ عبد السلام ياسين، يكتسي بعدا شموليا متوازنا، أفراده غير منعزلين ومعزولين في برج السلوك الروحي وأنانية التطهر الذاتي، وحركته ليست مركونة في ركن قصي من السياسة أو الفكر، لكن وفق سلم الأولويات يبقى طلب إحقاق العدل مجرد وسيلة خادمة للغاية الأسمى وهي تحقيق العبودية لله عز وجل⁵، ويذكر الشيخ كذلك أنه: "لا معنى للإسلام وهو دين العدل ومقاومة الاستكبار ونصرة المستضعفين، إن لم يحل عقدة البشرية المزمنة: الظلم"⁶.

1 - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص222.

2 - يُنظر: المرجع نفسه، ص7.

3 - <https://yassine.net>، تجديد الدين والإيمان، الإمام عبد السلام ياسين، التاريخ: 3 ديسمبر، 2019، الساعة: 10:00.

4 - عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص7.

5 - يُنظر: <https://yassine.net>، هيئة التحرير، الفصل الرابع: المنهاج الدعوي.

6 - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص376.

ويقول: "ننطلق من محاربتنا الكلية للظلم بشطريه: الظلم الأعظم وهو الخروج عما فرضه الله على الأمة من إيمان به وتطبيق لشريعته، والظلم الأعمى وهو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان واحتقاره واستزاده"¹.

إن الظلم يؤدي إلى الخراب، أما العدل فيحقق الأمن، فلا أمن مع الظلم²، يقول الشيخ ياسين: "إن الأمن الاقتصادي والعسكري، والاستقرار السياسي والاجتماعي، غائبان عزيزان في حياة الأمة تحت أنظمة الجور. ولن نحتفل برجوعهما للأمة إلا بعد الإسلام، عدل بيني ما خربه الظلم، ويجيي ما أماته، ويحرك ما أخمده، وينير ما أظلمه"³.

1 - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، العدد الأول، ص32.

2 - يُنظر: عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص210.

3 - المرجع نفسه، ص199.

المطلب الثالث: أقسام العدل حسب الشيخ عبد السلام ياسين

تعددت تقسيمات العدل بين الباحثين، فمنهم من قسم العدل باعتبار إطلاقه وتقييده، فالعدل المطلق متفق بالعقل على حسنه في كل الأزمنة وفي كل الحالات، أما العدل المقيد: وهو العدل الذي يقتضيه الشرع، وهذا النوع من العدل قد يكون خاضعا للتغير في بعض الظروف والحالات الاستثنائية، ومثاله: مقابلة السوء بمثله كحالة القصاص وأروش الجنایات، وزوال ملكية أموال المرتد، ففي هذه الحالات يمكن أن يوصف على المجاز في بعض الأحوال بالجور والظلم والتعسف¹.

ومنهم من قسم العدل إلى: عدل اعتقادي وعدل معاملاقي وعدل في الأعمال، "فالعدل في الاعتقاد هو التوسط بين الوثنية والمادية، وفي الأعمال عدل الحكام، والتيسير في الدين التوسط بين التساهل والتشدد، وفي المعاملات معاملة المرء نفسه بمنعها مما يضر بها من شهواتها وتخويلها ما ينفعها من مرغوباتها، وبينه وبين الخلق ببذل النصيحة بلطف وترك الخيانة والإنصاف من نفسه لهم، وأن يمسك عن أذاهم ولا يدع من يجترئ عليه منهم"².

ومنهم من قسم العدل بحسب المجالات: سياسية، اقتصادية، اجتماعية... وغيرها.

والأصل في العدل أن يبدأ من عدل الإنسان في حق ربه، ويكون بعبادته وحده وعدم الإشراف به، فالشرك ظلم عظيم³، ثم ينتقل إلى عدل الإنسان مع نفسه ثم العدل مع غيره. قال أبو الحسن الماوردي: "فَإِذَا كَانَ الْعَدْلُ مِنْ إِحْدَى قَوَاعِدِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا انْتِظَامَ لَهَا إِلَّا بِهِ، وَلَا صَلَاحَ فِيهَا إِلَّا مَعَهُ، وَجَبَ أَنْ نَبْدَأَ بِعَدْلِ الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ بِعَدْلِهِ فِي غَيْرِهِ. فَأَمَّا عَدْلُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَكُونُ بِحَمْلِهَا عَلَى الْمَصَالِحِ، وَكَفِّهَا عَنِ الْقَبَائِحِ، ثُمَّ بِالْوُقُوفِ فِي أَحْوَالِهَا عَلَى أَعْدَلِ الْأُمُورِ مِنْ تَجَاوُزِ أَوْ تَقْصِيرِ، فَإِنَّ التَّجَاوُزَ فِيهَا جَوْرٌ، وَالتَّقْصِيرَ

¹ - يُنظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، د.ط، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م، ص250.

² - جبهة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1436 هـ - 2015 م، ج1، ص311.

³ - يُنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، ط2، دار العاصمة، السعودية، 1419 هـ / 1999 م، ج1، ص106.

فِيهَا ظُلْمٌ، وَمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَهُوَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمٌ، وَمَنْ جَارَ عَلَيْهَا فَهُوَ عَلَى غَيْرِهِ أَجْوَرٌ¹.

وجاء في كتاب "الذريعة إلى مكارم الشريعة" أن: "الذي يجب أن يستعمل الإنسان معه العدل خمسة أشياء:

الأول: بينه وبين رب العزة - عز وجل - بمعرفة توحيدهِ وأحكامهِ.

والثاني: بين قوى نفسه، وذلك بأن يجعل هواه مستسلماً لعقله، فقد قيل: أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

والثالث: بينه وبين أسلافه الماضين في إثثار وصاياهم والدعاء لهم.

والرابع: بينه وبين معامليه في أداء الحقوق، والإنصاف في المعاملات من البيع والشراء والكرامات وجميع المعاوضات والإجازات.

والخامس: بث النصفة بين الناس على سبيل الحكم، وذلك إلى الولاة وخلفائهم².

أما الشيخ عبد السلام ياسين فقد اعتمد على تقسيم العدل إلى قسمين: عدل سياسي متعلق بالحكم، وعدل اجتماعي اقتصادي متعلق بالقسمة، يعبر عن ذلك بقوله: "العدل برنامجنا الواضح لتتحد عليه جهود الصادقين وتلتف حوله جماهير الأمة. يكون عملنا اضطرابا عقيما على وجه الأحداث، وعملا غير صالح بمعيار القرآن، إن لم نحمل في قلوبنا وعقولنا نية العدل، وإن لم تمض عزائمنا وأعمالنا لتحقيق العدل: العدل في الحكم، والعدل في القسمة، بهما جاء شرع الله ربنا"³.

وقد خصص كلمة "عدل للحكم والقضاء، وكلمة قسط للإنصاف في القسمة"⁴، ففرق بين العدل

¹ - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م، ص139.

² - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت. د. أبو يزيد أبو زيد العجمي، د.ط، دار السلام - القاهرة، 1428 هـ - 2007 م، ص251.

³ - <https://yassine.net>، الإمام عبد السلام ياسين، شتنبر 1987... كتب الإمام رسالة "العدل والإحسان"، التاريخ: 29 نوفمبر 2017، الساعة: 12:00.

⁴ - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص192.

الحكمي والقضائي، والعدل الاجتماعي والاقتصادي، يقول في ذلك: "نخصص لنلح على أن القسمة العادلة للمال والأرزاق مطلب شرعي لا يقل أهمية عن مطلب العدل الحكمي والقضائي"¹.

ويقول أيضا: "أن تكون إعادة القسمة وإحلال عدل الإسلام ورخاء الإسلام القاعدة المادية التي يحتل البناء وينهار بدونها فإنه إن زعم زاعم أنه يحكم بما أنزل الله ثم يبقي قوما في المهنة والترف، وقوما في الكدح والبؤس، فإنما هو زعم وباطل، تكذب فيه الحقائق الأولية النافحين في البوق. ولا بد في ذلك من تدرج حتى يكبح جماح الرأسمالية والأناثية الطبقية دون أن تكسر عجلة الاقتصاد"².

كما فرق الشيخ بين العدل الجاهلي والعدل الإسلامي، يقول في ذلك: "العدل الجاهلي توزيع للرزق بالمعركة والكيد السائدين في مجال الاقتصاد، والعدل الإسلامي عدول عن الترف في الدنيا إلى مواجهة الواجب الإلهي"³.

إن استقامة أمر المسلمين لا تصلح دون الخضوع لنظام إسلامي عادل قائم على تحقيق أهداف الإسلام الجماعية والفردية، يقول الشيخ ياسين: "زحف المسلمين إلى الحكم هدفه استعمال سلطة الدولة لفرض الحكم بما أنزل الله. وما أنزل الله في حق المجتمع هو العدل، وإنصاف المظلوم والمحروم"⁴.

ويقول أيضا في نفس السياق: "إن إقامة العدل والقسط ركن ركين في صرح الدولة الإسلامية، وعلى إقامتهما مدار صلاح الحكم، والاقتصاد، والشورى، والإدارة، والأمر كله. فإن مجتمعا تكون مقاليد الثروة فيه في يد طائفة من الناس لن يلبث أن تعكس قوانينه مصالح هذه الطائفة وأن يستولوا بواسطة قوانين الجور، أو تحريف الكلم عن مواضعه، على السلطان. فإذا كان السلطان والمال، ومن شأنهما أن يتآلفا، مجتمعين في يد طبقة فإن أجهزة الدولة ومحاكمها تدين لقانون الغالب. فباختلال القسط يحتل العدل"⁵.

1 - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص192.

2 - عبد السلام ياسين، القرآن والنبوة، ص79.

3 - عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ص37.

4 - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص220.

5 - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص192.

العدل السياسي قائم على تحقيق العدالة في الحكم والقضاء، والعدل الاقتصادي والاجتماعي يتمثل في العدل في القسمة من خلال التوزيع العادل للأموال والثروات، والانصاف بين الناس، يقول الشيخ ياسين: "فالعدل بين الناس في الحكم، والعدل في الأرزاق حين تُنتجُ وحين تُقسم، والعدل تنشده أمة الإسلام اقتضاءً من النظام العالمي العولمي الطاعني في الأرض، والعدل بين الناس جميعاً أبيضهم وأسودهم مطالب أساسية ينبغي أن تصدر برامج الإسلاميين وهم على عتبة المسؤولية عن الحكم"¹.

"كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وَجُوهٌ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَ النَّاسِ فَأَكْرَمُ وَجُوهَ النَّاسِ فَيَحْسَبُ الْمُسْلِمُ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصَفَ فِي الْحُكْمِ وَالْقِسْمَةِ"².

يقول عبد السلام ياسين: "وما وظيفة الحاكم أول شيء إلا السهر على أن لا يأكل القوي الضعيف ليحصل الأمن الداخلي. ولا يتقاضى الناس غالباً إلى القاضي إلا لقسمة أسيتت أو نزاع راجع لسوء قسمة"³.

جاء في كتاب الاستقامة لابن تيمية أن: "الحاكم مَقْصُودُهُ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَحَيْثُ تَعَذَّرَ الْعَدْلَ الْحَقِيقِيَّ لِلتَّعَذُّرِ أَوْ التَّعَسَّرَ فِي عِلْمِهِ أَوْ عَمَلِهِ كَانَ الْوَاجِبَ مَا كَانَ بِهِ أَشْبَهَ وَأَمْثَلَ وَهُوَ الْعَدْلُ الْمَقْدُورُ"⁴، كما ذكر تفضيل الناس للملوك الذي يتحرون العدل ويتجنبون ظلم الرعية حتى وإن كانوا ممن يظلمون أنفسهم بارتكاب الفواحش، يعبر عن ذلك بقوله: "نجد النَّاسَ يَفْضَلُونَ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُلُوكِ وَنَحْوِهِمْ إِنَّمَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ بِشَرْبِ الْخَمْرِ وَالرِّزَا أَوْ الْفَوَاحِشِ وَيَتَجَنَّبُ ظِلْمَ الرَّعِيَةِ وَيَتَحَرَّى الْعَدْلَ فِيهِمْ عَلَى مَنْ كَانَ يَتَجَنَّبُ الْفَوَاحِشَ وَالْخَمْرَ وَالرِّزَا وَيَنْتَصِبُ لظلم النَّاسِ فِي نَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ"⁵.

1 - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص5.

2 - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف، ت: د نجم عبد الرحمن خلف، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1411هـ/1990م، ص212.

3 - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص192.

4 - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، الاستقامة، ت: د. محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، 1403، ج1، ص8.

5 - المرجع نفسه، ص466.

إن الحكم اليوم كما يصرح الشيخ عبد السلام ياسين حكم قهري ظالم، يقول: "الحكم في يد حكام ظلمة دارت بهم رحا القدر، فانتزعوا الدولة من يد الدعوة، وتحكموا في المال والقوة حتى لم يبق لأهل القرآن من خيار إلا أن يطيعوهم فيضلوا أو يعصوهم فيقتلوا"¹.

إن من آثار الحكم الجائر كما يوضح ذلك الشيخ ياسين خلق فجوة واسعة، فجوة الفقر والجهل والمرض²، والتي من أهم أسبابها قيام المستكبرين المتسلطين بتهريب أموال الدولة وكنزها وإنفاقها على الترف واللهو³، "وقد برهنت الأحداث على أن حكام الجبر، سواء رفعوا شعار الليبرالية وتحالفوا مع غرب الجاهلية، أو فرضوا نظام القمع الاشتراكي واستندوا لشرقها، فشلوا الفشل الذريع في ميدان الاقتصاد وتوزيع الخيرات، كما فشلوا أمام العدو الصهيوني الغازي وعلى كل الجبهات؛ فجوة التخلف الاقتصادي والحضاري، وفجوة تدهور الأخلاق وفساد الضمائر، وفجوة الحقد الطبقي الذي تولد عن ظلم المستكبرين، فجوة معنوية، خلقية، روحية لا يغني في تضييقها وطمسها وازع السلطان وحده، إنما يغني وازع القرآن، يؤيده وازع القوة"⁴.

أما بالنسبة لقضية العدل الاجتماعي فيذكر الشيخ عبد السلام ياسين أن: "العدل الاجتماعي طلبية كل المستضعفين وطلبتنا. والعدل القضائي شرط فيه مشروط. وما سمي الحكم الجبري جبريا إلا لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، فيظلم الظلم الأكبر، وهو الاشتراك مع الله عز وجل في حاكميته. ومن هذا الظلم يتفرع ظلم القضاء، وفساد المحاكم، وتفشي الرشوة، والإدلاء بالأموال في الباطل. هما عدلان متلازمان: عدل الحكم وعدل القسمة، وفي الشريعة السمحة سعة لإنصاف المستضعفين، وإقامة توازن إسلامي في الاقتصاد إن كان الحاكم مقسطا وموفقا. فجند الله يوم يلون السلطان موفقون إن شاء الله بتأييد من عند مولاهم، وعليهم بذل الجهد ليؤسسوا مراقبة صارمة تمكن من تطبيق حكم الله"⁵.

¹ - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 75.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما، ص 220.

³ - يُنظر: المرجع نفسه: ص 227.

⁴ - المرجع نفسه، ص 220-221.

⁵ - المرجع نفسه، ص 273-274.

لقد حث الإسلام على ضرورة إقامة العدل في مختلف نواحي الحياة، ومنها القضاء والإدارة والاقتصاد والنظام الاجتماعي، وحرص على ضرورة التحلي بالقسط والإنصاف لدى القضاة والحكام، وحذر من الظلم والمحسوبية وتضييع الحقوق والممتلكات، ولا يقتصر العدل على هذا فقط، بل يشمل أيضا قضاء الحاجيات الأساسية، وضمان متطلبات العيش الكريم، كالرعاية الصحية والتعليم واستصلاح الأراضي الزراعية وحفر الآبار في المناطق الريفية وتوفير الخدمات¹.

¹ - ينظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص274-275.

المطلب الرابع: منهج عبد السلام ياسين في الدعوة إلى مطلب العدل

اعتمد عبد السلام ياسين في منهجه الدعوي لتحقيق مطلب العدل، على ضرورة البحث عن الوسائل والآليات التي تمكن الدعاة "جند الله" القائمين بالقسط من تحقيق هذا المطلب الهام، والذي اشترط فيه شرطان رئيسيان وهما: "الفهم" و"القدرة"¹، فالداعية بحاجة إلى أن يمتلك قوة الفهم وعمقه، وأن تتوفر له المقدرة حتى يتمكن من تحقيق مطلب العدل على أرض الواقع.

كما يجب على الداعية القائم بالقسط كما يعبر عنه عبد السلام ياسين، أن يكون يقظا وفطنا ونبيها، نابذا حب الدنيا رأس الخطايا المهلكة².

ونظرا لعدم إمكانية الإحاطة بفكر عبد السلام ياسين بصفة كلية، فقد ارتأيت حصر القضايا التي اعتمد عليها في تحقيق مطلب العدل، وذلك حسب ما استنتجته من خلال قراءة كتبه، وذلك فيما يلي:

الفرع الأول: الدعوة إلى فهم الانحراف التاريخي وعلاقته بتغييب العدالة:

كان مطلب العدل في مجتمع الجزيرة العربية القبلي يخضع ميزان العدل لمقتضيات البقاء، لذلك كان يتخذ في الغالب شكل الجزاء السلبي مثل الانتقام ودفع فدية الدم، بدلا من الأشكال الإيجابية من إنصاف وتوازن واعتدال. ومنذ مجيء الإسلام تغيرت موازين العدل، وميز النبي ﷺ بين الأفعال العادلة والأفعال الظالمة، غير أننا لا نجد عناصر محددة تشير إلى عناصر العدل وطريقة تحقيقه في الحياة، لذلك اهتم العلماء بهذا الموضوع وسعوا إلى استخراج عناصره من المصادر الموثوقة ومن الأحكام والقواعد الموجودة في كتب المفسرين، وكان أغلب العلماء يشعرون بأنهم ملزمون بقبول تأويل معيار العدل كما وضعه أسلافهم أكثر من قبول معيار الذين كانوا يسعون إلى إحداث تغييرات جذرية فيه، وذلك حفاظا على المعاني الحرفية للنصوص الموثوقة³.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص7.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص67.

³ - يُنظر: مجدي خدوري، مفهوم العدل في الإسلام، ط1، دار الحصاد، دمشق، سوريا، 1998م، ص 25-26-27.

لقد اجتهد العلماء في ما سكت عنه الشرع فيما يتعلق بقضايا العدل والقسط، وفقا لضوابط وأصول الشريعة، وقد تحدث عن ذلك عبد السلام ياسين في قوله: "وقد بين ﷺ ضوابط العدل وقوانينه، وأصوله وفروعه، وأنصاء القسط، وقسمته، وأمناءه، فلا مجال أن يحيف حائف عن العدل، ولا أن يتقول متقول في وجوب القسط، وكيفيات كل ذلك وقواعده. وما سكتت عنه شريعة ولم يرد فيه نص من شؤون العدل والقسط، مما يتلبس بالظروف الطارئة، فالاجتهاد وفق الضوابط والقواعد والأصول شرع"¹.

ويرجع عبد السلام ياسين أسباب غياب العدل في عالمنا الإسلامي إلى العوامل التاريخية والانحراف التاريخي الذي حول مجرى الحياة ففقدت الأمة الإسلامية بالتدرج مقوماتها، فقدت الشورى وغاب الإحسان والعدل، وحلت الأنظمة الاستبدادية، وانخدع الناس بما يسمى بالخلافة الأموية والعباسية وغيرها، ولو نظروا في حقيقة هذه الأنظمة لأدركوا حقيقتها، وأنها ليست سوى ملكا عاضا وملكا جبريا كما وصفها وسمها رسول الله ﷺ.²

إن تسلط الحكام على العلماء أيضا والتضييق عليهم، أثر بشكل كبير في القضايا الاجتهادية، ووقع الظلم، خاصة فيما يتعلق بفقهاء حقوق المرأة حيث ضاعت الكثير من حقوقها، كما ضاعت حقوق الكثير من الناس، وغلب على الاجتهاد طابع الاضطرار باستثناء العبادات الفردية: كالطهارة، والصلاة، والصوم، والحج. وانحصر دور الفقه في حدود ضيقة نتيجة ما وقع لهم من ضغوطات، وهجر الفقهاء قضايا الحكم وضاعت بذلك الكثير من الأمور.³

وفي نفس السياق، يقول: "لم تنحط المرأة وحدها، بل انحطت بانحطاط المجتمع، وانحط المجتمع بانحطاط الحكم وانتقاض عروته، وانحبس الفقه، وسد باب الاجتهاد، ودارت الفتوى في حلقة ضيقة مقلدة رابط في أركانها المركنة جهابذة العلماء للحفاظ على سائر عرى الإسلام أن تنتقض، ولصيانة الحياة في دائرة الشرع. وغفا العقل المسلم، الذي كان ذات يوم رائدا في مجالات العلوم الكونية كما كان سابقا في فقه الشرع، غفوته التي توشك أن تعقبها صحوة شاملة ونهضة عاملة وحرية حقيقية كاملة للمسلمة والمسلم"⁴.

¹ - عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ص 195.

² - ينظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 9.

³ - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج 1، ص 59.

⁴ - المرجع نفسه، ج 1، ص 25.

الفرع الثاني: الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية العادلة:

إن من وظائف الدولة الإسلامية إقامة النظام العادل والحفاظ عليه، وذلك من خلال الاحتكام إلى أصلي الكتاب والسنة، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وبما أن العدل يعد مقصدا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وجب على الدولة العمل الجاد من أجل بناء دولة العدالة، دولة بعيدة عن الظلم والاستبداد والديكتاتورية.

إن الحل الإسلامي الأمثل كما يعبر عنه عبد السلام ياسين، يتمثل في تحكيم وهيمنة شرع الله في كل المجالات (الحكم، القضاء، الاقتصاد، الناحية العسكرية، الإدارة، التربية، قضايا الشباب، حقوق المرأة)¹.

ويوم تقوم الدولة الإسلامية العادلة كما يعبر الشيخ عبد السلام ياسين، يتحقق التوازن بين الأغنياء والفقراء، ويسود البذل والعمل والإنتاج، ويتحقق العدل الاجتماعي، وتتحقق التنمية الاقتصادية، وهذا كله يحتاج إلى تخطيط شامل يعتمد على الكفاية والقوة وتقنين الموارد، بما يشبه ما يشار عليه بمصطلح العصر² «اقتصاد حرب».

الفرع الثالث: الدعوة إلى إقامة القضاء والمحاكم العادلة:

ركز الشيخ عبد السلام ياسين على قضية الجهاز القضائي وأهميته في تطبيق مبادئ العدالة، وأكد على ضرورة عدالة القاضي والحاكم معا، يقول: "وعدل الشريعة بعدل القاضي والحاكم، إن كان الحاكم والقاضي أخوين للمسكين والمحتاج لا حليفين للمستكبر والإقطاعي"³، كما حذر من فساد هذا النظام، فقال: "بل إننا لا نخطئ القول حين نعلن أن الجهاز القضائي الذي يسهل على الفساد اختراقه هو مقتل كل نظام. وكل تحكُّم لا يخضع لمراقبة أو تخترقه الخوارق يحمل في خلاياه فيروس الفساد ومرضه الوراثي"⁴.

¹ - ينظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 140.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 224-227.

³ - المرجع نفسه، ص 275.

⁴ - عبد السلام ياسين، الإسلام والحدائثة، ص 341.

¹ ومن أجل الحفاظ على الجهاز القضائي، يتعين على الدولة مراقبة القضاء والإدارة مراقبة صارمة ، حتى لا تحل الفوضى ولا ينتشر فيروس الفساد في المجتمعات.

وحتى يكون النظام القضائي عادلا، عليه أن يطبق حدود الله، ولا يقبل الشفاعة في الحدود، وأن يضمن حقوق وحرريات الآخرين، ويضمن الأمن والتقدم والازدهار، فالقضاء الإسلامي كما يوضح ذلك عبد السلام ياسين، قضاء يستند على الأصول التشريعية الإسلامية، قضاء متميز بصرامته وسرعة تنفيذه .²

ومن بين الأمور التي تساهم بشكل كبير في تشكيل منظومة القضاء العادلة، تحري العدل بالنسبة للقاضي.

ومن بين القضايا التي تعين القاضي على العدالة، مسألة الإيمان أولا، ثم قضية الرأي العام الذي من شأنه تعزيز عدالة القاضي وإعانتته على تحقيق الحق .³

الفرع الرابع: الدعوة إلى التوزيع العادل للثروات:

يطمح الشيخ عبد السلام ياسين إلى إقامة نظام اقتصادي يوافق مقاصد الشريعة، يقول: "حين تشتد قواعدا إن شاء الله، ونستقل بالعلم والخبرة، لا بد أن نقيم اقتصادا منسجما كما وكيفا مع مقاصد الشريعة، هادفا لخدمة أهداف الشريعة"⁴.

إن قضية العدل مطلب أساسي في دولة القرآن، وإن أساس بناء القاعدة المادية للعدل كما يصطلح عليها الشيخ عبد السلام ياسين، يتطلب الاجتهاد أولا في تحقيق الرخاء، ووجوب التقسيم العادل والإنصاف في توزيع الثروات، وكذلك لا بد من التنمية والتطوير بالمشاركة، والحكم بمبدأ الشورى، وضرورة أن تكون الإدارة قائمة على الكفاءة، وتكون العزة بالله عز وجل لا بغيره، وقد دعا الشيخ عبد السلام

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص274.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص332.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص331-332.

⁴ - المرجع نفسه، ص361.

ياسين إلى أن يكون ذلك كله قائما بالإسلام والإيمان والعدل والإحسان¹.

يوضح الشيخ عبد السلام ياسين أن الخلاص الحقيقي للأمة الإسلامية يكمن في تحكيم الشريعة الإسلامية والقانون الإلهي في كل مجالات الحياة، فيكون بالتالي هو الموجه للاقتصاد وآليات التوزيع، وليس باتباع ما مرت به شعوب أوروبا من مراحل في التنمية والتصنيع، ولا باتباع الثورة الاشتراكية المتخبطة، وتبقى تقنيات وأساليب الإنتاج يمكن أن نستعيرها من غيرنا، حتى نطور أساليب وتكنولوجيات من عندنا مناسبة لمقاصدنا، فلا يجوز أن نقلد غيرنا في أصول التوزيع والقسمة².

إن مشاكل التوزيع لا يكفي حلها بمجرد إجراءات سلطوية بل ينبغي أن نرجع فيها للشريعة الإسلامية، فهي كفيلة بإعطائها الفعالية الكبرى، وإن تربية الفرد المؤمن المنتج العادل الأمين هي الضمان الوحيد للقضاء على جذور الظلم، فعملية التغيير والتجديد تبنى على الإنسان، ولا يمكن إقامة نظام اقتصادي دون مجتمع إسلامي، ولا يمكن فصل عملية الإنتاج والتوزيع عن عملية تجديد الدين والإيمان³.

وقد لخص عبد السلام ياسين بعض الملاحظات التي تبين شروط العدل الاجتماعي وإطاره، داخل بلاد الإسلام وخارجها، وهي:

"ليكون التوزيع العادل ممكنا لا بد من جهاد اقتصادي، جهاد البناء اليومي، جهاد الإنتاج، إذ ليس من المعقول توزيع الثروة دون إنتاجها أولا.

المسلمون في السوق العالمية مع المستضعفين طبعاً وشرعاً، فبعد تعبئة الجهود لحيازة النصر في معركة الإنتاج، وحين توفر الأرزاق والثروات، يجب التركيز على حسن تقسيمها بطريقة عادلة، كما يجب التخلص من الطبقة، والمحافظة على الثروات الطبيعية، وحماية البيئة وعدم إهدار الطاقات واستنزافها، فالعدل الإسلامي توازن في القسمة واتزان في عمارة الأرض⁴.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الإحسان، ج1، ص400.

² - يُنظر، عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص353-366.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص362.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ص363-364-366.

وقد وضع الشيخ عبد السلام ياسين الخطوط العامة للإجراء الشرعي في توزيع الثروة، متمثلة فيما يلي:

- احترام الملكية الفردية، وشرطها: ألا يكون المالك سفيهاً، وألا تعارض الملكية الخاصة المصلحة العامة للمسلمين.

- احترام الإرث وفرائضه، ويعتبر الإرث من أهم وسائل توزيع الملكية ومنع تركها.
- تنظيم جمع الزكوات والصدقات والتبرعات، وحسن توزيعها، لتمويل نظام الأمن الاجتماعي، وتمويل نظام الدعوة والتبليغ، وتخصيص جزء من الأموال كذلك لسداد ديون الدولة، وتخصيص سهم الرقاب لفك الأسرى، وغير ذلك.¹

الفرع الخامس: العامل الديني وعلاقته بتحقيق مطلب العدل:

إن العدل عند عبد السلام ياسين مقترن بالإحسان، يعبر عن ذلك بقوله: "ومن أوثق عرى الإحسان العدل، والعدل عكس الظلم والجور والحكم الجبري".²

ويعد العامل الإيماني من الوسائل المهمة في تحقيق مطلب العدل، فكلما ارتقى الإنسان في مدارج شعب الإيمان، وتربى على الخصال العشر، كلما زاد حرصه على إقامة مقصد العدل في جميع المجالات. ومن هنا يمكننا القول أن العامل الديني يعد من أقوى التأثيرات المساهمة بشكل كبير في بناء مجتمع العدل.

الفرع السادس: الدعوة إلى الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف:

من مقتضيات تحقق مطلب العدل في الإسلام، الاعتدال والوسطية في كل شؤون الحياة، وقد اعتبر الشيخ عبد السلام ياسين قضية الغلو والتطرف من العلل الغنائية الدائبة.³

والغلو هو تجاوز الحد، ويعتبر نوعاً من أنواع الجور والظلم، والتشدد في الدين يشكل تهديداً للمجتمعات والدول، ويفضي إلى الفساد وعدم الاستقرار على مختلف الأصعدة، ويعزز ظاهرة التطرف في

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص 366-367-368.

² - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 471.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 51.

المجتمعات.

وقد ذكر عبد السلام ياسين ضرورة الاعتدال، مستدلاً بقول النبي ﷺ: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين).¹

ويرجع الشيخ عبد السلام ياسين أسباب تفشي الاستبداد والظلم في العالم الإسلامي للأسباب التاريخية، والمتمثلة في "الأزمة التاريخية" التي تعتبر كارثة حلت على الأمة الإسلامية، حيث استولى فيها بنو أمية على الحكم، واغتصبوا سدة الحكم، وتعاقب صبيانهم وسفهاؤهم على تولى الحكم، وهذا الأمر كما يعبر عنه، فتح جرحاً انسلت إليه جرائم الأوبئة، ومن بينها: تفشي وباء الغلو والتشدد في الدين.²

الفرع السابع: الفقه الجامع والعلم الكلي وعلاقته بترسيخ قيمة العدل:

يعتبر بعض العلماء أن العدل من المقاصد الكلية الضرورية التي لا تستقيم حياة الناس من دونه. إن تحقيق العدل في المجتمع الإسلامي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفقه الجامع والعلم الكلي، فالوعي الشمولي بمبدأ العدل وضرورته وخطورة تغييبه في الحياة، كفيلاً بأن يخلق لنا أمة حريضة على إقامة العدل على مستوى الفرد والمجتمع والعالم، فالعلم وسيلة من الوسائل المهمة في عملية ترسيخ قيمة العدل من جهة، وبالعلم تتمكن من إيجاد الطرق التنفيذية المعينة في تحقيق هذا المطلب. فالعلم النافع هو ذلك العلم الكلي الذي يعلمنا تطبيق أحكام الله أثناء تسيير شؤون الدولة وتنظيم المجتمعات وإدارة الاقتصاد.³

ويعتبر عبد السلام ياسين تغييب الفقه الكلي وتجزئته يشابه التجزئة السياسية المعاصرة، فكما يجب أن نقوم بالجهاد من أجل وحدة المجتمع الإسلامي الجزأ، كذلك يجب علينا أن نقوم بالاجتهاد من أجل جمع شتات العلم، متخطين كل التجزئات وكل الأفكار والاجتهادات والمواقف الموروثة الخاضعة لظروفها التاريخية.⁴

¹ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، باب: مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث: 1850، ج3، ص350.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص52.

³ - ينظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص236.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص18.

المبحث الثالث: مطلب وحدة الأمة وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين

اهتم عبد السلام ياسين بمقصد الوحدة باعتباره أساس المجتمع المسلم، وجعله من أهم المقاصد التي لا بد من طلبها والسعي لتحصيلها في زمن توسعت فيه الفرقة والتجزئة والتشتت، وتقسم فيه حال الأمة إلى طوائف وفرق بسبب عوامل داخلية وأخرى خارجية، وانطلاقاً من الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿واعتصموا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾¹، وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾².

لقد ركز عبد السلام ياسين على قضية وحدة الأمة، ودعا لإعادة جمع ما تفرق، لأن وحدة الأمة أمر إلهي وصلاحتها لا يتأتى إلا به³، كما اعتبر أن وحدة الأمة من بين المقاصد الكبرى التي يقوم عليها الدين، يقول: "المقصد توحيد المسلمين، والغاية حمل رسالة الإسلام للعالم"⁴.

كما دعا إلى توحيد المغرب العربي والعالم الإسلامي، حيث يقول: "لننتفتح، نحن المغاربة المسلمين، على مستقبل تعايش وتجاوز. ولننتفتح نحن والجزائر وسائر أقطار المسلمين على مستقبل وحدة الأمة الإسلامية، ووحدة الدين"⁵.

وبناء على أهمية هذا الموضوع، فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: الانكسار التاريخي وعلاقته بتفريق الأمة

المطلب الثاني: أهمية وحدة الأمة في دعوة عبد السلام ياسين

المطلب الثالث: آليات تحقيق وحدة الأمة عند عبد السلام ياسين

1 - آل عمران: 103

2 - الأنبياء: 92

3 - ينظر: عبد السلام ياسين، حوار مع صديق أمازيغي، ص 110.

4 - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 149-150.

5 - عبد السلام ياسين، حوار الماضي والمستقبل، ط 1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1997م، ص 257.

المطلب الأول: الانكسار التاريخي وعلاقته بتفريق الأمة

أدرك عبد السلام ياسين أن قوة الأمة وتمكنها في الأرض نابع من وحدتها، وأن التجزئة الاستعمارية والتمزق الأخوي من عوامل هدم الحضارة والعمران، واعتبر النكبات العديدة التي تعرضت لها الأمة، والأوضاع التاريخية الخطيرة التي مست جميع جوانبها، من بين أهم الأسباب التاريخية التي أدت إلى زعزعة كيائها وتمزقها، ويجب علينا أن ندرك جيدا تلك الأحداث وآثارها، حتى تكون رؤية حاضرنا ومستقبلنا واضحة غير مغلوبة¹.

فسبب معاناة المسلمين اليوم مرده إلى الأوضاع والانحرافات التاريخية الخطيرة التي مست جوانب الحياة المختلفة (دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية).

ورغم أن نبش الماضي لا يجذبه بعض العلماء، وذلك لما فيه من إعادة التذكير بالمآسي الدموية الناشئة بين الصحابة، إلا أنه لا بد من التحلي بالموضوعية وفحصه بعين ناقدة، ففهم الأسباب التاريخية التي أدت إلى شتات الأمة، واستخلاص العبر والفوائد منها، يقينا مستقبلا من الوقوع في نفس الأخطاء².

إن بداية الشقاق والنزاع ظهر في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونتج عنه مآسي فظيعة، أدت إلى مقتل الصحابي عثمان رضي الله عنه، ومن هنا بدأ الشقاق يتسع مشكلا بداية انكسار الأمة وضعفها، وبداية انتشار العنف والجرائم³.

وبعد مقتل عثمان بن عفان ظلما، لم يتوقف الأمر عند هذه المرحلة بل امتدت هذه الفتنة، وذلك بسبب المطالبة بالثأر لمقتل عثمان، وكانت هذه الفترة التاريخية مليئة بالفجور والغوغاء والوحشية، حرب ضارمة بين المسلمين، انقسم فيها الصحابة إلى صنفين:

الصنف الأول: اتخذ موقف الحياد والانسحاب مخافة الفتنة.

الصنف الثاني: وقفت طائفة من الصحابة موقف الشجاع في الدفاع عن الحق، مثل: عمار بن ياسر

¹ - ينظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 27.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 26.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الخلافة والملك، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م، ص 25.

ﷺ الذي كان مَعْلَمَةً مَجِيدَةً على طريق الاستشهاد في الحق¹.

ويعتبر عبد السلام ياسين هذا الحياء مخافة إضرار نار الفتنة، من بين الأمور التي مكنت الرعاع من قتل الإمام عثمان ﷺ، وأضعفت موقف الخليفة علي كرم الله وجهه من بعده وبقية الصحابة ﷺ².

بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ ظهرت طوائف عصبية كالخوارج والشيعة والسنة، وسرعان ما تحولت هذه الطوائف إلى فرق عقائدية تكفر وتحارب بعضها، وظهرت بعدها فرق كلامية من معتزلة وأشاعرة وماتريدية ومرجئة وغير ذلك، وكان لكل هذا يدٌ في تحول نظام الحكم من نظام الخلافة إلى نظام الملك العاض.

بدأ الحكم العاض بانتهاء خلافة علي ﷺ الذي تم اغتياله، وتولى الحكم بعده معاوية، وسمي هذا الحكم بالملك العاض لطغيان العصبية، ولغياب الشورى، واستبداد بني أمية واستئثارهم بالحكم، فكان الحكم يورث للأبناء وتؤخذ البيعة لهم بالإكراه.

كما تم إقصاء الدعوة وإخضاعها لنظام الدولة، ومن خالف ذلك تعرض للعقاب والاضطهاد³.

لقد ضعف المسلمون سياسياً مع تراجعهم إيمانياً، وبدأ الصراع السياسي المحتقن الذي أطاح بالخلافة الراشدة، ومن هنا بدأت الانقسامات، وبدعة الورثة العاضة، والتي كانت مناط البلاء كله ومازالت، حيث فقدت فيها الأمة حق الاختيار وغياب الشورى⁴.

لقد بدأ الاستبداد مع بني أمية، ومع القرون استفحل، ولذلك يجب إعادة النظر برؤية فاحصة ناقدة لمصطلح الخلافة الذي يطلقه المؤرخون على الحكم الأموي والعباسي وغيره، ولا بد من الرجوع لتسمية النبي ﷺ فيما أسماه ملكاً عاضاً وملكاً جبرياً⁵.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، الخلافة والملك، ص 30-31.

² - يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.

³ - يُنظر: <https://yassine.net>، أحمد بوعود، آثار الانكسار التاريخي على تاريخ المسلمين وواقعهم، التاريخ: 18 أوت 2021.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 245/ عبد السلام ياسين، الخلافة والملك، ص 54-55.

⁵ - يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 10.

لقد ميز عبد السلام ياسين بين الخلافة المرضية التي أطلق عليها المسلمون في عصور العصور بالخلافة، والخلافة الحقة التي تكون على منهاج النبوة، وقد عبر عن هذا بقوله: "نحن نميز بين الملك العاض الذي حكم المسلمين قرونا وسمي خلافة وكان مرضا اضطراريا حافظت معه الأمة على كيانها السياسي، وبين الخلافة على منهاج النبوة وهي مطلبنا"¹.

جاء عن سعيد بن جهمان أنه قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: (خِلافةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمَلِكَ - أَوْ مُلْكَهُ - مَنْ يَشَاءُ)²، ثم قال لي سفينة: أمسك عليك: أبو بكرٍ سنتين، وعمرُ عشرًا، وعثمانُ اثنتي عشرة، وعليُّ كذا. قال سعيدٌ: قلتُ لسفينة: إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّ عليًّا لم يكن بخليفةٍ. قال: كَذَبْتُ أَسْتَأْهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ - يعني: بني مروان"³.

يبين عبد السلام ياسين أن ما كان يعتقد أنها خلافة، هي في الحقيقة مجرد كذبة تاريخية توهم صدقها العديد من الأجيال، حيث شهدت تلك المرحلة الأليمة، اغتيال الرأي وإسكات صوت الحق مخافة قوة السلطان، وأغلق باب الاجتهاد، وانتشر الفساد والمنكر، وانتشرت الفتن والصراعات، وظهرت الفرق، وتمزقت الأمة إلى سنة وشيعة⁴.

كان للانكسار التاريخي الأثر البالغ فيما وصلت إليه الأمة الإسلامية من تشرذم، ومن تحول الخلافة إلى الملك العاض ثم الملك الجبري.

إن الابتلاء التاريخي الذي أصاب نظام الحكم الإسلامي، أدى إلى تمزق وحدة الأمة، وتحول نظام الحكم الشوري إلى خلافة ملكية، وأدى إلى نشوء حروب داخلية وفتن مذهبية وانحرافات عقائدية⁵، هذا

¹ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، رمضان 1402هـ - 1982م، سلا، المغرب، ع 10، ص11.

² - محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395 هـ - 1975م، باب ما جاء في الخلافة، رقم الحديث 2226، ج 4، ص503.

³ - القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي، أحكام القرآن، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م، ج3، ص410.

⁴ - أنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص9.

⁵ - يُنظر: المرجع نفسه، ص54.

الصدام الداخلي مكن العدو الخارجي من فرض سيطرته على بلاد المسلمين لأنه وجد أمة قابلة للاستعمار، عاجزة عن مقاومة التحدي المُغير لفقدائها المُقَوِّمَ المعنوي، المتمثل في كونها خير أمة¹، ويرجع عبد السلام ياسين أسباب الانهزامية والانقياد لفقدان الوعي الرسالي بعد تفككنا الغنائي والبغي بيننا لمدى قرون من الزمن².

عمل الاستعمار بعد فرض سيطرته تدريجياً على فصل الدين عن الدولة والسياسة، وعزل الشرع في خانة «الأحوال الشخصية»، والقرآن في ركن المسجد³، واكتمل الصدع بسبب تأثر وانبهار بعض المسلمين بالحضارة الغربية، فتكونت جالية مغربة ومجوفة من الداخل، مرتبطة بعالم الماديات الدنيوية ومنفصلة عن عالم الآخرة، وكانت هذه مقدمات لغزو حضاري شامل⁴، وكان لمعاهدة سايكس بيكو الأثر البالغ في تقسيم الأمة الإسلامية إلى دول متفرقة وممزقة حتى يسهل السيطرة والهيمنة عليها.

يقول أحمد بن سعد حمدان الغامدي: "كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكة خلخلت بناءها وأفسدت أبنائها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات وإمارات واستولت على كثير منها فترات طويلة ثم خرجت منها مخلفة وراءها آثارها الاستعمارية التي لا تزال إلى اليوم.

وقد ركز الاستعمار أثناء وجوده على إحياء القوميات الجاهلية التي كانت عليها قبل الإسلام فاستجاب لها بعض المسلمين فحملوا لواءها ودعوا إليها فكان من ثمار ذلك تعميق الاختلاف وإضعاف الروابط بين أفراد الأمة"⁵.

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 243.

² - المرجع نفسه، ص 243.

³ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 509.

⁴ - يُنظر: المرجع نفسه، ص 257-258.

⁵ - أحمد بن سعد حمدان الغامدي، أثر العقيدة الإسلامية في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية، ط 16، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 6، محرم - صفر - ربيع الأول 1404هـ/1984م، ص 104.

ورغم سياسة التفرقة التي انتهجها الاستعمار الأجنبي والعدوان الخارجي "فرق تسد"، وما لها من الأثر البالغ في تشرذم أقطار ودول العالم الإسلامي، إلا أن هناك عوامل أيضا داخلية ساهمت بشكل كبير في شق الصف الإسلامي.

ولعله يمكن إجمال بعض الأسباب، منها:

1/ الصراع السياسي بين الدول الإسلامية نتج عنه عدة آفات، منها زيادة الفرقة والتنافر بين شعوبها.
2/ الصراع الديني والمذهبي خاصة بين الطوائف الإسلامية ورفضها لبعضها البعض (سنة، شيعة)، كذلك التعصب والانحياز لمذاهب فقهية ورفض غيرها. وأيضا ظاهرة التكفير الناتجة عن عدم قبول الاختلاف والتنوع في الأفكار والآراء، فكل فريق متعصب لتوجهه واعتقاداته، ويتهم الفريق المخالف بالكفر والزندقة.

3/ الصراع والشقاق والتناحر الفكري القائم بين أصحاب التيارات المختلفة (المسلم العلماني الحدائي، والمسلم السلفي، والمسلم الإخواني، وغير ذلك).

وكذلك يمكن اعتبار سبب استمرار أزمة العالم العربي والإسلامي كنتيجة لفقدان الوعي بصفة عامة، خاصة ما يتعلق بالوعي السياسي والاجتماعي، وهذا ما نجده في كلام الشيخ الندوي: "إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية - مع الأسف - ضعيفة الوعي - إذا تخرجنا أن نقول: فاقدة الوعي - فهي لا تعرف صديقها من عدوها، ولا تزال تعاملها معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال تلدغ من جحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب، وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضي الزعماء والقادة، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة، وهي ضعيفة في الوعي الاجتماعي وأضعف في الوعي السياسي، وذلك ما جر عليها وبالأعظيماً وشقاء كبيراً وسلط عليها القيادة الزائفة وفضحها في كل معركة"¹.

ولكي يتحرر العالم الإسلامي اليوم لا بد من الاستفادة من التجربة التاريخية الأليمة للأمة، والعودة من جديد بعزيمة وإرادة قوية، وبذل قصارى جهدها من أجل تحقيق السيادة والريادة والنهضة الشاملة،

¹ - أبو الحسن الندوي، ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، د.ط، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، ص 252.

"لابد للأمة المسلمة - وهي تلم شعنها وتوحد صفوفها - لابد لها من إدراك صحيح للأسباب التي كانت وراء هذا الواقع السيئ الذي تعيشه والأسس التي ينبغي أن تلتقي عليها والوسائل التي يمكن أن تتحقق بها تلك الأسس، وذلك لئلا تنتقل من واقع منحرف إلى واقع آخر منحرف"¹.

وبالرغم من العوامل المتعددة التي أضعفت الوحدة إلا أن هناك عدة أسباب تجعل وحدة الأمة الإسلامية أمراً محققاً، وخاصة أن أسس الوحدة مازالت قائمة²، ومن بين هذه العوامل المشتركة: وحدة الدين: "دين واحد، كتاب واحد، رسول واحد"، وإذا اجتمع المسلمون على "وحدة الغاية، وحدة العقيدة، وحدة القيادة، وحدة المنهج"، كانوا أمة واحدة³.

ومن بين العوامل المشتركة أيضاً؛ وحدة الشعور بين الشعوب الإسلامية، حيث "لا يزال الشعور الشعبي الإسلامي قويا عميق الجذور وهو شعور بالانتماء إلى الإسلام والإيمان به وشعور بالوحدة بين المسلمين ولا يزال هذا الشعور أقوى من أي شعور آخر يقابله مما تولد من التيارات المذهبية الحديثة. ولا تزال وحدة المظاهر الدينية في العبادات وشعائرها والأعياد والمواسم والعادات ذات أثر كبير في النفوس ولا تقل عن ذلك ذكرى ماضي الإسلام وتاريخه في الوعي الشعبي.

ونضيف إلى هذه الجوانب ظاهرة جديدة آخذة بالقوة والاتساع والعمق وهي ظاهرة العودة إلى الإسلام؛ دراسة واطلاعا وإحياء لتراثه ومصادره، والتزاما لأحكامه، ومطالبة بتنفيذه في مجال التشريع والاقتصاد والحكم، حتى أن الحكام أخذوا يشعرون بالضغط الشعبي القوي للعودة إلى الإسلام مما يضطرهم للمسايرة أو الجمالة"⁴.

إذن: يمكن القول أنه رغم مرارة الماضي وانعكاساتها على واقعنا الحالي، إلا أنه يمكن تجاوز كل ذلك، بالاتحاد والائتلاف والتعاون.

¹ - أحمد بن سعد حمدان الغامدي، الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها، ط 17، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، جماد الآخرة 1405هـ، ص 36.

² - يُنظر: محمد المبارك، الوحدة الإسلامية، ط 10، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. س، ص 50.

³ - يُنظر: أحمد بن سعد حمدان الغامدي، أثر العقيدة الإسلامية في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية، مرجع سابق، ص 105.

⁴ - محمد المبارك، الوحدة الإسلامية، ص 50.

وبشارة النبي ﷺ بعودة الخلافة على منهاج النبوة بعد الملك العاض والجبري، تجعل المسلمين متفائلين باتجاه المستقبل، وقد عبر عن هذا الشيخ عبد السلام ياسين بقوله: "فلسنا نقرأ تاريخ المسلمين كما تقرأون، إنما نعي جيدا انكسار هذا التاريخ بانتهاء الخلافة الراشدة وقيام الملك العاض والجبري على أنقاضها على اختلاف تسمية هذا الملك، خلافة سلالية أو ملكا قطريا أو جمهورية قومية، ونروم جبر هذا الانكسار بإعادة الخلافة على منهاج النبوة كما وعد بذلك الحديث النبوي الصحيح"¹.

وقد أثبتت أمة الرسول ﷺ بقيادة علمائها وصالحيتها منذ عصور المحنة قدرتها على المقاومة والمجاهدة ببسالة، من أجل استرجاع سيادتها وتقرير مصيرها، رغم فساد الحكم وخروج الخوارج وزندقة الفلاسفة والغزو الاستعماري، هذه الأمة موعودة بالنصر إبان الخلافة الثانية كما يعبر عن ذلك الشيخ عبد السلام ياسين²، فحال الأمة ما هو سوى مرحلة في تاريخها وستتلوه قومة، يقول عبد السلام ياسين: "في المستقبل المنظور إن شاء الله قومة إسلامية، بشائرها ساطعة، لن يضرها من خالفها بإذن الله. لا نظن أن القومة جهاد جيل وانتهى الرحيل، ما هي إبطال موجود، بل هي إيجاد مفقود. هي استصلاح وإصلاح، لا انتقام وشفاء غليل"³.

إن شمس الإسلام غدا ستشرق من جديد، ويتحقق موعود الله لهذه الأمة، وتعود الخلافة على منهاج النبوة، وحتى يتحقق ذلك لا بد أولا من وحدة المسلمين وتأليف جماعة المسلمين، ولم شمل الأمة المجزأة، وهذا تحقيقا لمراد الله عز وجل.

¹ - عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، العدد العاشر، ص11.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص55.

³ - عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م، ج2، ص263.

المطلب الثاني: أهمية وحدة الأمة في دعوة عبد السلام ياسين

إن وحدة الأمة الإسلامية وتماسك العالم الإسلامي يشكل محورا أساسا في فكر عبد السلام ياسين، وقد جعلها أم المقاصد التي يجب طلبها في زماننا، وقد ركز في مشروعه الدعوي على توعية المسلمين بأهمية الوحدة الإسلامية، وكان حريصا كل الحرص ومصررا على إعادة إحياء هذا المطلب من جديد، والعمل من أجل تحقيقه عملا وليس تنظيرا فحسب.

ولقد كرس الشيخ عبد السلام ياسين جهوده الدعوية من أجل تحقيق الوحدة، امتثالاً لأوامر الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، واقتداء بعمل الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ أجمعين.

لقد جعل الله الأمة الإسلامية أمة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾¹، وأمرهم بالاعتصام بجلل الله، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾²، وأمرهم بالأخوة وعدم التنازع، قال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³، ودعاهم إلى مجانبة الفرقة، قال تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁴.

جاء في تفسير الألويسي أن هذه الآية تشير إلى أنهم "جعلوا دينهم أهواء متفرقة كالذين غلبت عليهم صفات النفس وكانوا شيعاً فرقا مختلفة بحسب غلبة تلك الأهواء لست منهم في شيء إذ هم أهل التفرقة والاحتجاب بالكثرة فلا تجتمع همهم ولا تتحد مقاصدهم إنما أمرهم إلى الله في جزاء تفرقهم ثم ينبئهم عند ظهور هيئات أهوائهم المختلفة المتفرقة بما كانوا يفعلون من السيئات واتباع الهوى"⁵.

1- المؤمنون: 52.

2- آل عمران: 103.

3- الأنفال: 46.

4- الأنعام: 159.

5- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ، ج4، ص314.

كما بينت السنة النبوية الشريفة ضرورة الوحدة والتآلف والترابط والابتعاد عن التشتت وكل ما يؤدي إلى الفرقة، قال النبي ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال).¹

كما دعا إلى ملازمة الجماعة المسلمة، فقال: (من أراد مجبوحة الجنة فليزم الجماعة)²، وقال: (أئبها النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أئبها النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ)³، وقوله: (فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)⁴.

وقد بين العلماء أهمية الوحدة الإسلامية والمتمثل في كونها ضرورة وفريضة شرعية، ومقصدا من مقاصد الإسلام الكبرى، وذلك لما تحققه من مصالح ومنافع كبرى للمسلمين، ولما تمنحه من عزة وقوة، كما نهوا عن الفرقة والانقسام الذي يشكل خطرا عظيما على وجود الأمة الإسلامية وكيانها، قال القرطبي: "إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"⁵.

يقول عبد السلام ياسين: "لم يذكر علماؤنا السابقون أثناء حديثهم عن مقاصد الشريعة هذا المقصد الجامع. أما في زماننا، وقد نشبت فينا مخالب الجاهلية والأنياب، فنشعر بضرورة استعادة الوحدة شعورا عميقا. إنها مسألة حياة أو موت. إنها أم المقاصد وشرط تحقيقها"⁶.

¹ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د س، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم الحديث 1715، ج3، ص 1340.

² - محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، الجامع الكبير - سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 م، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، رقم الحديث 2165، ج4، ص 35.

³ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث 23145، ج 38، ص 220.

⁴ - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، د ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د س، باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم الحديث 547، ج 1، ص 150.

⁵ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة 1384 هـ - 1964 م، ج4، ص 159.

⁶ - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص56.

ويقول أيضا في بيانه لأهمية الوحدة: "إن جمع كلمة الأمة وائتلاف قلوبها، وتقريب آرائها، لشروط ضرورية لإقامة الملة وتقوية الدولة. فلا تقل ضرورة ذلك عن ضرورة تقريب الفجوات فيما يتعلق بقسمة الأرزاق. وكما يجب على دولة القرآن أن تدمج فئات المجتمع دجا اقتصاديا بتسوية فرص العمل والكسب، وبإنصاف العامل الأجير، وبإعطاء المالك مكانته في المجتمع الإسلامي بلا شطط، فكذلك يجب الدمج المذهبي والتعايش السلمي بين الآراء والتفاهم والتعاون ليتحد الناس ماديا ومعنويا"¹.

وعبر الشيخ عبد السلام ياسين عن قيمة الوحدة الإسلامية من خلال ربطها برسالة التوحيد، مشيرا لمدى الترابط الوثيق بينهما، فرسالة التوحيد لا يمكن أن تحملها أمة مجزأة وممزقة.

كما بين المفارقة بين إلحاح المعاصرين على مقصد الوحدة وحرصهم على لم شمل الأمة، مقارنة بالعلماء القدامى الذين "كانوا يعيشون وحدة شعوب جمعها الإسلام لا تكاد تشعر بالتفرقة التي فرقها الإمارات السيفية، واللغة والسحنة والقطر. لم يكن يقدح في وحدتهم تلك وجود خلافات مذهبية يعيشون صراعاتها الكلامية أو العنيفة داخل إطار الوحدة لا خارجه. ما كانوا ليتصوروا ما فعلته بنا الدولة القومية القطرية وتمزقات وتجزئات فرضها الاستعمار بعد ذهاب شوكة الإسلام العثمانية"².

وذلك معناه أنه رغم الاختلافات والخلافات والفتن الكبرى التي كانت حاصلة ورغم انقسام الدولة الإسلامية الواحدة، إلا أن شعوبها بقيت متلاحمة ومتصلة ببعضها، ولكن في القرون الأخيرة أصبحت الشعوب هي الأخرى مفرقة ومجزأة، وازداد ذلك حدة بسبب ما فرضه الاستعمار من سياسة التجزئة التي فرقت الدول.

يقول الشيخ محمد المبارك: "إن انقسام الدول الإسلامية ظاهرة قديمة ولكن حكام الدول الإسلامية كانوا يشعرون كما يشعر المسلمون جميعا يومئذ أنهم يقتسمون أرضا واحدة ومجتمعاً واحداً، وكان الفرد المسلم لا يشعر بالانفصال عن المسلمين الذين هم تحت حكم حاكم آخر فالشعور بوحدة المسلمين أو المجتمع كان واضحا وقويا حتى أن الانتقال من دولة إلى دولة كان أمرا عاديا وميسورا، وكذلك تغيير محل

¹ - عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ص 232.

² - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 69-70.

الإقامة من دولة إلى دولة، وكان المسلم ينتقل إلى بلد آخر وإلى سلطة حاكم آخر دون أن ينتقص أي حق من حقوقه، فيمكن أن يتولى فيها أي ولاية من الولايات كالقضاء والوزارة وغيرها كما حصل لابن خلدون وابن بطوطة وعدد كبير من العلماء الذين تولوا القضاء في الشام ومصر أو في مصر والمغرب أو غيرها.

أما الانقسام الذي حصل في القرن الأخير ولاسيما في عهد الاستعمار وبعد الاستقلال فهو انقسام إلى دول تفصلها حدود حاجزة وتكون مجتمعات أخذ بعضها يتباعد عن بعض، وتكونت لها عصبية قومية أو إقليمية انعكست آثارها في نفوس الشعوب وتجسدت في كيانات وطنية وقومية متنافسة تنافس القبائل قديما بل متصارعة ومتعادية أحيانا¹.

ولقد ذكر عبد السلام ياسين تحذير الرسول ﷺ من داء الفرقة، قال ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكرهية الموت)².

ووضح أن سبب جعل هذه الأمة كالقصعة التي تداعت عليها الأمم، نتيجة حتمية لتغلغل داء التجزئة الروحية والمادية، والتي رغم كثرة عددها إلا أنها تعتبر كغثاء السيل.

والغثائية كما عرفها عبد السلام ياسين هي عبارة عن مرض الطفوح والتفرق وخفة الوزن، حيث تصبح فيه الأمة بلا قيمة وبلا أثر³.

فالتفرق إذن عقبة لا بد من اقتحامها، والوحدة المنشودة لا بد لها من قومة وعزيمة وجهاد طويل من أجل إحياء هذا الهدف العظيم، جهاد قلب وفكر وحركة، جهاد يقوم على العمل الممنهج المضبوط المنضبط والجهود التنظيمية والتعبئة المنظمة⁴.

⁵ المنضبط والجهود التنظيمية والتعبئة المنظمة.

¹ - محمد المبارك، الوحدة الإسلامية، ص 43.

² - أبو داود، سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث 4297، ج 4، ص 111.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل الإسلاميون والحكم، ص 44.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 387.

⁵ - يُنظر: عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ج 2، ص 263.

المطلب الثالث: وحدة الأمة ودورها في إعادة الخلافة على منهاج النبوة

اهتم الشيخ عبد السلام ياسين بقضية وحدة الأمة الإسلامية لما لها من دور كبير في تقوية كيان الأمة الإسلامية وتعزيز وجودها في الساحة العالمية والدعوية، كما دعا إلى ضرورة "إحياء وتجديد الكليات الأساسية التي قامت عليها الخلافة في زمن النبوة والخلافة الراشدة"¹.

ولا يمكن قيام الخلافة الراشدة في ظل الأوضاع الفتنوية والنزاعات والخلافات وتشردم الأمة وتمزق وحدتها، لذلك وجب على حاملي رسالة الحق أن يتطلعوا إلى توحيد الأمة الإسلامية، ثم التطلع فيما بعد إلى الدعوة الإسلامية العالمية وإقامة دين الله في الأرض.²

ولتحقيق الوحدة الإسلامية لا بد أولاً من تحقيق شرط الحرية، فالحرية مطلوبة في الدعوة إلى الله تعالى، والدعوة لا تتحقق إلا في بيئة حرة، فالحرية وليدة الوعي، ولا يمكن لداعية مستعبد أو داعية مستبد أن يقيم الخلافة على الأرض، إلا إذا تحررت نفسه أولاً ثم عمل على تحرير غيره، تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، تحرير لطاقات الإنسان ليصبح فرداً منتجاً، تحرير من العزلة والاحمول والانفراد، وإدماج له في الجماعة ليتحزب لله عز وجل³، تحرير المسجد من الإسلام التابع لسلطة وحكم الجبر، فيكون المسجد مكاناً للقاء الشعب، ومدرسة التربية العامة، ومجلساً من المجالس الإيمانية.⁴

إن إعادة الخلافة على منهاج النبوة حسب عبد السلام ياسين ليست مجرد أحلام بعيدة عن الواقع كما ينظر إليها البعض، ولكنها حقيقة وبشرى نبوية، وعد بها النبي ﷺ.

ففي حديث رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد بسنده الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا

¹ - <https://yassine.net>، هيئة التحرير، الإمام مُفَكِّراً. حوار مع الدكتور عبد الصمد الرضى، التاريخ: 10 ديسمبر 2013.

² - أنظر: عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ص 235.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، مقدمات في المنهاج، ص 40.

⁴ - يُنظر: عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، ص 64.

شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت).¹

يقول عبد السلام ياسين: "الموعد الله يا من يسعون لإقامة الحكم الإسلامي الرائد، تعرض لموعود رسول الله ﷺ الذي أخبرنا أنها تكون بعد العز والجبر خلافة ثانية على منهاج النبوة".²

ويدل مصطلح "المنهاج النبوي" كما وضع ذلك عبد السلام ياسين على: "السنة التطبيقية العملية النموذجية، التاريخية بعد البشرية المتجددة في الزمان والمكان باجتهاد أجيال الإيمان، فنجدها ونستمددها لفظاً ومحتوى وتوجُّها وبشرى للمؤمنين، وبُشرى للمحسنين، وعامل ثقة في موعود الله عز وجل وبلاغ رسوله الكريم ﷺ، في هذا الحديث العظيم المُنبئ عن العز المستقبل الذي ينتظر هذه الأمة المرحومة أصلاً، المقهورة بلاءً، الصاحية اليوم، المتيقظة المجاهدة المنتصرة بإذن الله".³

بالمنهاج النبوي تقوم الخلافة الإسلامية ويستعيد المسلمون معاني الرسالة الخالدة، ويطبقون أحكام الله كلها بتدرج وبلا مراوغة، يبدأ من تربية المؤمن كامل الإيمان، وذلك بإحلال المجتمع الإسلامي محل المجتمع الفتنوي، وبإقامة دولة الإسلام، وبإنشاء حضارة إسلامية متميزة حاملة لرسالة الله.⁴

ومن أهم وظائف الدولة الإسلامية كما عبر عن ذلك عبد السلام ياسين: "صيانة المطالب الإسلامية وحياطتها بأن: «تدراً عنها الاختلال الواقع والمتوقع فيها»".⁵

وقد ذكر أن من بين الأسباب التي أدت إلى الخلل الواقع في الدين ومقاصده، تحاذل الدويلات العاضة الظالمية، وانحيار الإسلام الفردي الموروث أمام الاستعمار، واستيلاء الغرب على عقل وقلب أبناء المسلمين "الغزو الفكري"⁶، وإصلاح هذا الخلل من وظائف الدولة الإسلامية، فالدولة الإسلامية من

1 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: 18406، ج 30، ص 355. وهذا الحديث ذكره عبد السلام ياسين في كتابه العدل: الإسلاميون والحكم، ص 23-24.

2 - عبد السلام ياسين، الخلافة والملك، ص 5.

3 - عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ط 3، دار لبنان، لبنان، بيروت، 1439هـ/ 2018م، ص 23.

4 - يُنظر: عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، العدد السابع، ص 12.

5 - عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ص 84.

6 - يُنظر: المرجع نفسه، ص 80.

أعظم واجباتها إقامة الدين وصيانة مقاصد الشريعة الإسلامية.

إقامة الحكم الإسلامي على منهاج رسول الله ﷺ من أهم المطالب والأهداف التي يدعو إليها الشيخ عبد السلام ياسين، فتجتمع ثنائية الدعوة والدولة كما يصطلح عليها، وهذه الثنائية تقتضي أن يهتم رجال الدعوة بمواطن بناء دولة القرآن، يجهرون بالحق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويغالبون أهوية الإعلام العالمي المخرب، مراقبين وموجهين لأهل الحكم المدرّبين على شؤونهم، مرتفعين عن مجالات النزال السياسي ومكابداته، منشغلين بما هو أهم، منشغلين بواجبهم الكلي المتمثل في إقامة الدين وتقويم المنحرفين عن الدين¹.

وإقامة الدين - حسب نظر الشيخ عبد السلام ياسين - تشمل عدة جوانب:

- ميدان العبادة: المتمثل في إقامة سلوك العبد إلى ربه، فيطمح لنيل مرضاته ونيل أعلى المقامات.
- ميدان الحكم: إقامة الحكم بما يرضي الله، ومن خلال الحكم يتقرر مصير الأمة.
- ميدان العلم: إقامة العلم في العقول والقلوب حتى تنقشع غشاوات الجهل عنها.
- ميدان العدل والكرامة: فالله كرم الإنسان وحفظ له هذه الكرامة وأعزه، هذه الكرامة تجعل الفرد المسلم يرفض الظلم والعدوان، ويقيم دولة العدل في الأرض.
- ميدان الدعوة: وذلك بحمل رسالة الله إلى العالمين مبلغين عن رسول الله ﷺ رسالة الرحمة والحكمة.
- ميدان التربية: تربية الإنسان على الدين الكامل: إسلام وإيمان وإحسان.

وإقامة الدين تحتاج إلى صبر وقوة اقتحامية، وتحتاج كذلك إلى يقظة قلبية عقلية عاملة باصرة، يقظة تتطلع إلى لقاء الله، وتطمح لنيل رضاه².

ثنائية الدعوة والدولة حسب رأي عبد السلام ياسين تقتضي من الدعوة أن تحدد الأهداف وتوجه وترشد وتقوم والدولة تنفذ، يقول في ذلك: "في البناء الإسلامي يجب أن يكون جهاز الدولة آلة تنفيذ تآمر بأمر الدعوة. الدعوة تضع الرسم العام للسياسات، وتحدد الأهداف، وتختار الرجال، وتراقب الإنجاز. لكن

¹ - يُنظر: عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ص 615.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، الخلافة والملك، ص 6-7.

واجبها أن تترك التشغيل اليومي للحكومة، فلا تتدخل في تفاصيل التنفيذ، فتحجّب مسؤولية المنفذين، وتبذّر بذلك بذرة المحسوبة والاستثناءات والفوضى"¹.

إن قيام دولة القرآن وإعادة الخلافة على منهاج النبوة يحتاج إلى قومة إسلامية، وهذه القومة تتطلب سلطانا قويا، سلطانا غير سلطة العنف والقمع، وتحتاج قبل السلطان إلى رجال قرآنيين نبويين، مهمتهم إيقاظ الأمة وتربيتها حتى تصبح أمة فاعلة لا مفعولا بها².

يقول عبد السلام ياسين: "دولة القرآن إذن، وقومة القرآن، ليست عملية انقلابية نخبوية، بمقتضاها ينتصب جماعة وكلاء على الأمة، أوصياء أبد الدهر على مصيرها. قد تكون الخطوة الأولى في القومة من عمل جماعة محدودة، لكن إن لم تجعل هذه الجماعة هدفها الأول إخراج عامة الأمة من دين الانقياد، وخمول الاستسلام، ولم تحارب ذهنية الرعوية القطيعية، فستكون حركتها مغامرة فاشلة"³.

دولة القرآن هي باختصار: "الامتداد الطبيعي لحكم النبوة، ونظام النبوة، وجهاد النبوة، وأخلاق النبوة"⁴.

ويستشهد عبد السلام ياسين بقول ابن خلدون الذي عرف الخلافة والمملك في قوله: "إن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار. والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"⁵.

من مقتضيات الخلافة عند عبد السلام ياسين رعاية المصالح العليا "المصلحة الدنيوية، المصلحة الأخروية" حتى يستقيم حال الأمة، ويكون ولي أمرها الذي اختارته مرآة تجلو وجه الأمة⁶.

1 - عبد السلام ياسين، الإحسان، ج 2، ص 448.

2 - يُنظر: عبد السلام ياسين، رجال القومة والإصلاح، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م، ص28.

3 - المرجع نفسه، ص28.

4 - عبد السلام ياسين، الخلافة والمملك، ص14.

5 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص222. / نقله عبد السلام ياسين في كتابه الخلافة والمملك، ص12.

6 - يُنظر: عبد السلام ياسين، الخلافة والمملك، ص16-17.

وهنا لا بد أن نذكر بوجوب اختيار الخليفة الأصلاح والأفضل والذي تتوفر فيه شروط وصفات الخليفة كاتصافه بالعلم والعدالة والشجاعة وحسن التدبير وغير ذلك.¹

إن إقامة نظام إماري يحكمه ولي الأمر المتمثل في خليفة المسلمين أمر واجب التحقق في دولة الخلافة على منهاج النبوة حسب وجهة نظر عبد السلام ياسين، وهذا النظام لا يقوم عشوائيا، بل يتطلب تنظيما دقيقا، يراعى فيه أولا أحكام الله عز وجل، ويشرف عليه ثانيا مجاهدون يتحلون بالإخلاص والتربية الإيمانية، والقدرات التنظيمية.²

ويركز عبد السلام ياسين في كل موضوع من كتاباته عن دور الدعاة "جند الله" في تولي الخلافة وبناء دولة القرآن، وتحقيق نصر الله الموعود.³

¹ - يُنظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، د.ط، دار الحديث - القاهرة، د.س، ص 19 ص 20 ص 25.

² - يُنظر: عبد السلام ياسين، منهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 79 - 80.

³ - يُنظر: عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ص 39.

خاتمة

إن ما تشهده الساحة الدعوية المعاصرة من ضغوطات وتحديات وأحداث ووقائع متسارعة ومستجدة، يجتم على الباحثين والعاملين في المجال الدعوي، إدراك العديد من العلوم والمعارف والمهارات والتقنيات، للمساهمة في تطوير العمل الدعوي المعاصر وجعله مواكبا للتقدم الحضاري.

ولعل من بين هذه العلوم الضرورية التي ينبغي الإحاطة بها فكرا وممارسة، موضوع "فقه المقاصد"، والذي يعتبر من بين أنواع الفقه الدعوي الذي نحتاج إليه في كل عصر، وذلك لما يحققه من استيعاب عميق لأهداف وغايات الدعوة وأبعادها ومتطلباتها.

فتتشكل لدى الدعاة ذهنية ورؤية مقاصدية تمكنهم من مسايرة التطورات الدعوية بمنتهى الحكمة والبصيرة، والارتقاء بالعمل الدعوي المعاصر من خلال إثرائه بالرؤية الإسلامية الموافقة لمقاصد الشريعة الإسلامية، وتجاوز إشكالات سوء الفهم على مستوى الفكر والتطبيق.

وهذا النوع من الفقه يتطلب ترسانة من الجهود المضنية، لأنه جامع لعدة أنواع من الفقه: فقه النصوص الشرعية، فقه الواقع، فقه الأولويات والموازنات، فقه المصالح والمفاسد، فقه المال... وغيرها، وبدونه يقع الدعاة في إشكالات وسقطات خطيرة تؤدي بهم إلى الضلال والانحراف.

إن فقه المقاصد بمثابة "البوصلة" أو "خارطة الطريق" الموجهة للعمل الدعوي المعاصر، فهو يوضح الأهداف ويحدد الأولويات بما يتناسب مع ظروف ومراحل ومتغيرات الواقع المعاصر، ويمكن من رؤية الصورة الكاملة والمشهد الكلي والهدف النهائي، فلا يقع الدعاة في الحيرة والتخبط في متاهة التفاصيل.

ولقد أدرك الكثير من الدعاة اليوم ضرورة تأصيل العمل الدعوي المعاصر بناء على الرؤية المقاصدية، ومن بين المصلحين المحددين المعاصرين الذين اهتموا بالفقه المقاصدي الشيخ عبد السلام ياسين مؤسس الحركة الإسلامية المعروفة في المغرب ب "جماعة العدل والإحسان"، والذي اعتمد في منهجه الدعوي على فقه المقاصد.

وهناك جملة من المطالب الأساسية التي أكد على ضرورة إحيائها، منها: طلب تحقيق العبودية لله تعالى وتمكين دين الله في الأرض، طلب الإسلام بمفهومه الكلي الشمولي وتجاوز النظر الجزئي التبعضي، طلب الإيمان كله وبجميع شعبه، طلب عودة الخلافة على منهاج النبوة، طلب الإحسان والعدل والشورى وغير ذلك.

إن الجهد والعمل الدؤوب حسب الشيخ عبد السلام ياسين غير كاف لانجاح العمل الدعوي المعاصر، بل يحتاج إلى رؤية دعوية متكاملة.

يحتاج إلى علم وفقه عميق واجتهادات تجديدية وفق منهج علمي عملي، مرجعيته النص الثابت المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية.

كما يحتاج العمل الدعوي المعاصر إلى وسائل فعالة تتناسب مع متغيرات الزمكان.

وقد سعى الشيخ عبد السلام ياسين لتحقيق هذه المطالب من خلال وضع منهج كامل أسماه "بالمنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا"، مقدما فيه منهجه وتصوراته الفكرية والعملية.

كما ركز على قضية "الداعية" واعتبره الركن الأساس والعامل المهم في العملية الدعوية، وأكد على أهمية الداعية الصادق صاحب البصيرة النافذة، لأنه الأساس في عملية التغيير والبناء، فهو العقل المفكر والمدير والمنفذ حامل هذه المطالب، والداعي لنشرها والعامل على تحقيقها، وهو ما يقتضي التركيز عليه.

فنجاح الدعوة يعتمد على "رجال الدعوة"، "رجال القومة"، "جند الله"، كما يسميهم الشيخ عبد السلام ياسين، دعاة مخلصون صادقون مجتهدون في حمل رسالة التبليغ، دعاة يقتحمون العقبة ويحققون مطالب الدعوة ومقاصد الشريعة، فتصير هذه المطالب حقيقة وعملا وممارسة لا مجرد كلمات ينادى بها.

وفي الأخير نذكر أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ما يلي:

1- فقه المقاصد ثبتت مشروعيته في القرآن الكريم، وكان حاضرا في دعوة النبي ﷺ وفي عمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

2- الدعوة الإسلامية تعمل على تحقيق الغايات العليا التي جاءت بها الشريعة (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ العرض، حفظ المال).

3- المقاصد هي الغايات والأهداف الكبرى التي توجه العمل الدعوي، بينما العمل الدعوي هو الوسيلة العملية لتحقيق هذه المقاصد.

4- المقاصد تحدد أهداف الدعوة ووسائلها وأولوياتها وضوابطها.

5- يجب على الداعية فهم المقاصد فهما عميقا ودقيقا (مقاصد الإسلام والدعوة)، وعليه إدراك

كيفية تطبيقها في الواقع الدعوي.

6- فقه المقاصد يؤدي إلى نهضة العمل الدعوي المعاصر، لأنه يمكن من الاستيعاب والإدراك والممارسة الواعية، والتجديد ومواكبة الحركة الحضارية، ومن ثم كان لزاما إحياء هذا الفقه لتحقيق الهدف المنشود.

7- إغفال هذا الفقه وعدم فهم مكنوناته واستيعاب مضامينه وأبعاده، ومعرفة قواعده ومراتبه وضوابطه وآلياته، له تداعيات ومفاسد عظيمة، تهوي بالعمل الدعوي المعاصر، وتقوده إلى دائرة الفشل.

8- تحكيم فقه المقاصد في المجال الدعوي يحقق مصالح عظيمة وفوائد جمة، حيث يجمع بين هداية القلوب وصلاح الحياة واستقرار المجتمعات.

9- العمل الدعوي المعاصر يجب أن يحرص على جلب المصالح التي جاء الإسلام لتحقيقها، ودرء المفاسد التي جاء الإسلام لدفعها.

10- طبيعة العمل الدعوي المعاصر تحتاج إلى تحديد الهدف، وتتطلب إدراكا لأبعاد الدعوة وطبيعة مرحلتها وحجم تحدياتها، كما تستلزم استراتيجية ومنهجاً وآليات مناسبة.

11- ضرورة مراعاة الأولويات وسنة التدرج في الدعوة، مثلاً: البدء بأصول الدعوة قبل فروعها وتفصيلها، وتقديم مقاصد الشريعة الضرورية على المقاصد الحاجية والتحسينية.

12- الاجتهاد والتجديد الدعوي المعاصر لا بد أن يعتمد على أصلي الكتاب والسنة، والفقه العميق لمقاصد الشريعة الإسلامية، وإدماج العلوم الحديثة التي تجعل العمل الدعوي أكثر شمولية وفاعلية.

13- تجربة الشيخ عبد السلام ياسين رحمه الله تعد تجربة دعوية نموذجية متميزة، حققت نجاحاً معتبراً، خاصة في البناء التصوري الفكري والمنهجي، ولكن لا يمكن الجزم بإمكانية تعميم هذه التجربة، لأن لكل تجربة خصوصياتها واستثناءاتها، كما لا يمكن الجزم بنجاحها بشكل تام، وذلك لغياب مؤشرات التقويم التي يمكن من خلالها قياس مدى نجاح هذه التجربة.

توصيات الدراسة:

ومن أهم ما أتقدم به من توصيات:

- 1- ضرورة الاستفادة من مختلف العلوم والمعارف للمساهمة في إنجاح الدعوة الإسلامية المعاصرة.
- 2- ضرورة فقه الداعية للكتاب والسنة فقها عميقا، والاستبصار بالأدوات الأصولية المعينة على الفهم والاستنباط لمختلف المسائل والمستجدات الدعوية.
- 3- ضرورة امتلاك الداعية الحججة البالغة، والمزاوجة بين العقل والقلب، وربط العلم بالدين، وذلك حتى يؤثر في جمهور المدعوين.
- 4- ضرورة اهتمام الدعاة المعاصرين بفقه المقاصد ومراعاة تطبيقاته أثناء العمل الدعوي، وذلك لما يحققه هذا النوع من مصالح، وما يترتب من مفاسد عند إغفاله.
- 5- ضرورة امتلاك الداعية أهدافا ورؤى واضحة، وخططا مدروسة ومنهجيا محددًا، وذلك حتى يكون مقبولا في أوساط المدعوين، ويكفل بذلك التقدم في دعوته.
- 6- أهمية الاستفادة من نماذج الدعاة السابقين والمعاصرين، ومعرفة المقاصد والاستراتيجيات والوسائل المتبعة لتحقيق أهداف الدعوة.
- 7- الدعوة إلى إنشاء الدراسات والأبحاث المتخصصة في دعوة الشيخ عبد السلام ياسين، ودراستها وتحليلها من جوانب مختلفة.

اقتراحات لبحوث ودراسات مستقبلية:

- 1- استكمال دراسة بقية المقاصد والمطالب عند الشيخ عبد السلام ياسين، والتي لم يتناولها البحث، مثل: " طلب تحقيق العبودية لله تعالى وتمكين دين الله في الأرض، طلب عودة الخلافة على منهاج النبوة، طلب الشورى، طلب الإسلام الكلي الشمولي، طلب الإيمان بكل شعبه...".
 - 2- قراءات نقدية حول التجربة الدعوية للشيخ عبد السلام ياسين في بعدها المقاصدي، وبناء نماذج تقييم تقيس مدى نجاح هذه التجربة وغيرها من التجارب الدعوية.
 - 3- إجراء المزيد من الدراسات التطبيقية التي تركز بعمق وتفصيل على كيفية تطبيق فقه المقاصد في المجال الدعوي المعاصر.
 - 4- دراسة أزمة الفكر الإسلامي المعاصر بين التقليد والتغريب، وأثر الفقه المقاصدي في إعادة تشكيل الوعي الديني.
- وختاماً نسأل الله أن يلهمنا البصيرة ويهيئ لنا من أمرنا رشداً ..

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأبيات الشعرية

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
178	5	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
سورة البقرة		
13	288	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ
17	185	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ
18	183	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
37	234	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
94	195	وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
94	179	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
96	256	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
141 ، 123	114	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ
187	187	هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ
203	186	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
سورة آل عمران		
155	31	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
248 ، 240	103	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
سورة النساء		
187	19	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
221	58	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
7	78	فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

150	79	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ
16	165	رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِرُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ل
79	113	وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
سورة المائدة		
47 ، 17	6	مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
47	91	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ
93	32	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ
181	93	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
سورة الأنعام		
6	98	قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ
6	65	انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ
66	108	وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
248	159	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
سورة الأعراف		
181	56	إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
سورة الأنفال		
155	20	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
248	46	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
سورة التوبة		
17	103	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

25	73	جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
190	105	وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
سورة يونس		
181 ، 180	26	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ
سورة يوسف		
71	108	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ
سورة النحل		
78 ، 2	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
9	9	وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
16	44	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
218 ، 175 ، 129	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
85	97	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
221	76	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
سورة الإسراء		
94	31	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ
186	23	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً
سورة الكهف		
95	29	فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
193	110	فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
سورة الأنبياء		
16	25	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

16	107	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
240	92	إِنَّ هُدَاهُ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
سورة الحج		
18	28	لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ
سورة المؤمنون		
15	115	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
248	52	وَإِنَّ هُدَاهُ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
سورة النور		
168	37	رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
سورة الفرقان		
94	68	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
سورة الشعراء		
96	4-3	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ
سورة العنكبوت		
17	45	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
سورة لقمان		
10	19	وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
186	15-14	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
سورة الأحزاب		
25	48	وَدَعَّ أَدَاهُمْ
72	46	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
سورة ص		

16	29	كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
سورة الزمر		
200، 43	2	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
سورة فصلت		
85	30	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
180	33	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
سورة الشورى		
95	40	فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
سورة الحجرات		
221	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
سورة الذاريات		
180	19-15	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
سورة الممتحنة		
95	8	لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ
سورة المنافقون		
23	4	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
23	8	يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
سورة الطلاق		
37	4	وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
سورة التكويد		
94	9-8	وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
6	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
7	مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ
16	يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة
17	من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر
19	أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ
20	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة
20	يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهدٍ بجاهلية
23	دَعُوهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ
23	مَا بَأْسَ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ
24	مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَبِي أَقْتُلُ أَصْحَابِي
25	قال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل
27	لَا تُقَطِّعُ الْأَيْدِي فِي الْعَزْوِ
28	فإن الله قد غفر لك ذنبك، أو قال: حدك
29	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
28	أليس قد صليت معنا؟
249	فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية
29	فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ
30	الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله

30	كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟
31	وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ
32	لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
35	ما لك ولها، معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء
43	قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك
60	إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله
78	لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد
95	إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَارَةَ فَقُومُوا لَهَا، فَمَنْ اتَّبَعَهَا فَلَا يَفْعُدُ حَتَّى تُوَضَعَ
95	بُعِثْتُ رَحْمَةً، وَلَمْ أُبْعَثْ لَعْنًا
176	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
178	أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت
180	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
181	إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا عِنْدَ اللَّهِ
184	أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك
185	اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى
186	أملك ثم أملك ثم أملك ثم أبوك ثم أدناك أدناك
186	مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَيِّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
186	من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم

187	أكمل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا، وخيركم خيركم لنسائهم
188	اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها
188	كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق
188	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
188	ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة
189	من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة
190	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرَسَهَا فَلْيَغْرَسَهَا
190	إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَضُرُّ بِهِمْ عَنِ الْقَتْلِ، يُطِيلُ أَعْمَارَهُمْ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ
190	ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده
190	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ
191	ارجع فصل، فإنك لم تُصلِّ
192	أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل
192	أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟
192	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُجِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ
192	إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ وَلَدِهِ
192	إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
193	نَوَّرَتِ الْإِسْلَامَ نَوَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

195	ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله
200	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا، وَلِسَانَهُ صَادِقًا
202	مثل الذي يَذْكُرُ ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت
203	أفضل العبادة الدعاء
203	الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ
203	لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر
206	تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ
207	إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة
206	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا
221	إذا حكمتهم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين
222	إن المقسطين عند الله على منابر من نور
222	إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر
222	لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنَّا، يَمْلُؤُهَا عَدْلًا
223	إنّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر
223	القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار
223	لتأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط
239	إياكم والغلو في الدين
243	خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمَلِكَ - أَوْ مُلْكَهُ - مَنْ يَشَاءُ

249	إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً
249	أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ
249	من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة
251	يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها
253	تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم
124	إبراهيم الشرقاوي
ب، 2، 10، 17، 26، 44، 48، 56، 59، 54، 96، 79، 56، 62	ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور
5	ابن الأثير، علي بن محمد الجزري
11، 32، 48، 76، 125	أحمد الريسوني
122، 125	أحمد الملاح
33، 208، 252	أحمد بن حنبل
244	أحمد بن سعد حمدان الغامدي
ل	أحمد بن علي الخليلي
149	أحمد بوعود
74	أحمد عيساوي
157، 158	إدريس مقبول
5	الأزهري، محمد بن أحمد الهروي
11	إسماعيل الحسيني
180	أبو الأشعث
32	الأفرغ بن حابس
248	الألوسي، شهاب الدين أحمد بن محمد
ب	الأمدي، سيف الدين علي بن أبي علي
28، 95	أنس بن مالك
27	الأوزاعي، عبد الرحمان بن عمرو
74	بدر الدين زواقة
ب	أبو بكر القفال الكبير
29، 31، 31، 35	أبو بكر لصديق
88	البوطي، محمد سعيد رمضان
73	البيانوني
11، 15، 54، 57	ابن بيه، عبد الله بن بيه
ب	الترمذي، محمد بن علي (الحكيم الترمذي)
27	الترمذي محمد بن عيسى

193	تَمِيمُ الداري
15	توماس كارليل
21، 30، 59، 61، 175، 179، 209، 219، 230	ابن تيمية
23	جابر بن عبد الله
7، 217، 219	الجرجاني، علي بن محمد
16	ابن جزري
49	جمال الدين محمد عطية
27	جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ
10	ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني
ب، 148	الجويني، عبد الملك بن عبد الله
ب، 49، 50، 53، 148، 209	أبو حامد الغزالي
27، 27، 34	حذيفة بن اليمان
20، 219	ابن حزم
33	حسان بن أزهر
175	الحسن البصري
119، 121	الحسن الثاني (ملك المغرب)
209، 227	الماوردي
34	حفصة بنت عمر بن الخطاب
74	حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي
7	أبو حنيفة النعمان بن ثابت
8	الخادمي، نورالدين بن مختار الخادمي
88، 255	ابن خلدون
27	أبو الدرداء
86	دبيل كارنيجي
ب، 2، 80، 94، 96، 202	الرازي، فخر الدين الرازي
91	راشد الغنوشي
17، 210، 219	الراغب الأصفهاني
21	الرافعي، عبد الكريم بن محمد
16	الرمحشيري، محمود بن عمر

24	زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ
34، 31	زيد بن ثابت
38	سحنون بن سعيد التنوخي (سحنون المالكي)
28	سعد بن أبي وقاص
ي	سعد بن عبد الله بن سعد القعود
78	السعدي، عبد الرحمان بن ناصر
34	سعيد بن العاص
197	سعيد بن المسيب
243	سعيد بن جهمان
185	أبو سلمة بن عبد الرحمان بن عوف
ب، 36، 39، 40، 55، 58، 63، 66، 73، 67، 70، 71، 77، 145	الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي
223، 83	الشافعي، محمد بن إدريس
178	شداد بن أوس
218	ابن شميل
84	صلاح الراشد
185	الطبراني
199، 19	الطبري، محمد بن جرير
78، 75	الطيب برغوث
24	عاصم بن عمر بن قتادة
20	عائشة بنت أبي بكر الصديق
114، 114	العباس القادري البوتشيشي
34	عبد الرحمن بن الحارث
1-11، 74، 79-91، 95-110، 112-130، 132-153، 155-161، 163-166، 168، 169، 171-184، 186-195، 197	عبد السلام ياسين
209	عبد القادر الجيلاني
74	عبد الكريم زيدان
ي	عبد الله أبو وهدان
23، 24، 25	بن أبي عبد الله بن أبي

34	عبد الله بن الزبير
33	عبد الله ابن حدير الكوفي
218 ، 155 ، 60 ، 37 ، 18	عبد الله ابن عباس
42 ، 40	عبد الله دراز
104	عبد الله ولد بهي
39	عبد المجيد النجار
67	عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
36	عبيد بن عمير
32	عَبِيدَةَ السِّلْمَانِي
223 ، 241 ، 35 ، 34	عثمان بن عفان
8	العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين
93	عز الدين ميهوي
62 ، 14	العز بن عبد السلام
ل ، 65 ، 159	عصام أحمد البشير
201	ابن عطاء الله السكندري
219	ابن عطية
32	عقبة بن عامر
10	علال الفاسي
27	علقمة بن قيس
209	أبو علي الدقاق
223 ، 222 ، 92 ، 64 ، 59 ، 37 ، 36 ، 35	علي بن أبي طالب
74	علي جريشة
84	علي عزت بيحوفيتش
38 ، 38	ابن عمر
66	عمر الجميلي
176 ، 36 ، 35 ، 32 ، 31 ، 31 ، 29 ، 27 ، 24 ، 223	عمر بن الخطاب
67	عمر بن عبد العزيز
32	عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ
9 ، 5	ابن فارس، أحمد بن فارس

87، 86، 82	فتح الله كولن
218	الفراء، يحيى بن زياد
66	فريد الأنصاري
219	القاضي أبي محمد
218	قتادة
96، 32	ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي
ب	القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس
249، 24	القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري
7، 14، 27، 28، 28، 29، 34، 38، 43، 51، 118، 178، 197، 198، 202	ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي
10	ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي
192	كعب بن عُجْرَة
19	ابن المبارك
218	مجاهد، بن جبر المكي
28	أبو محجن الثقفي
ك، ل، 148	محمد رفيع
ي، 105، 105، 109، 109، 111، 129	محمد العربي أبو حزم
122	محمد العلوي
73، 182	محمد الغزالي
250	محمد المبارك
105، 105	محمد المختار السوسي
199	محمد بن الفضل
79، 203	رشيد رضا
ي	محمد عبد المولى جمعة
83	محمود المصري
2، 78	المراغي، محمد بن عبد الله
19، 29، 37، 64	ابن مسعود
ط	مسعود فلوسي
30، 38، 60، 185	معاذ بن جبل
218	مقاتل، بن سليمان البلخي

6	ابن منظور، محمد بن مكرم
ط	منوبة برهاني
38	أبو موسى الأشعري
67	ميمون بن مهران
245	الندوي، أبو الحسن علي الحسيني
252	النعمان بن بشير
د	نور الدين سكحال
79، 25، 22	النوي، يحيى بن شرف
206	أبو هريرة
26	ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد
193	أبو هند (مولى تميم الداري)
35	أبو الوليد الباجي (سليمان بن خلف بن سعد الباجي)
27، 27	الوليد بن عقبة
63، 60، 11	يوسف القرضاوي
11	يوسف حامد العالم

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت الشعري
83	تَعْصِي الإِلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
184	سَمِعْنَا نِدَاءَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ ذَائِعٌ

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1. عبد السلام ياسين، الإسلام بين الدعوة والدولة، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1972م.
2. عبد السلام ياسين، الإسلام غدا، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1973م.
3. عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيماً وزحفاً، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م.
4. عبد السلام ياسين، مقدمات في المنهاج، تصفيف دار الخطابي مطبعة الأمة، الدار البيضاء، 1989م.
5. عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1989م.
6. عبد السلام ياسين: محنة العقل المسلم، ط1، مؤسسة التغليف والطباعة والتوزيع للشمال، طنجة، 1994م.
7. عبد السلام ياسين، رسالة إلى الطالب والطالبة، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م.
8. عبد السلام ياسين، رسالة تذكير، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م.
9. عبد السلام ياسين، في الاقتصاد، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1995م.
10. عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م.
11. عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م.
12. عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م.

13. عبد السلام ياسين، حوار الماضي والمستقبل، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1997م.
14. عبد السلام ياسين: كيف نجدد إيماننا؟ كيف ننصح الله ورسوله؟، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م.
15. عبد السلام ياسين، الفطرة وعلاج القلوب، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م.
16. عبد السلام ياسين، الإحسان، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1998م.
17. عبد السلام ياسين ياسين، الإحسان، ط2، دار لبنان للطباعة والنشر، 1439هـ / 2018م.
18. عبد السلام ياسين، الإسلام والحداثة، ط2، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 2000م.
19. عبد السلام ياسين، الإسلام أو الطوفان، ط2، د. دار النشر، د.ب، 1421هـ / 2000م (تطبيق سراج الإلكتروني).
20. عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 2000م.
21. عبد السلام ياسين، العدل: الإسلاميون والحكم، ط3، دار لبنان، لبنان، بيروت، 1439هـ / 2018م.
22. عبد السلام ياسين، من كلمة له عند زيارته مدينة وجدة في يونيو 2001م.
23. عبد السلام ياسين، مقدمات لمستقبل الإسلام، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2005م.
24. عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2009م.
25. عبد السلام ياسين، جماعة المسلمين ورايبتها، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
26. عبد السلام ياسين، وصيبي، ط1، د.د، د.ب، 2013م.
27. عبد السلام ياسين، حوار مع صديق أمازيغي، ط4، د.د، بيروت، لبنان، 2015م.
28. عبد السلام ياسين، الخلافة والمملك، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م.

29. عبد السلام ياسين، حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م.
30. عبد السلام ياسين، رجال القومة والإصلاح، ط4، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2018م.
31. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، مارس أبريل ماي، 1979م، ع1.
32. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، د.ب، ربيع الأول وربع الثاني 1400هـ/ 1980م، ع5.
33. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، نوفمبر ديسمبر جانفي، 1980-1981م، ع7.
34. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، د.ط، د.د، د.ب، شعبان 1401هـ، ع8.
35. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، د.ب، شهر صفر 1402هـ/ 1981م، ع9.
36. عبد السلام ياسين، مجلة الجماعة، ط1، د.د، رمضان 1402هـ/ 1982م، سلا، المغرب، ع10.

ثانيا: المراجع

1- الكتب

37. أحمد عيساوي، المدخل إلى علم الدعوة الإسلامية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1437هـ/ 2016م.
38. إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، د.ط، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.س.
39. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاغتصام، ت: د هشام بن إسماعيل الصيني، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1429هـ/ 2008م.
40. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة،

- شرح: عبد الله دراز وآخرون، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
41. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م.
42. إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، دس.
43. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م.
44. أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
45. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ت: طه جابر العلواني، ط4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1415هـ/ 1995م.
46. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط2، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، د.ب، 1412هـ/ 1992م.
47. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجُردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ/ 2003م.
48. أحمد بن سعد حمدان الغامدي، الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها، ط17، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، جماد الآخرة 1405هـ.
49. أحمد بن عطاء الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1961.
50. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط، دار المعرفة، بيروت، 1379.
51. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، المكتبة العلمية، بيروت، د.س.

52. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ/1946م.
53. أحمد بوعود، فقه الواقع أصول وضوابط، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/2006م.
54. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 1429هـ/2008 م.
55. إدريس مقبول، سؤال المعنى في فكر عبد السلام ياسين، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014م.
56. إسماعيل الحسني، مقاصد الشريعة وأسئلة الفكر المقاصدي، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 1434هـ/2013م.
57. إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، روح البيان، د.ط، دار الفكر - بيروت، د.س.
58. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.س.
59. بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، ط3، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ/1996 م.
60. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعائي، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ.
61. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الأهوال، ت: مجدي فتحي السيد، د.ط، مكتبة آل ياسر - مصر، 1413 هـ.
62. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، إصلاح المال، ت: محمد عبد القادر عطا، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان،

1414هـ / 1993م.

63. أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف، ت: د نجم عبد الرحمن خلف، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1411هـ / 1990م.

64. بلال التليدي، ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية، د.ط، دار الطبع، طوب بريس، الرباط، 2010م.

65. بودقزدام عمران، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.س.

66. البيهقي، شعب الإيمان، ت عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ / 2003م.

67. الترمذي، سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاكر وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ / 1975م.

68. تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحى المعروف بابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزجيلي ونزيه حماد، ط2، مكتبة العبيكان، 1418هـ / 1997م.

69. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، مجموع الفتاوى، ط1، دار الكتب العلمية، 1408هـ / 1987م.

70. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. ط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ / 1995م.

71. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المستدرک على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط1، د. دار النشر، 1418هـ.

72. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الاستقامة، ت: د. محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود المدينة المنورة، 1403هـ.
73. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الإيمان، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، 1416هـ/1996م.
74. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن عبد العزيز بن إبراهيم حمدان بن محمد، ط2، دار العاصمة، السعودية، 1419هـ/1999م.
75. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط1، دار الكتب العلمية، د.ب، 1408هـ/1987م، ج 2.
76. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، د.س.
77. توماس إريكسون، محاط بالانتكاسات تحويل العقبات إلى نجاحات، ط1، مكتبة جرير، 2023م.
78. جاسر عودة، مقاصد الشريعة الإسلامية المبادئ والمفاهيم، مجموعة بحوث.
79. ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ.
80. جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، ت: مختار إبراهيم الهائج وآخرون، ط2، 1426هـ/2005م، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

81. جلال الدين السيوطي، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، ط3، دار الصديق، 1430هـ/ 2009 م.
82. جمال الدين محمد عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، هرنندن - فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1432هـ/ 2011م.
83. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ - 1987م، ج3.
84. حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ت: عمر بن محمود أبو عمر، ط1، دار ابن القيم - الدمام، 1410هـ/ 1990 م.
85. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ت أحمد عبد الرازق البكري، ط3، دار السلام، مصر، 1429هـ/ 2008م.
86. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، د.ط، دار المعرفة - بيروت، د.س.
87. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، كيمياء السعادة، د.ط، د.د، د.س.
88. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1993م.
89. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط2، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1975.
90. أبو الحسن البغدادي المالكي، الاجتهاد والتقليد، ت: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العمية.
91. الحسن السلاسي، الجهاز المفهومي في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين، د.ط، مؤسسة الإمام عبد السلام ياسين، د.ب، د.س.
92. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، د.ط، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر.

93. أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، د.ط، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق لبنان.
94. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الأحكام السلطانية، د.ط، دار الحديث، القاهرة، د.س.
95. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، 1986م.
96. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2004م.
97. حيدر أدهم عبد الهادي، دراسات في حقوق الإنسان، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2008م.
98. خالد أبو راشد، رد إلي روعي بأي قلب نلقاه، ط1، الأندلس الجديدة، مصر، 1431هـ/2010م.
99. خالد بن سليمان بن علي الربيعي، مِنْ عَجَائِبِ الدُّعَاءِ، ط1، دار القاسم للنشر، الرياض، 1423هـ/2002م.
100. خالد فائق العبيدي، مقدمة هندسة الدعوة العصرية من المنطلقات إلى التطبيقات، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م.
101. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
102. ديل كارنيحي، دع القلق وابدأ الحياة، تقديم: ممدوح الشيخ، ط1، دار الكتب المصرية، 2008م.
103. راشد الغنوشي، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام، ط1، الدار العربية، 1433هـ/

2012م، بيروت، لبنان.

104. ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ت: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ط1، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1425 هـ/2004 م.

105. ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ت: شعيب الأرنؤوط إبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1422 هـ/2001 م.

106. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002 م.

107. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392 هـ.

108. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420 هـ/1999 م.

109. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط1، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، 1422 هـ/2001 م.

110. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، 1417 هـ/1996 م.

111. سعد الدين العثماني، أصول الفقه في خدمة الدعوة، ط3، دار الكلمة، مصر، القاهرة، 1435 هـ/2014 م.

112. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ.

113. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، د.س.

114. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط1، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1405هـ/ 1984م.
115. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، د.س.
116. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.س.
117. السيد رزق الطويل، مدخل في علوم القراءات، ط1، المكتبة الفيصلية، د.ب، 1405هـ/ 1985م.
118. سيد قطب، أفرح الروح، د.ط، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/ 2012م.
119. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.
120. الشيخ ابن عباد الرندي، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، ت: الدكتور عبد الحلیم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، مصر، ج 2.
121. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح الأصول الثلاثة، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1427هـ/ 2006 م.
122. صلاح صالح الراشد، كن مطمئنا البرنامج العملي للتغلب على القلق، د.ط، الراية، الكويت، 2010م.
123. طارق البشري، ماهية المعاصرة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1417هـ/ 1996م.
124. الطيب برغوث، سلطة المنهج في الحركة النبوية، تقديم: جودت سعيد، ط4، دار النعمان، الجزائر، 2012م.
125. أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقده، مختصر معارج القبول، ط5، مكتبة الكوثر، الرياض، 1418هـ.

126. أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقده، مختصر معارج القبول، ط5، مكتبة الكوثر، الرياض، 1418هـ، ج1.
127. عبد الحكيم الرميلي، تغير الفتوى في الفقه الإسلامي (سلسلة الرسائل والدراسات الجامعية)، دار الكتب العلمية.
128. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، د.ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
129. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، السنن الكبرى، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/ 2001 م.
130. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، ت: محمد بن لطفي الصباغ، د.ط، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض.
131. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1420هـ/ 2000 م.
132. أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الخنظلي، الزهد والرقائق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، د.ط، دار الكتب العلمية - بيروت، د.س.
133. أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ط5، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، 1423هـ/ 2003 م.
134. عبد الرحيم مارديني، ديوان الإمام الشافعي رحمته الله أقواله وحكمه ووصاياه، ط1، دار المحبة، دمشق، 2424هـ/ 2004 م.
135. عبد العزيز آل الشيخ، جامع خطب عرفة، د.ط، د. دار النشر، د.س.
136. عبد الكريم العلمي وكريم الركاكي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين رحمه الله، د.ط، د.د، د.ب، د.س.

137. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، ت الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، د.ط، دار المعارف، القاهرة.
138. عبد الكريم حامدي، المدخل إلى مقاصد القرآن، ط1، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1428هـ/ 2007م.
139. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، د ط، دار قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، دت.
140. عبد الكريم عمر عبد الكريم الشقاقي العاني، الضوابط الأصولية للاجتهد في السياسة الشرعية، د.ط، دار الكتب العلمية، د.ب، د.س.
141. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1421 هـ/ 2001 م.
142. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الزهد، حاشية: محمد عبد السلام شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1420 هـ/ 1999 م.
143. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1411هـ/ 1990م.
144. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتي، 1414هـ/ 1994م.
145. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ب، 1376 هـ/ 1957 م، ج 2.
146. عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، مشاهد من المقاصد، ط2، دار وجوه، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1433هـ/ 2012م.

147. عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.
148. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصيل الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م.
149. عبد الله بن محمد الطيار، عبد الله بن محمد المطلق، محمد بن إبراهيم موسى، الفقه الميسر، ط1، مدار الوطن للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011.
150. عبد الله بن محمد بن سعد آل خنين، توصيف الأقضية في الشريعة الإسلامية «دراسة شرعية لأصول وفروع تنزيل الأحكام الكلية على الوقائع القضائية والفتوية مع تطبيقات قضائية من أقضية السلف ومحاكم المملكة العربية السعودية»، ط1، د. دار، د.ب، 1423هـ/2003م.
151. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري، ترتيب الفروق واختصارها، ت: الأستاذ عمر ابن عباد، خريج دار الحديث الحسينية، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1414هـ/1994م.
152. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ.
153. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م.
154. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1427هـ/2006م.
155. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ.

156. أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، ت: عبيد بن علي العبيد، ط112، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1421هـ.
157. عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006م.
158. عبد المجيد محمد السوسوة، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، ط1، دار القلم: دبي، 1425هـ.
159. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لابن هشام، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1375هـ / 1955 م.
160. أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجورجاني، سنن سعيد بن منصور، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، الدار السلفية، الهند، 1403هـ / 1982م.
161. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ت: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ط1، دار المعارف، بيروت، د.ت.
162. عزيز بن فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، دار الإمام مالك أبو ظبي، 1426هـ / 2005م.
163. عصام أحمد البشير، إعمال المقاصد في المجال الدعوي: مجموعة بحوث، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1437هـ / 2016م.
164. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.
165. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، د. ط، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.

166. علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، ط5، دار الغرب الإسلامي، 1993م.
167. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1404هـ.
168. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.
169. علي بن محمد بن علي الزين الشريف، الجرجاني، كتاب التعريفات، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1403هـ/1983م.
170. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، دط، دار قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، دت.
171. علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، المترجم: محمد يوسف عدس، ط1، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، 1414هـ/1994م، (<https://archive.org>).
172. عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1437هـ/2016م.
173. ابن فارس، مجمل اللغة لابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1406هـ/1986م.
174. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
175. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، دس.
176. ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، ط2، دار الجليل، بيروت، 1999.
177. فالخ بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري، التحفة المهديّة شرح العقيدة التدمرية، ط3، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1413هـ.
178. فتح الله كولن، التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار النيل، القاهرة، مصر، 1426هـ/2006م.

179. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999 م.
180. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ت: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419هـ.
181. فريد الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ط2، دار السلام، القاهرة، 1435 هـ/ 2014م.
182. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير، ت: الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى، ط1، دار أضواء السلف، 1428هـ/ 2007 م.
183. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، د.ط، دار السلام - القاهرة، 1428هـ/ 2007 م.
184. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412 هـ.
185. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الطبعة الأولى، كلية الآداب جامعة طنطا، 1420هـ/ 1999م.
186. أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.س، ج20.
187. قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ت: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، 2004م/ 1424هـ.
188. أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرفاعي، شرح مسند الشافعي، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، قطر، 1428هـ.

189. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ت محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998 م.

190. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة: الثالثة 1407 هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

191. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، تعليق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424 هـ - 2003 م، ج3.

192. كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، فتح القدير، د.ط، دار الفكر، د.س.

193. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.ب، د.س.

194. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426هـ/2005 م.

195. مجدي خدوري، مفهوم العدل في الإسلام، ط1، دار الحصاد، دمشق، سوريا، 1998م.

196. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، المعجم الوسيط، د.ط، دار الدعوة.

197. محمد أبو الفتح البيانوي، مدخل إلى علم الدعوة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

198. محمد الطاهر الميساوي، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1436هـ/2015 م.

199. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د.ط، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
200. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: الطاهر البيساوي، دط، دار النفائس، الأردن، 1421هـ / 2001م.
201. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ / 2004م.
202. محمد العربي أبو حزم، عبد السلام ياسين الإمام المجدد، ط1، د.د، 1438هـ / 2016م.
203. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، د.ط، دار الشروق، د.ب، د.س.
204. محمد الغزالي، جدد حياتك، د.ط، دار الرشاد، قسنطينة، د.س.
205. محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ط4، دار القلم، دمشق، سوريا، 1421هـ / 2000م.
206. محمد المبارك، الوحدة الإسلامية، ط10، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د. س.
207. محمد بكر إسماعيل حبيب، مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، 1427هـ، العدد: 213
208. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ / 1991م.
209. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط1، دار ومكتبة الهلال - بيروت.
210. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ت: شعيب الأرنؤوط عبد القادر الأرنؤوط، ط2، دار العروبة - الكويت، 1407هـ / 1987م.

211. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعطلّة، ت: علي بن محمد الدخيل الله، ط1، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1408هـ.
212. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1393هـ / 1973 م.
213. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1416هـ / 1996 م.
214. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.
215. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية دار العلم والإرادة، د.ط، دار المتنبّي، القاهرة، د.س.
216. محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م، ج7، ج10، ج11.
217. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الأدب المفرد، ت محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409 - 1989م.
218. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، د.ب، 1422هـ.
219. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ / 1987م.
220. محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، آداب الصحبة، ت: مجدي فتحي السيد، ط1، دار الصحابة للتراث طنطا - مصر، 1410 - 1990.

221. محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 1997.
222. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، د.ب، 1422هـ / 2001 م.
223. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، د.ب، 1420هـ / 2000 م.
224. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ / 1993م.
225. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الأصول من علم الأصول، ط4، دار ابن الجوزي، 1430هـ / 2009 م.
226. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة السفارينية الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ.
227. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن دار الثريا، الطبعة الأخيرة، 1413 هـ.
228. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط1، دار ابن حزم، د.ب، د.س.
229. محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحّاك الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.
230. محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحّاك الترمذي، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد

شاكرو ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395هـ/ 1975م.

231. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب المحيط، دط، دار الجليل، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

232. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

233. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دط، دار صادر، لبنان، بيروت، دس.

234. محمد بن عمر، من الاجتهاد في النص إلى الاجتهاد في الواقع (نحو مساهمة في تأصيل فقه الواقع)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.

235. محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010 م.

236. محمد رشاد خليفة، مدرسة الحديث في مصر، دط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة، دس.

237. محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

238. محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ط11، دار الفكر، دمشق، 1432هـ/ 2011م.

239. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ.

240. محمد عبد الفتاح الخطيب، كتاب الأمة، قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة.

241. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهْرَام بن عبد الصمد الدارمي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، ت: حسين سليم أسد الداراني، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/ 2000 م.
242. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الإمام الدارمي، ت: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط1، دون دار النشر، 1436هـ/ 2015 م.
243. أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي»، أحكام القرآن، ت: صلاح الدين بو عفيف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1427هـ/ 2006 م.
244. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، 1414هـ/ 1991 م.
245. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1399هـ/ 1979 م.
246. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، قواعد الفقه، ط1، الصدف بيلشرز، كراتشي، باكستان، 1407هـ/ 1986 م.
247. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية.
248. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1428هـ/ 2007 م.
249. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، د.ط، دار الهداية، د.ب، د.س.
250. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي

- الحنبلي، الشهير بابن قدامة، المغني لابن قدامة، د.ط، مكتبة القاهرة، د.ب، 1388هـ/1968م.
251. محمد يسري إبراهيم حسين، فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة، ط2، دار اليسر للنشر والتوزيع، مصر، 1433هـ/2012م.
252. محمود المصري، لا تحزن وابتسم للحياة، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م.
253. محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ت: محمد مظهر بقاء، ط1، دار المدني، السعودية، 1406هـ/1986م.
254. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م.
255. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دس.
256. مصطفى أحمد الزرقا، المدخل الفقهي العام، ط2، دار القلم، دمشق، 1425هـ/2004م.
257. معاذ محمد أبو الفتوح البيانوني، فقه الموازنات الدعوية معالمه وضوابطه، د.ط، مكتبة دار اقرأ، الكويت، د.س.
258. منير الزكراكي، عبد الكريم العلمي، حوار شامل مع الأستاذ المرشد عبد السلام ياسين، د.ط، د.د، د.ب، د.س.
259. ناصر عمر، فقه الواقع، دار الوطن، الرياض، ط1، 1412هـ/1992م.
260. نجم الدين الحنبلي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1426هـ/2005م.
261. نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، ط1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،

1435هـ / 2014 م.

262. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د.ط، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ / 1974م.

263. نور الدين أبو لحية، أسرار الأقدار، ط2، دار الأنوار، 1437هـ.

264. نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1421هـ / 2001م.

265. نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة، الاجتهاد المقاصدي _ حجيته.. ضوابطه.. مجالاته.

266. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، د.ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.س.

267. أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، المنتقى شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1332هـ.

268. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، ط1، دار الفكر - دمشق، 1422 هـ.

269. يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، ط1، دار القلم، الكويت، 1417هـ / 1996م.

270. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط14، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ / 1998م.

271. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1991م.

272. يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والجزئية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1427هـ / 2006م.

273. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1420هـ / 1999م.

274. يوسف حامد العالم، مقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط2، دار العالمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

الرسائل الجامعية:

275. سعد بن عبد الله بن سعد القعود، (فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية) رسالة ماجستير، إشراف: الدكتور محمد عبد المولى جمعة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الدعوة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 1432هـ.

276. منوبة برهاني، (الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا) رسالة دكتوراه، إشراف: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي، تخصص: فقه وأصول، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية - جامعة باتنة، 2006م - 2007م.

277. وسيم عوني صلاح أبو حسن، (عبد السلام ياسين وأثره على علم المقاصد في العصر الحديث) رسالة ماجستير، إشراف: الدكتور عبد الله أبو وهدان، تخصص: الفقه والتشريع، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، تم تقديم هذه الرسالة سنة 2015م.

المجلات العلمية:

278. أحمد بن سعد حمدان الغامدي، أثر العقيدة الإسلامية في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية، ط16، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 6، محرم - صفر ربيع الأول 1404هـ/1984م.

279. مجلة الوعي الإسلامي، الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع، مساهمة في التجديد الدعوي، العدد 532، التاريخ: 2010/9/3م.

المؤتمرات العلمية:

280. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، التجديد في الفكر الإسلامي أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: المنعقد بالقاهرة في الفترة من: 8 11 ربيع الأول 1422هـ/ 31 مايو إلى 3 يونيو 2001م، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، 2008م.

281. المؤتمر الدولي للأبحاث والدراسات التربوية والعلمية والمعهد الأوروبي للعلوم الإسلامية، كتاب أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول، مركزية القرآن الكريم في نظرية المنهاج النبوي عند الأستاذ عبد السلام ياسين.

المواقع الإلكترونية

282. www.new.yassine.net / هيئة التحرير، في المدرسة القرآنية.

283. www.shamela.ws / المختار السوسي.

284. alqaradawi.net، موقع يوسف القرضاوي، مقام إبراهيم عليه السلام، التاريخ: 27 ماي 2020م، الساعة: 12:00

285. alabasirah.com، موقع: علي بصيرة، فهد بن صالح العجلان، (لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُوْ عَهْدِ بِكُفْرٍ) دراسة فقهية في مراعاة النفور من الدين، التاريخ: 27 ماي 2020م، الساعة: 12:00

286. albayan.co.uk، موقع البيان، عندما يحتسب العامي، هاني بن عبد الله بن محمد الجبير، التاريخ: 29 ماي 2020م، الساعة: 23:00.

287. ar.islamway.net، موقع طريق الإسلام، عصام البشير، حول فقه الواقع، التاريخ: 02 07 2019

288. ar.islamway.net، موقع: طريق الإسلام، عصام البشير، حول فقه الواقع، التاريخ:

10 جويلية 2020، الساعة: 18:00

289. ar.wikisource.org، مجلة البيان للبرقوقي، الأبطال وعبادة البطولة، العدد2، تاريخ: 23/9/1911.

290. books.google.dz، شريف راشد الصديقي، مَفْهُومُ النَّصِّ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَحْكَامُ: الْفَتْحِ - الْعَنْيَمَةِ الْفَيِّءِ، ط1، إي كتب للنشر، لندن، أغسطس 2016م.

291. hadith.net، ميزان الحكمة.

292. https://aljamaa.com، محماد ربيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين، التاريخ: 21 أكتوبر 2020م.

293. https://aljamaa.com، محماد ربيع، الفقه المقاصدي عند الإمام المجدد عبد السلام ياسين.

294. https://annabaa.org/، مرتضى معاش، الإمام علي: الانسان من أجل الانسان، افتتاحية مجلة النبأ، العدد 62، 1422هـ / 2001م، التاريخ: 18 نوفمبر 2024م، الساعة: 12:00.

295. https://ar.wikipedia.org/، ويكيبيديا، عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 17:43 جماعة العدل والإحسان، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 17:45.

296. https://ar.yassine.net/، بناء الجماعة و«منحة» الحصار | 4 | صفحات من سيرتي، التاريخ: 22 نوفمبر 2022م، الساعة: 23:00.

297. https://ar.yassine.net/، نور الدين الملاح، الإمام عبد السلام ياسين من التجربة الشخصية إلى تأسيس مشروع أمة (2) اليقظة القلبية، التاريخ: 10 جانفي 2015م، الساعة: 22:00.

298. https://archive.org/، علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، المترجم:

- محمد يوسف عدس، ط1، مؤسسة العلم الحديث، بيروت، 1414هـ/ 1994م.
299. <https://gulenarabic.com>، فتح الله كولن، الطامحون إلى الأهداف السامية، التاريخ: 2023/12/12، الساعة: 22:00.
300. <https://gulenarabic.com>، فتح الله كولن، المراد الإلهي هو الغاية، التريخ: 2024/5/22م، الساعة: 11:15.
301. <https://archive.org>، عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006م.
302. <https://islamonline.net>، الإحسان .. مفهوم الجودة الحضارية، التاريخ: 28 نوفمبر 2023م، الساعة: 10:00.
303. <https://jsrep.journals.ekb.eg>، طلال بن عقيل عطاس الخيري، القيم الإنسانية والحضارية ومضامينها التربوية في ضوء التربية الإسلامية (دراسة تحليلية)، مجلة التربية، جامعة الأزهر.
304. <https://ketabonline.com>، موقع جامع الكتب الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى 19 - 24، المجلد 8.
305. <https://mutqen.org>، عباس محجوب، إتقان العمل ثمرة الإحسان، التاريخ: 28 نوفمبر 2023م، الساعة: 10:05.
306. <https://palscholars.org>، موقع هيئة علماء فلسطين، محمد رفيع، معالم فقه الواقع في مشروع نظرية المنهاج النبوي لعبد السلام ياسين، التاريخ: 7 أوت، 2020.
307. <https://siraj.net>، عبد السلام ياسين، المنظومة الوعظية.
308. <https://siraj.net>، عبد السلام ياسين، المنظومة الوعظية، ط1، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، 1996م.
309. <https://www.aljamaa.net>، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015م.

310. <https://www.aljamaa.net/>، هيئة التحرير: جماعة العدل والإحسان (7)،
الفصل الرابع: المنهاج الدعوي، التاريخ: 29 نوفمبر 2018م، الساعة: 10:00.
311. <https://www.almoslim.net/>، موقع المسلم، حوار مع الناطق باسم جماعة
العدل والإحسان المغربية، 16 أكتوبر 2015م، الساعة: 18:00.
312. <https://www.alukah.net>، الشيخ وحيد عبد السلام بالي، الإخلاص: تعريفه
وفضله وحكمه، التاريخ: 20 فيفري 2018.
313. <https://www.arrabita.ma/>، د. الحسان شهيد، نظرية حفظ الكليات من جانبي
الوجود والعدم في الواقع المعاصر دراسة مقاصدية، التاريخ: 24 نوفمبر 2017م، الوقت: 22:00.
314. <https://www.arrabita.ma>، نعيمة لبداي، مفهوم القراءة في القرآن الكريم،
التاريخ: 2011/11/23.
315. <https://www.ikhwanwiki.com/>، الشيخ عبد السلام ياسين، التاريخ: 24
نوفمبر 2016، الساعة: 10:33.
316. <https://www.ikhwanwiki.com/>، ويكيبيديا الإخوان المسلمون، الشيخ عبد
السلام ياسين، 16 أكتوبر 2015، الساعة: 17:50.
317. <https://www.noorbook.com/>، محمد عبد الفتاح الخطيب، كتاب الأمة، قيم
الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، العدد: 139،
رمضان 1431هـ.
318. <https://www.quranicthought.com>، الشاهد البوشيخي، فقه واقع الأمة..
دراسة في المفهوم والشروط، التاريخ: 25 نوفمبر 2020م.
319. <https://www.youtube.com/>، "مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين"،
قناة "الحوار"، ح1.
320. <https://www.youtube.com/>، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، قناة

"الحوار".

321. [/https://www.youtube.com](https://www.youtube.com)، مراجعات مع الشيخ عبد السلام ياسين، "قناة

الحوار"، ج1، الحلقة 3.

322. [/https://yassine.net](https://yassine.net)، تجديد الدين والإيمان، الإمام عبد السلام ياسين، التاريخ: 3

ديسمبر، 2019، الساعة:10:00.

323. <https://yassine.net>، أحمد بوعود، آثار الانكسار التاريخي على تاريخ المسلمين

وواقعهم، التاريخ: 18 أوت 2021.

324. <https://yassine.net>، الإمام عبد السلام ياسين، العدل والإحسان شعار وبرنامج،

التاريخ: 16 فيفري 2022.

325. <https://yassine.net>، محمد حمداوي، مفهوم التجديد عند الأستاذ عبد السلام

ياسين، فلسفته، أصوله ومجالاته، التاريخ: 13 ديسمبر، 2013.

326. <https://yassine.net>، هيئة التحرير، الإمام مُفَكَّرًا .. حوار مع الدكتور عبد الصمد

الرضى، التاريخ: 10 ديسمبر 2013.

327. <https://yassine.net>، هيئة التحرير، الفصل الرابع: المنهاج الدعوي.

328. <https://yassine.net>، هيئة التحرير، حوار في الدعوة إلى الله في تراث الإمام وسيرته

العطرة، التاريخ: 30 جانفي 2014م، الساعة: 10:00.

329. <https://yassine.net>، هيئة التحرير، سيرة الإمام المجدد، اليقظة القلبية، التاريخ: 24

نوفمبر 2016م، الساعة: 11:00.

330. <https://yassine.net>، هيئة التحرير، من رسائل الإمام .. الدعوة إلى الله، التاريخ:

25 يوليو، 2016.

331. <https://yassine.net>، يوليو 1987.. رسالة العدل والإحسان، التاريخ: 26 جويلية

2022.

332. islamicsham.org، موقع: هيئة الشام الإسلامية، حكم هدم الأضرحة والقباب المبنية على القبور، المكتب العلمي، هيئة الشام الإسلامية، التاريخ: 29 ماي 2020، الساعة: 23:00.
333. majles.alukah.net، الألوكة المجلس العلمي، أروش الجنايات، التاريخ: 2 أوت 2021، الساعة: 16:00.
334. midad.com، موقع: مداد، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، عبد الكبير حميدي، التاريخ: 10 جوان 2020، الساعة: 18:15.
335. yassine.org، ندوة التغيير في نظرية المنهاج النبوي عند الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله، أحمد الزقافي، التغيير: مفهومه ومرجعياته، التاريخ: 13 ديسمبر، 2014.
336. [www Aljazeera.net](http://www.Aljazeera.net)، محمد المختار السوسي.
337. www.aljamaa.net، جماعة العدل والإحسان، مرحلة جهاد الكلمة ومحنة "الإسلام أو الطوفان" 1974 / 1981.
338. www.aljamaa.net، مسيرة العدل والإحسان: أزيد من عقدين بين المحنة والمنحة
339. www.aljamaa.net، هيئة تحرير موقع ياسين.نت، معالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين 2، نوفمبر 2015، الساعة: 21:10.
340. www.aljazeera.net، جماعة العدل والإحسان، 1 نوفمبر 2015، الساعة: 6:14.
341. www.alukah.net، حمزة بن عبد العزيز المجاطي، مقدمة في التعريف بعلم مقاصد التشريع، التاريخ: 2020/5/17، التوقيت: 7:00.
342. www.alukah.net، موقع الألوكة، الشيخ عبد العزيز رجب، أنواع المقاصد باعتبار تعلقها بعموم الأمة وخصوص أفرادها، اليوم: 2019/5/22، الساعة: 13:16.
343. www.dar alifta.org، موقع دار الإفتاء المصرية، زوال الوصف المعتبر في أخذ الزكاة وما يترتب عليه، فتاوى بحثية، التاريخ: 2020 / 5 / 5، الساعة: 9:00.
344. www.diae.net، موقع شبكة ضياء، بدر الدين زواق، العمل الاسلامي المعاصر: من

العمل الجماعي الى العمل المؤسسي.

345. www.salmajed.com موقع سليمان الماجد، سميح عبد الوهّاب الجندي، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النصّ واستنباط الحكم، التاريخ: 30 جوان 2020، الساعة: 18:30.

346. www.turess.com حوار مع الأستاذ فتح الله أرسلان الناطق الرسمي لجماعة العدل والإحسان، نشر في الحوار نت، التاريخ: 6 / 1 / 2011م.

347. www.yassine.net ، يوليو 1987.. الإمام يوجه رسالة "العدل والإحسان" لعامة المؤمنين، التاريخ: 22 مارس 2018م، الساعة: 23:00.

348. www.yassine.net ، الإمام عبد السلام ياسين في حوار مع جريدة المنقذ الجزائرية 15 أكتوبر 1989، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة: 17:36.

349. www.yassine.net ، العدل والإحسان.

350. www.yassine.net ، بناء جماعة العدل والإحسان.

351. www.yassine.net ، حوار قبيل الحصار، حوار شامل مع الأستاذ المرشد 1/4، التاريخ: 18 يناير 2015.

352. www.yassine.net ، رسائل العدل والإحسان، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة: 17:36.

353. www.yassine.net ، سيرة الإمام عبد السلام ياسين 1928-2012، التاريخ: 24 نوفمبر 2016م، الوقت: 10:00.

354. www.yassine.net ، هيئة التحرير، بناء جماعة العدل والإحسان، 30 ديسمبر 2021م، الساعة: 23:00.

355. www.yassine.net ، هيئة التحرير، في رحاب أسرة شريفة عريقة، نبذة عن سيرة الأستاذ عبد السلام ياسين، المجلس اليمني، التاريخ: 12 أكتوبر، 2021.

356. www.yassine.net، هيئة التحرير، مرحلة تأسيس العمل المنظم ومحنة رسالة القرن.
1985 – 1981.
357. www.yassine.net، هيئة التحرير، وفاة الإمام المجدد، 2 نوفمبر 2015، الساعة
18:56.
358. www.yassine.org، موجز سيرة الإمام المجدد رحمه الله، التاريخ: 16 أ
كتوبر 2015، الساعة: 17:50.
359. www.yassine.org، موجز سيرة الإمام عبد السلام ياسين، 2 نوفمبر 2015، الساعة:
18:56.
360. www.yassine.tv، العدل والإحسان، التاريخ: 2 نوفمبر 2015، الساعة: 17:36.
361. www.yassine.net، الإمام عبد السلام ياسين من التجربة الشخصية إلى تأسيس
مشروع أمة (2) اليقظة القلبية، نور الدين الملاخ.
362. yassine.net، شعار العدل والإحسان 1987.
363. Yassine.net، محمد رفيع، معالم التجديد العلمي، التاريخ: 13 ديسمبر 2013.

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة.....
1	الباب الأول: الفقه المقاصدي والعمل الدعوي "مقاربة تأصيلية".....
4	الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجته - أقسامه - ضوابطه).....
5	المبحث الأول: تعريف فقه المقاصد.....
14	المبحث الثاني: حجية فقه المقاصد.....
39	المبحث الثالث: أقسام وضوابط فقه المقاصد.....
70	الفصل الثاني: علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر.....
71	المبحث الأول: حاجة العمل الدعوي المعاصر لفقه المقاصد.....
81	المبحث الثاني: مقاصد العمل الدعوي المعاصر والبعد العالمي للإنساني.....
99	الباب الثاني: فقه المقاصد وتطبيقاته في تجربة عبد السلام ياسين الدعوية.....
101	الفصل الأول: عبد السلام ياسين (حياته - عمله الدعوي - آثاره).....
103	المبحث الأول: حياة الشيخ عبد السلام ياسين.....
116	المبحث الثاني: العمل الدعوي للشيخ عبد السلام ياسين.....
132	المبحث الثالث: آثاره العلمية ووصيته.....
144	الفصل الثاني: النظر التأصيلي للمقاصد الدعوي عند عبد السلام ياسين.....
145	المبحث الأول: مفهوم المقاصد وتصنيفاتها عند عبد السلام ياسين.....
153	المبحث الثاني: مصادر معرفة المقاصد من وجهة نظر عبد السلام ياسين.....
162	المبحث الثالث: الداعية ودوره في تحقيق مقاصد الدعوة في فكر عبد السلام ياسين.....
173	الفصل الثالث: النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين.....

174.....	المبحث الأول: مطلب الإحسان وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين
215.....	المبحث الثاني: مطلب العدل وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين
240.....	المبحث الثالث: مطلب وحدة الأمة وأهميته في دعوة عبد السلام ياسين
257.....	خاتمة البحث
262.....	فهارس البحث
263.....	فهرس الآيات القرآنية
269.....	فهرس الأحاديث النبوية
274.....	فهرس الأعلام
280.....	فهرس الأبيات الشعرية
281.....	فهرس المصادر والمراجع
315.....	فهرس الموضوعات
	ملخص البحث

الملخص العربي

يهدف هذا البحث المعنون بـ (فقه المقاصد وتطبيقاته على العمل الدعوي المعاصر عبد السلام ياسين أمودجا) إلى دراسة فقه مقاصد الإسلام عامة ومقاصد الدعوة خاصة، وبيان العلاقة بين المقاصد والعمل الدعوي المعاصر، خاصة عند التعامل مع متغيرات ومتطلبات العصر، وذلك من خلال عرض تجربة أحد أهم الدعاة المجددين وهو الشيخ عبد السلام ياسين، الذي اجتهد في بناء رؤية مقاصدية متكاملة بنى على أساسها مشروعه الدعوي.

وقد تم اختيار هذا الموضوع نظرا لحاجة الدعاة المعاصرين لهذا النوع من أنواع الفقه، الذي يجعل الداعية بصيرا ومتعمقا في فهم حقيقة الدين، وكذلك الضغوطات والتحديات الراهنة تفرض على الدعاة إيجاد العدة القوية المعرفية والتطبيقية المدعمة بفقه المقاصد، وذلك من أجل توجيه الدعوة نحو تحقيق أهدافها.

وتكمن أهمية البحث في كونه يؤكد على ضرورة الاهتمام بدراسة فقه المقاصد وإعماله في العمل الدعوي المعاصر، وبيان مخاطر فقدانه وما يترتب عنه من انحرافات فكرية وسلوكية.

وقد تم الاعتماد في هذا البحث على مجموعة من المناهج، المتمثلة في: (المنهج الاستقرائي، المنهج الوصفي).

وقد قسم البحث إلى بابين، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة:

أما الباب الأول، فقد خصصته لمعرفة (الفقه المقاصدي والعمل الدعوي "مقاربة تأصيلية")، وقسمته إلى فصلين:

تناولت في الفصل الأول: فقه المقاصد (تعريفه - حجته - أقسامه - ضوابطه).

وتناولت في الفصل الثاني: (علاقة فقه المقاصد بالعمل الدعوي المعاصر).

أما الباب الثاني، فقد خصصته لمعرفة (فقه المقاصد وتطبيقاته في تجربة عبد السلام ياسين الدعوية) - الجانب التطبيقي -، وقسمته إلى ثلاثة فصول:

تناولت في الفصل الأول: (عبد السلام ياسين "حياته، عمله الدعوي، آثاره").
وتناولت في الفصل الثاني: (النظر التأصيلي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين).
وتناولت في الفصل الثالث: (النظر التطبيقي للمقاصد الدعوية عند عبد السلام ياسين).
وختمت في الأخير بخاتمة لخصت فيها النتائج العامة للبحث، وقدمت بعض التوصيات والاقتراحات
المساهمة في تطوير العمل الدعوي المعاصر وتحقيق أهدافه.

Abstract

This research, titled "*The Jurisprudence of Maqāṣid (Objectives) and Its Applications in Contemporary Da‘wah Work: ‘Abd al-Salām Yāsīn as a Case Study,*" aims to explore the jurisprudence of the objectives of Islam in general and the objectives of da‘wah (Islamic outreach) in particular. It seeks to clarify the relationship between these objectives and contemporary da‘wah work, especially when addressing the variables and demands of the modern era. This is achieved by examining the experience of one of the most prominent renewing scholars, Shaykh ‘Abd al-Salām Yāsīn, who diligently developed a comprehensive Maqāṣid-based vision that formed the foundation of his da‘wah project.

This topic was selected due to the pressing need among contemporary Islamic workers for this type of jurisprudence, which enables them to develop a profound and insightful understanding of the essence of religion. Moreover, current challenges and pressures necessitate that preachers equip themselves with strong intellectual and practical tools supported by Maqāṣid-based jurisprudence to guide da‘wah toward achieving its goals.

The significance of this research lies in its emphasis on the necessity of studying the jurisprudence of Maqāṣid and applying it in contemporary da‘wah work, as well as highlighting the dangers of neglecting it, which can lead to intellectual and behavioral deviations.

This study employs a combination of methodologies, including the **inductive approach** and the **descriptive approach**.

The research is divided into two main parts, in addition to an introduction and a conclusion:

Part One focuses on "*Maqāṣid-Based Jurisprudence and Da‘wah Work: A Foundational Study*" and is divided into two chapters:

- **Chapter One** examines the jurisprudence of Maqāṣid (its definition, validity, classifications, and regulatory principles).
- **Chapter Two** explores the relationship between Maqāṣid-based jurisprudence and contemporary da‘wah work.

Part Two is dedicated to "*The Jurisprudence of Maqāṣid and Its Applications in ‘Abd al-Salām Yāsīn’s Da‘wah Experience*" (the practical aspect) and consists of three chapters:

- **Chapter One** discusses "*ʿAbd al-Salām Yāsīn: His Life, Daʿwah Work, and Contributions.*"

- **Chapter Two** examines "*The Theoretical Foundations of Daʿwah Objectives in ʿAbd al-Salām Yāsīn's Thought.*"

- **Chapter Three** analyzes "*The Practical Application of Daʿwah Objectives in ʿAbd al-Salām Yāsīn's Approach.*"

Finally, the research concludes with a summary of key findings and provides recommendations and suggestions aimed at enhancing contemporary daʿwah efforts and achieving their objectives.

Résumé

Cette recherche, intitulée « La jurisprudence des finalités et ses applications sur le travail missionnaire contemporaine, avec Abdul Salam Yassine comme modèle », vise à étudier la jurisprudence des finalités de l'islam en général et des finalités de la mission en particulier, ainsi qu'à clarifier la relation entre les finalités et le travail de mission contemporaine, notamment face aux changements et exigences de l'époque. Cela se fait à travers l'exposé de l'expérience d'un des plus grands prédicateurs novateurs, le cheikh Abdul Salam Yassine, qui a œuvré à construire une vision intégrale des finalités sur laquelle il a fondé son projet de missionnaire.

Ce sujet a été choisi en raison du besoin des prédicateurs contemporains pour ce type de jurisprudence, qui permet au prédicateur d'avoir une compréhension profonde de la réalité de la religion. De plus, les pressions et défis actuels imposent aux prédicateurs de trouver des outils solides, tant sur le plan cognitif que pratique, soutenus par la jurisprudence des finalités, afin de diriger la mission vers l'accomplissement de ses objectifs.

L'importance de cette recherche réside dans le fait qu'elle souligne la nécessité de s'intéresser à l'étude de la jurisprudence des finalités et à son application dans le travail de missionnaire contemporain, tout en exposant les dangers de sa perte et les dérives intellectuelles et comportementales qui en découlent.

Cette recherche s'appuie sur plusieurs méthodes, notamment : (la méthode inductive, la méthode descriptive).

Elle est divisée en deux parties, en plus d'une introduction et d'une conclusion :

La première partie est consacrée à la connaissance de « la jurisprudence des finalités et le travail de missionnaire : une approche fondationnelle », et est divisée en deux chapitres : Dans le premier chapitre : j'aborde la jurisprudence des finalités (sa définition, sa légitimité, ses sections, ses normes).

Dans le deuxième chapitre : j'examine la relation entre la jurisprudence des finalités et le travail de missionnaire contemporain.

La deuxième partie est dédiée à la connaissance de « la jurisprudence des finalités et ses applications dans l'expérience de mission d'Abdul Salam Yassine » - le volet pratique - et est divisée en trois chapitres :

Dans le premier chapitre : j'aborde (Abdul Salam Yassine : sa vie, son travail de mission , ses contributions).

Dans le deuxième chapitre : j'examine (l'approche fondationnelle des finalités de la mission chez Abdul Salam Yassine).

Dans le troisième chapitre : j'analyse (l'approche pratique des finalités de la mission chez Abdul Salam Yassine).

Enfin, j'ai conclu par une synthèse des résultats généraux de la recherche et proposé quelques recommandations et suggestions contribuant au développement du travail de missionnaire contemporain et à l'atteinte de ses objectifs.